اتحاد الكتاب العرب
دمشق

الأعمال المسرحية الكاملة

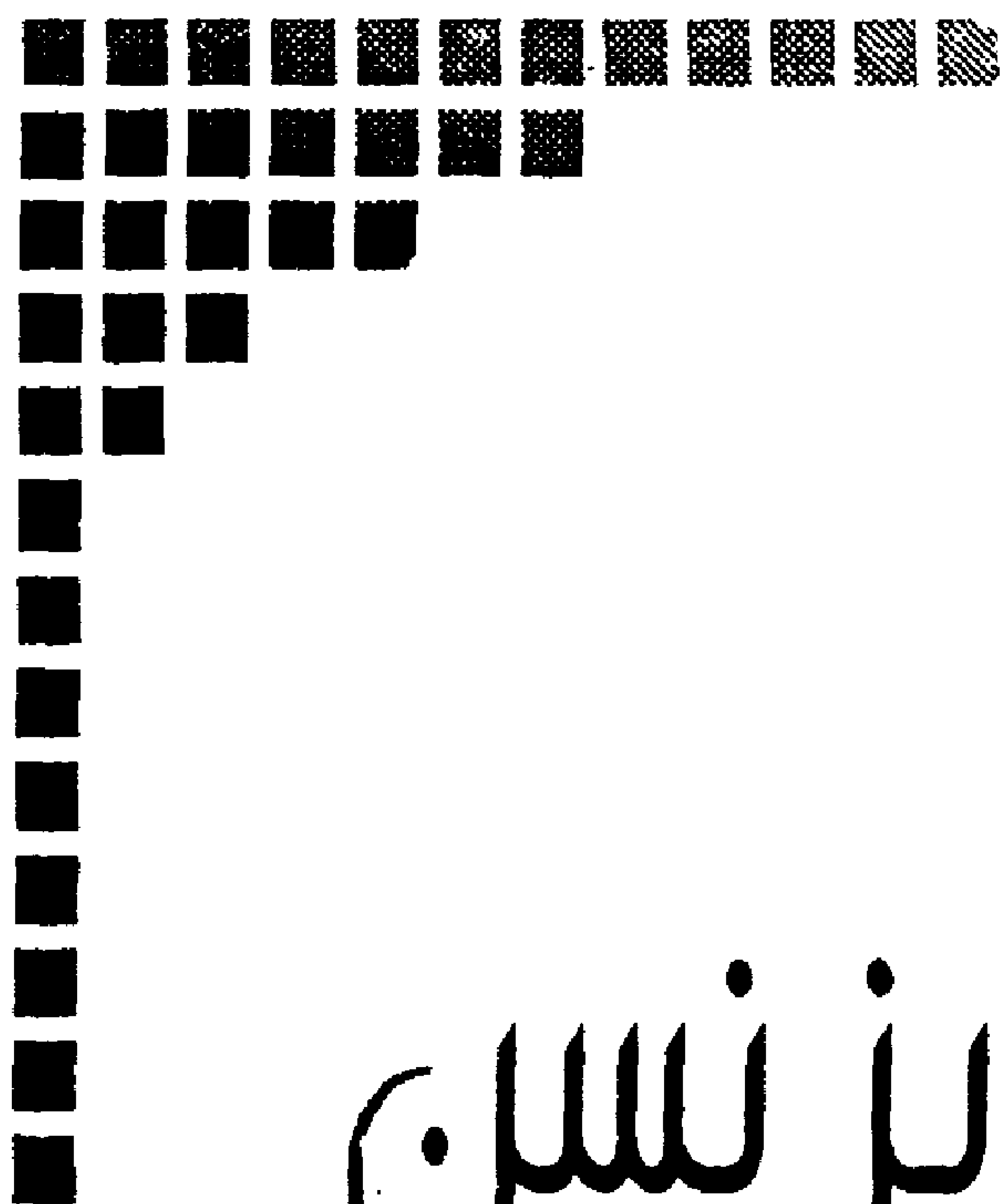
عزيز نسن



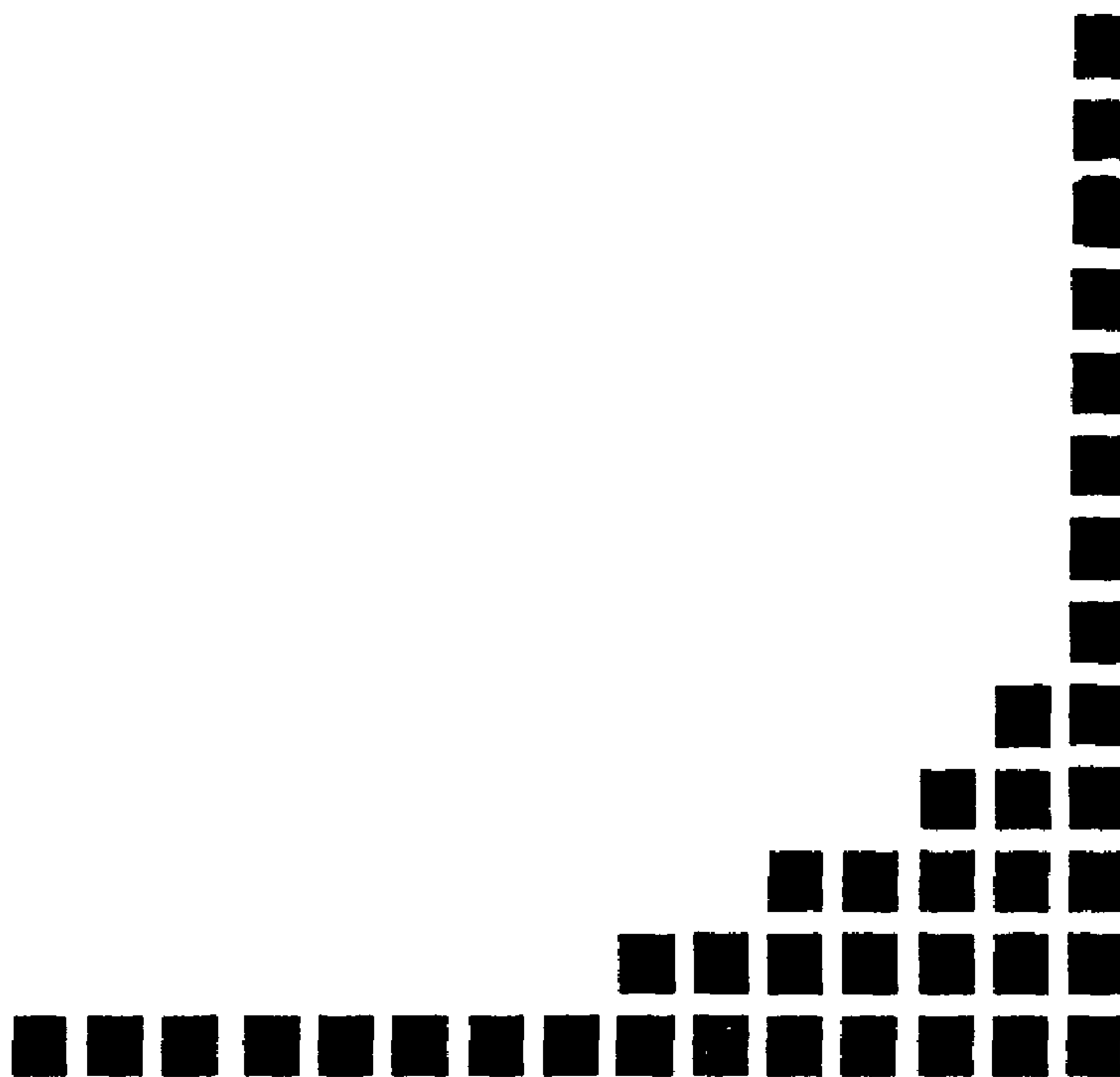
ترجمة: فاروق مصطفى

سلسلة الترجمة (4) 2008

المجلّد الثاني



عزيز نسن



البريد الالكتروني: E-mailunecriv@net.sy
aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت
www.awu-dam.org

تصميم الغلاف: الفنان التشكيلي د. حبيب الراعي
إخراج: سنديا عثمان
وفاء الساطي



عزيز نسين

الأعمال المسرحية الكاملة

المجلد الثاني

ثلاث مسرحيات أراجوزية ـ أمسك يدي يا روفني!

هيا اقتلني يا روحي! ـ خمس مسرحيات قصيرة

عن الطبعة التركية عام 1982

منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق



عزيز نسن في سطور[1]

بقلم: فاروق مصطفى

حياته وأعماله[2]: هو محمد نصرت نسن، أهم كاتب تركي تقدمي معاصر، ولد في 20 كانون الأول عام 1915 في إحدى الجزر القريبة من استانبول، والواقعة في بحر مرمرة، وبقي مستمراً في الكتابة الساخرة، حتى ناهز الثمانين من عمره، حيث توفي في أوائل تموز 1995، وقد بلغت أعماله أكثر من 100 عمل في شتى ألوان الإبداع.

---

(1) اسم ساخر، اختاره الكاتب كنية له، يسخر به حتى من شخصه، فيعتبره نكرة مجهولاً ويوجه إليه تساؤلاً هازئاً مستخفاً بصيغة غير العاقل: ما أنت؟ ماذا أنت؟

(2) بتصرف عن كتاب Çagimizin Nasrettin Hocası Aziz Nesin جحا عصرنا عزيز نسن" للكاتب التركي Demırtaş Ceyhun.

هو ابن عائلة معدمة أنهى الإعدادية العسكرية عام 1935 ودخل الكلية الحربية وتخرج منها عام 1937 ، وفي عام 1939 تخرّج من الكلية العسكرية الفنية برتبة ضابط في الجيش، وفي أثناء متابعته للدراسة في الكلية العسكرية، درس في كلية الفنون الجميلة مدة عامين، وهكذا جمع في شخصه شخصيتي عزيز نسن العسكري، وعزيز نسن الشاعر والأديب والظريف، والفنان وعاشق الجمال.

يعتبر عزيز نسن مع يشار كمال وناظم حكمت من أهم الرموز الأدبية التركية، لكنه لم يكن ضمن التيار الذي يمثله ناظم حكمت ويشار كمال، بل كان مناضلاً وطنياً تنويرياً ديمقراطياً مستقلاً.

يعتبر مارك توين تركيا، ويعتبر أحد أبرز ممثلي الهجائية الساخرة في العالم. نال جوائز عالمية عديدة عن قصصه الساخرة، التي ترجمت إلى أغلب اللغات الحية، ومنها اللغة العربية والتي يكتبها أحياناً على لسان بعض الحيوانات، مستعبداً فيها تراث كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، بإسقاطها على الحياة ومشاكل العالم الثالث، مبرزاً معاناة إنسان هذا العالم، ملبساً المأساة أثواب الكوميديا، منطلقاً في سخريته من تمرد ورفض

كبيرين، يقترن التعبير عنهما بقدر غير قليل من القسوة التي تأتي مغلّفة بروح الدعابة والمرح الظاهرين لكنها أبداً تقطر بالمرارة والألم، إنما بالحب أيضاً، حب المؤمن بشعبه، وحريته وكرامته وسيادته، لذا فهو يشيع فضاءً من الضحك الفضي البريء، وقهقهات العافية التي تريد أن تنتصر على أمراضها، فنضحك من مواطنيه بتعاطف ونقهقه بود وحب، فهو يسخر سخرية المقرِّع المحبّ، وكأنه يقرّع أبناءه.

"موضوعاتي كلها استقيتها من الحياة التي عشتها وأعيشها، هناك أوضاع إنسانية لا يمكن المرور عليها مرور الكرام، أوجاع وآلام ومشاكل، صخب حياة وظلم وتخلّف وأمراض عديدة، ودوري ككاتب هو تكثيف هذه الحالات والتفاعل معها وصبها في قوالب أدبية، علّها تبقى في وجدان القارئ كي توجهه نحو خلاصه وخلاص غيره من الناس".

هكذا تحدث عزيز نسن في إحدى حواراته الصحفية[1] مشيراً إلى الينابيع التي تشكل مصادر

---

[1] من مقالة للأستاذ محمد منصور، في مجلة "الكفاح العربي" العدد 829 حزيران 1994.

إلهامه، وملخصاً مدى علاقة أدبه بالحياة التي استطاع أن ينفذ إلى آلامها ومشاكلها، وأن يسلّط الضوء ببصيرته ووعيه على الأوضاع الإنسانية الرثة فيها مغطياً في كتاباته مختلف الجوانب الاجتماعية للسيطرة على كلية المواضيع التي تستثير غضبه ضد مجتمعه الذي يريده أن يكون أفضل، مخلفاً لنا هذا الكم الهائل من الأعمال الروائية والمسرحية والقصصية حيث وحدة الملهاوي بالمأساوي تمنح أدبه خصوصية اندماج الرؤيتين للعالم، هذا العالم ملهاة لمن يفكر، ومأساة لمن يشعر.

عانى عزيز نسن وقاسى واعتُقل وسجن ووضع تحت المراقبة في كل العهود تقريبا، خاصة في الفترة ما بين عامي 1945 -1960 حيث كانت مدة إقامته في السجن أكثر من حياته خارجه. يتكلم عن بداياته فيقول: "بين عامي 1940 -1943 كنت عسكرياً في قارص وكنت أكتب الشعر والقصص القصيرة، ولما كانت كتابة العسكريين غير مستحبة استعملت منذ ذلك الوقت اسم "عزيز نسن" المستعار، وصرت أنشر قصصي القصيرة بهذا الاسم في مجلة "Millet ـ الأمة" اليمينية، التي كانت تصدر في أنقرة، ثم صدرت هذه القصص فيما بعد عن دار "Yeni Adam" الرجل الجديد. أما

أشعاري فكنت أنشرها منذ عام 1937 باسم "وديعة نسن" في مجلة Yedigün الأيام السبعة وبسبب سجني عام 1944 سُرحت من الجيش، فجئت إلى استانبول وعملت في مجلة Yedigün وكانت بداياتي الصحفية.

اشتغل في عدد من المهن ليكسب قوته وعمل بقالاً لفترة من الزمن. عمل فترة في مجلة Yedigüm ثم عمل مديراً لجريدة Karagöz الأراجوز. وفي عام 1945 انتقل ليكتب الفقرات والمقالات في جريدة "Tan الفجر" التي أصبح كاتبها الساخر. لكن المدة لم تطل، إذ أغلقت الجريدة، فعمد إلى إصدار مجموعة أسبوعية خاصة به باسم "Cumartesi ـ السبت" لم تستمر أكثر من ثمانية أسابيع، أي صدر منها ثمانية أعداد فقط. انتقل على أثرها ليعمل في جريدة "vatan وطن" مع السعي لإصدار مجلة خاصة به.

وفي كانون الثاني عام 1936 تمكن بالتعاون مع الأديب التركي المعروف صباح الدين علي من إصدار جريدته الشهيرة "Marko Paşa ماركو باشا" التي سبقت كل الصحف اليومية ووصلت مبيعاتها إلى 60 ألف نسخة يومياً. لكن حكم "حزب الشعب الجمهوري" لم يرض عن مقالات عزيز نسن، فاعتقله عام 1946 بسبب إحدى مقالاته.

وفي عام 1947 حوكم أمام محكمة عرفية عسكرية وحُكم عليه بالسجن عشرة أشهر وبالنفي إلى بورصة ثلاثة أشهر ونصف بعد انقضاء مدة سجنه، بسبب مقالة كتبها انتقد فيها مبدأ الرئيس الأمريكي ترومان، وتهجّم فيها على القرض الأمريكي لتركيا في ذلك الحين، وقال بوجوب رفض تركيا لهذا القرض الذي ستستوفيه الولايات المتحدة الأمريكية بأن تمتص خيرات تركيا امتصاصاً.

ومن الطبيعي أن تمنع "Marko Paşa" عن الصدور مع اعتقال صاحبها، لكن عزيز نسن لم ييأس فأصدر جريدته باسم "Maallum Paşa معلوم باشا". وهكذا كلما اعتقل راحت الجريدة تغيّر اسمها، فلما أغلقت "Maallum Paşa" صدرت جريدة "Merhum Paşa مرحوم باشا". وبعد إغلاقها صدرت جريدة "Ali Baba علي بابا". وبعد إغلاقها صدرت جريدة "Bizim Paşa باشاتنا". وبعد إغلاقها صدرت جريدة "Hür Marko Paşa ماركو باشا الحر"، وآخر الأمر أصدر جريدة "Medet مَدَدْ".

وفي عام 1950 حكم عليه بالسجن ستة عشر شهراً بسبب ترجمته التي لم تُطبع لأجزاء من كتاب ماركسي. هكذا فإن عزيز نسن الذي ترك الجيش

عـام 1944 بـرتبة مـلازم أول، ودخـل مـيدان العمـل الصحفي وهو في التاسعة والعشرين من عمره، كان قد أمضى خمس سنوات ونصف في السجن عندما بلغ الخامسة والثلاثين عام 1950.

في 14 أيار 1950 استلم "الحزب الديمقراطي" مقاليد الحكم في تركيا، لكن عزيز نسن الذي خرج من السجن عام 1951 لم يجد له عملاً في الصحافة، فعمد إلى فتح دكان لبيع الكتب، لكنه لم ينجح، فعمد عام 1952 إلى فتح محل للتصوير، وبقي يعمل مصوراً حتى عام 1954، إلا أنه لم يبتعد عن الكتابة، ففي الوقت نفسه ومنذ عام 1952 كان يكتب القصص القصيرة وينشرها في جريدة "Akbaba ـ شوحا" تحت أسماء مستعارة إذ استعمل أكثر من مائتي اسم مستعار غير اسم عزيز نسن الذي انكشف وأدرج في قيود البوليس.

وفي عام 1955 أمضى شهوراً عديدة في السجن بدون تحقيق، وبدون أن يعرف سبب اعتقاله، ولم يعد إلى اسم عزيز نسن إلا بعد أن حصل على جائزة السعفة الذهبية العالمية من إيطاليا عام 1956. وكانت عودته إلى العمل الصحفي بعد هذا التاريخ أيضاً، إذ عمل محرر زاوية في جريدة "Akşam ـ المساء". وأسس

بالاشتراك مع الروائي التركي المعروف كمال طاهر داراً للنشر أطلق عليها اسم Fikir ـ فكر"، إلا أن دار النشر هذه احترقت في شباط 1963 نتيجة لحريق مجهول السبب، واحترق بضمنها مئة وعشرة آلاف كتاب.

ومع أنه كان من أنصار حركة الجيش في 27 أيار 1960 التي أنهت حكم "الحزب الديموقراطي" وأعلنت يوم 27 أيار عيداً للحرية، ونادت بإطلاق الحريات. فأيدها بكل جوارحه، واستبشر وتفاءل بها، حتى إنه تبرع بجائزة السعفة الذهبية إلى خزينة الدولة دعماً منه للحركة. إلا أن قادة الحركة كانوا يعتبرونه يسارياً متطرفاً. مع ذلك بعد عام 1960 أتيحت له فرص العمل وكتابة المقالات في الصحف التالية على التوالي: "Tanin طنين"، "Öncü ـ التقدمي"، "Yeni Tanin الطنين الجديد"، Günaydın صباح الخير.

يذكر أنه عندما كان متخفياً في استانبول في إحدى المرات، بقي بلا طعام ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع أكل قشور البرانصا المرمية في تنكة الزبالة ويضيف قائلاً: "لاشك أن الإنسان الذي يضطر لأكل قشور البرانصا المرمية في تنكة الزبالة، يعرف قيمة ما يجنيه

من تعبه، ولا يقبل أن يفرّط فيه. أنا ممتن لأني عشت تلك الأيام، فليس من السهل أن يكون المرء إنساناً، أما أن يبقى شريفاً في هذا المجتمع...!!".

ورداً على سؤال صحفي يقول: "عشت حياة قاسية، لا أحب استرجاعها، وأغلب تفاصيلها مبثوثة في قصصي القصيرة، وبإمكان قارئ قصصي أن يتعرّف على الكثير من تفاصيل حياتي، فالكاتب الذي هو أنا، لا تخلو منه قصة واحدة من قصصي، وإذا خلت منه ككاتب، فإن شبحه كإنسان موجود فيها، خاصة الشبح الاجتماعي، أو الظل الاجتماعي بمعنى أدق، وهذه الأشياء البعيدة عن الوثائقية أكثر قرباً من الإنسان العادي".

انتخب عزيز نسن نائباً لرئيس اتحاد الأدباء الأتراك في 16 نيسان 1967. ولما تأسست فيما بعد نقابة الكتاب، انتخب رئيساً لنقابة الكتاب الأتراك. والطريف أن خصومه من الأدباء الأتراك لم يكونوا يعتبرونه أديباً، وكانوا يقللون من شأنه ويصفونه بأنه "كاتب النكات"، أو "الهازل". علماً بأنه نال جوائز عالمية عديدة على قصصه القصيرة الساخرة. ومن الجوائز العالمية التي نالها نذكر:

1 ـ جائزة السعفة الذهبية من إيطاليا عام 1956.
2 ـ جائزة السعفة الذهبية من إيطاليا عام 1957.
3 ـ جائزة القنفذ الذهبي من بلغاريا عام 1966.
4 ـ جائزة التمساح الأولى من الاتحاد السوفيتي عام 1969.
5 ـ جائزة اللوتس الأولى من اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا عام 1975.

وفي تركيا:

1 ـ نال عام 1968 الجائزة الأولى في المسابقة التي أجريت في تركيا تخليداً لذكرى الشاعر الشعبي قراجة أوغلان على مسرحياته الشهيرة باسم "Üc Karagöz ـ ثلاث مسرحيات أراجوزية" التي كتبها في تلك المناسبة، والتي ترجمتها إلى اللغة العربية عام 1996، وصدرت عن وزارة الثقافة السورية عام 2000. والموجودة في هذا المجلد الثاني من الأعمال المسرحية الكاملة.
2 ـ نال جائزة المجمع اللغوي التركي على مسرحيته المعروفة "Cicu جيجو" عام 1969. والتي ترجمتها إلى اللغة العربية عام 2004 وصدرت عن اتحاد الكتاب العرب في المجلد الأول من الأعمال المسرحية الكاملة عام 2007.

شارك في العديد من المؤتمرات الأدبية العالمية، بعد أن حصل على جواز سفره لأول مرة في حياته بعدما بلغ الخمسين من عمره عام 1965 حيث كان قبل هذا التاريخ ممنوعاً من مغادرة البلاد.

ومن المؤتمرات العالمية التي شارك فيها نذكر:

1 ـ مؤتمر اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا في القاهرة في تشرين الثاني عام 1966.

2 ـ مؤتمر اتحاد الكتاب السوفييت في موسكو في أيار عام 1967.

3 ـ مؤتمر اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا في لواندا عاصمة أنغولا في حزيران عام 1979.

4 ـ مؤتمر اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا في هانوي عاصمة فيتنام في خريف عام 1982.

أنشأ عزيز نسن وقفاً باسمه، نذر له ريع كل أعماله الأدبية، مهمة هذا الوقف رعاية الأطفال الأيتام حتى آخر مراحل الدراسة الجامعية، أو حتى تأمين عمل أو مهنة لمن تعثّر منهم في دراسته، بحيث تؤمن لهم المهنة الحياة الكريمة. وقد استقبل الوقف أول فوج من الأطفال الأيتام في نهاية عام 1977.

وفي هذا الصدد يقول عزيز نسَن: "لقد عشت طفولة معذبة، إذ عشت في ملجأ للأيتام، وأعتقد أن حياتي كلها من صنع هذا الملجأ، فلولا رعايته لما كان هناك عزيز نسن، لذلك فإنني مهما فعلت من أجل هذه المؤسسات الاجتماعية فلن أسدّ بعض الدين الذي لها في عنقي.

لقد خطرت فكرة إقامة الملجأ ببالي عام 1974، فقد أدركت حينها أن الجلوس مع هؤلاء الأطفال، وتربيتهم وتوفير الحماية الاجتماعية لهم، وإشعارهم بإنسانيتهم، أهم بكثير من التسكع في الشوارع أو الجلوس على المقاهي من أجل الثرثرة، أو ارتياد الحانات من أجل الشرب. وقد اشترينا سبعين ألف متر مربع وأقمنا عليها خمسة أبنية من سبعة أبنية سيتم إنجازها مستقبلاً، وقد خصصت لدعم هذا الملجأ ريع تسعة وخمسين كتاباً من كتبي، حيث طبع منها حوالي أربعة ملايين نسخة، داخل تركيا وخارجها، وستوفر للملجأ دخلاً لا بأس به".

آثاره الأدبية:

كتب عزيز نسن في الرواية والمسرحية، فضلاً عن القصة القصيرة وقصص الأطفال.

الرواية:

Zübük	الفهلوي[1]
Ölmüş Eşek	الحمار الميت[2]
Gol Kralı	الهداف[3]
Tek Yol	الطريق الوحيد[4]
Tatlı Betüş	بتوش الحلوة

المسرحية

Bişey Yap Met	افعل شيئاً يا مت[5]

---

(1) ترجمها إلى العربية الأستاذ عبد القادر عبد اللي عام 1987 وصدرت عن دار الأهالي للطباعة والنشر بدمشق. وأخرجها الأستاذ هيثم حقي للتلفزيون العربي السوري عام 1992 كمسلسل تلفزيوني باسم "الدغري" ولعب بطولته الفنان السوري الكبير دريد لحام.

(2) ترجمها إلى العربية الأستاذ عبد القادر عبد اللي عام 1989 وصدرت عن دار المنارة باللاذقية للدراسات والترجمة والنشر.

(3) ترجمها إلى العربية الأستاذ هاشم حمادي عام 1993، بعنوان "ملك الكرة" وصدرت عن دار الحصاد بدمشق.

(4) ترجمها إلى العربية الأستاذ عبد القادر عبد اللي عام 1997 وصدرت عن دار المدى بدمشق.

(5) ترجمها إلى العربية الأستاذ جوزيف ناشف . سلسلة "من المسرح العالمي" الكويت عام 1986. كما ترجمتها إلى العربية عام 2003 وما زالت قيد الطبع.

Toros Canavarı	وحش طوروس[1]
Üç Karagöz oyunu	ثلاث مسرحيات أراجوزية[2]
Biraz Gelirmisiniz	هل تأتون قليلاً[3]
Tut Elimden Rovni	أمسك يدي يا روفني[4]
Hadi Öldürsene Canikom	هيا اقتلني يا روحي[5]
Düdükçülerle Fırçacıların Savşı	حرب المصفرين وماسحي الجوخ[6]
Çiçu	جيجو[7]

---

(1) ترجمها إلى العربية الأستاذ جوزيف ناشف . سلسلة "من المسرح العالمي" الكويت عام 1986. كما ترجمتها إلى العربية عام 2003 وما زالت قيد الطبع.

(2) ترجمتها إلى العربية عام 1996 وصدرت عن وزارة الثقافة بدمشق عام 2000. في سلسلة "مسرحيات عالمية".

(3) ترجمتها إلى العربية عام 2004 وصدرت عن اتحاد الكتاب العرب في المجلد الأول من الأعمال المسرحية الكاملة عام 2007.

(4) ترجمتها إلى العربية 2004 وما زالت قيد الطبع.

(5) ترجمتها إلى العربية 2004 وما زالت قيد الطبع.

(6) ترجمتها إلى العربية عام 2004 وصدرت عن اتحاد الكتاب العرب في المجلد الأول من الأعمال المسرحية الكاملة عام 2007.

(7) ترجمتها إلى العربية عام 2004 وصدرت عن اتحاد الكتاب العرب في المجلد الأول من الأعمال المسرحية الكاملة عام 2007.

خمس مسرحيات قصيرة[1] Beş Kısa Oyun

القصة القصيرة:

مجنون على السطح[2] Damda Deli Var

في إحدى الدول[3] Memleketin Birinde

Bir Koltuk Nasıl Devrilir?

كيف ينقلب كرسي[4]؟

لا تنس تكة السروال[5]

أسفل السافلين[6]

آه منا نحن الحمير[7] Ah Biz Eşekler

---

(1) ترجمتها إلى العربية 2005 وما زالت قيد الطبع.

(2) ترجمها إلى العربية الأستاذ محمد الظاهر ومنية سمارة عام 1988. وصدرت عن دار الكرمل في عمان للنشر والتوزيع.

(3) ترجمها إلى العربية الأستاذ عبد القادر عبد اللي عام 1990 توزيع مكتبة دار الرازي بحلب.

(4) ترجمتها إلى العربية عام 1987 وطبعت في مطبعة دار العلم بدمشق عام 1992 توزيع دار الينابيع بدمشق ضمن سلسلة الأدب الساخر.

(5) ترجمها إلى العربية الدكتور هاشم حمادي عام 1992 وصدرت عن دار الحصاد بدمشق.

(6) ترجمها إلى العربية المخرج السينمائي السوري عبد اللطيف عبد الحميد عام 1993 وصدرت عن دار الحصاد بدمشق.

(7) ترجمها إلى العربية الأستاذ جمال دورمش عام 1994 وصدرت عن دار الطليعة الجديدة بدمشق.

Hangi Parti Kazanacak? أي حزب سيفوز؟[1]

Insanlar Uyaniyor البشر يستيقظون

Vatan Sağ olsun يسلم الوطن[2]

Mahallenin Kısmeti نصيب الحي

Yeşil Renkli Namus Gazı غاز الشرف الأخضر

Kör Dögüşü صراع العميان[3]

100 Liraya Bir Deli مجنون بمائة ليرة

Yaşar ne Yaşar ne Yaşamaz

يشار لا يعيش ولا لا يعيش

Yetmiş yaşım Merhaba مرحباً بعامي السبعين

وغيرها كثير جداً.

مذكرات وخواطر

Poliste في قسم الشرطة

Benim Delilerim مجانيني

---

(1) ترجمتها إلى العربية عام 1995 وصدرت عام 1997 عن دار المرساة باللاذقية للطباعة والنشر والتوزيع.

(2) ترجمها إلى العربية الأستاذ جمال دورمش عام 1996.

(3) ترجمتها إلى العربية عام 1999 وصدرت عن دار عبد المنعم ناشرون بحلب.

مذكرات منفي[1]   Bir Sürgünün Anıları

أدب الرحلات

العراق ومصر   Irak ve Mısır

وجدير بالذكر أنه في فترة، عندما بلغت كتبه سبعة وستين كتاباً، ظهر له في إيران أكثر من سبعين كتاباً، إذ كانوا يجمعون مقالاته وقصصه المنشورة في الصحف، ويصدرونها في كتاب، قبل أن يجمعها هو في تركيا. وكان الإيرانيون يصدرون كتبه إلى أفغانستان أيضاً. وكان عزيز نسن يحار ويدهش ويتمنى لو اطلع على كتبه هذه.

وفي المقدمة الخاصة بالترجمة العربية لـ"مختارات قصصية" من قصص عزيز نسن التي ترجمها الأستاذ فاضل جتكر، يقول عزيز نسن في رسالة مؤرخة في 23 /10/1981:

إلى القراء الأعزاء في سورية

إن مهمة الكاتب الشريف، الذي هو أحد العاملين

---

[1] ترجمها إلى العربية المخرج السينمائي السوري عبد اللطيف عبد الحميد عام 1996 وصدرت عن دار الطليعة الجديدة بدمشق بعنوان "ذكريات من المنفى".

في حقل الثقافة، هي العمل على بناء أواصر الصداقة بين الشعوب عن طريق تمكينها من معرفة بعضها بعضاً معرفة أكثر قرباً، مما يؤدي إلى خدمة السلام، بالتالي علينا أن نشيد صرح السلام أول الأمر بيننا وبين أقرب الناس إلينا، بيننا وبين جيراننا.

تركيا وسوريا جارتان. فإلى أي مدى نعرف نحن الأتراك جيراننا السوريين؟ وإلى أي مدى يعرف السوريون جيرانهم الأتراك؟ هل نستطيع أن نجيب بنعم على هذا السؤال؟

لا!

ألسنا جيراناً؟ ألم نتقاسم التاريخ نفسه في وقت من الأوقات؟

ألم نكن نملك ثقافتنا المشتركة؟ ماذا فعلنا بغية تمكين شعبينا من معرفة أحدهما للآخر، ماذا فعلنا في سبيل جعل شعبينا يحب أحدهما الآخر.؟

اسمحوا لي أن أصارحكم بالحقيقة التي أردت التحدث عنها. لابد لنا من الوقوف على الحقيقة المؤلمة وهي: أن هناك فتوراً وبروداً يسود العلاقة فيما بين الأتراك والعرب. وأن هذا الشكل غير الودي من العلاقة إنما أوجدته الإمبريالية بصورة مصطنعة، هذه الحقيقة

الداعية للأسف يجب أن نعرفها أولاً كي نتمكن من بناء أواصر العلاقات الودية بين شعبينا من جديد.

ففي مصر والعراق رأيت أن الإمبريالية الإنجليزية بغية إخفاء قيامها باستغلال المصريين والعراقيين، نجحت في تحويل عداء هذين الشعبين نحو إمبرياليي العهود الغابرة، نحو الأتراك. ودفع الشعب إلى كره الأتراك مع العمل على قطع العلاقات الثقافية والتاريخية. وللأسف فإن تلك الجهود تكللت بالنجاح. لقد كان الهدف هو تضليل الشعب العربي وحرف أنظاره عن الإمبريالية الإنكليزية.

في سورية أيضاً فعلت الإمبريالية الفرنسية الشيء نفسه على ما أعتقد. وهكذا فإن الشعوب المتجاورة دفعت إلى أن يكره بعضها بعضاً.

البلاد التي تعرضت للاستغلال عن طريق جيوش الاحتلال هي البلاد العربية.

الإمبريالية التي مارست الاستغلال عن طريق جيوش الاحتلال هي الإمبريالية الإنجليزية والإمبريالية الفرنسية.

أما العدو الذي ينبغي أن نواجهه بالعداء فهو المستعمر القديم!

لاشك في أن البلاد العربية عانت من الإمبريالية العثمانية. ولكننا إذا دققنا في الأمر تدقيقاً علمياً لا لنضلل أنفسنا ونخدعها نجد أن الإمبريالية العثمانية لم تكن إمبريالية عصرية ، لم تكن من ذلك النوع من الإمبريالية الناشئة عن تورم الرأسمالية بفعل الثورة الصناعية لتندفع إلى البلدان الأخرى بهدف الاستغلال والاستعمار. أضف إلى ذلك أن الإمبريالية العثمانية ألحقت بأبنائها في الأناضول بالذات، بالشعب التركي نفسه ، أضراراً تفوق بكثير تلك التي ألحقتها بالشعب العربي. هذه حقيقة واضحة لا لبس فيها. ولو لم يكن الأمر كذلك لما كانت تركيا اليوم وهي وريثة الإمبراطورية العثمانية أطول إمبراطوريات التاريخ عمراً ـ إذ دامت خمسة قرون ـ على هذه الدرجة من الفقر ، لما كانت بين الدول المتخلفة أو النامية.

لكل تاريخ صفحاته السوداء والبشعة. من الواجب معرفة هذه الصفحات وعدم نسيانها. غير أننا إذا كنا نريد السلام، نريد صداقة الشعوب ـ وهذا هو واجبنا ـ فإن علينا أن نخرج إلى النور صفحات التاريخ الناصعة والجميلة، لا السوداء والبشعة.

كلا الشعبين العربي والتركي على حد سواء كانا ضحية المؤامرات الإمبريالية ، وقد عانيا الكثير

من جراء ذلك. وعلى الرغم من كوننا قد تأخرنا كثيراً فقد آن لنا أن نفهم كوامن هذه المؤامرة لنعمل معاً على إقامة علاقات الود والأخوة التي يفرضها تاريخنا وجغرافيتنا وثقافتنا المشتركة خارج إطار العلاقات الرسمية".

كذلك في المقدمة الخاصة بالترجمة العربية لمجموعته القصصية "في إحدى الدول" التي ترجمها الأستاذ عبد القادر عبد اللي عام 1990 يقول عزيز نسن:

"أعزائي القراء العرب

الأدب هو النور الذي ينير ظلمات البشرية. إن خدع الإمبريالية وأطماعها قد نجحت وللأسف في إبعاد الشعبين العربي والتركي، أحدهما عن الآخر، هذين الشعبين اللذين كانا متعارفين جيداً في الماضي، كان مطلوباً أن يعادا إلى الظلمات.

من غير الممكن أن يتعرف الشعبان التركي والعربي، أحدهما على الآخر، من خلال العلاقات بين الحكومات والتجارة فقط، لا يمكن أن يتحابا دون أن يتعارفا عن كثب. وهناك ما يمكن أن يؤدي إلى المعرفة المتبادلة بيننا بالتأكيد، إنه شعرنا ورواياتنا وقصصنا وحكاياتنا، أو بكلمة واحدة: "أدبنا".

هــذا هــو عزيــز نــسن الـكاتــب العالمــي الهجائــي الـسـاخر الـنـاقـد، المتمرد، الـرافض، الـغـاضبة، القـاسـي، المـداعـب، الفـنـان المـرح، الظـريـف، الـشـاعـر، المـتألم، الإنـسـان، الـذي اسـتقى موضـوعات أعمالـه كـلـهـا مـن الحـيـاة الـتـي عـاشـهـا كـواحد مـن أبـنـاء عـالمهـا الـثـالـث راصـداً الأوجـاع والآلام والمـشـاكـل والظـلـم والـتخلف، متفـاعـلاً معها. نافذاً في أعماقهـا، والـذي رحـل عنهـا في أوائـل تمـوز 1995 مخلفـاً لـنـا هــذا الـكـم الهائـل مــن الأعـمـال الـروائية والمـسرحية والقصصية الهاجية بهجـاء ظاهـره المرح وباطنه الغضب والرفض والسخط والتمرد.

وبفقـد عزيـز نـسن، فقـد الأدب الـسـاخر أحـد أكبر مؤسـسيه وأبـرز ممثليه في العـالم، حيـث لحـق، وانـضم إلى الخـالـدين مـن أعـلام الأدب الهجـائـي الـسـاخر، الـذين رحلوا، مارك توين، وفولتير، وبرنادرشو.

حلب 2004/6/6.

ثلاث مسرحيات

أراجوزية

(1)

القبطان أراجوز

الشخصيات

عيواظ

اراجوز

مدير عام

مضيفة

امرأة رقم 1 (رجل يمثل دور امرأة)

امرأة رقم 2 (رجل يمثل دور امرأة)

مترجم أرمني

صبي ذكي

متزلف

مترجم (يتأتئ)

بحّار

قبطان

أميرال أجنبي

مدخل

(المشهد لسفينة قديمة مهلهلة)

عيواظ: (يتقدم إلى خشبة المسرح وهو يتلو المنظومة الشعرية التالية):

كلما مرت عيناه الساحرتان بخاطري
رغم كلامه الحلو خطرت عداوته اللدودة بخاطري

لو قال أحدهم إن الحياة تتقدم لدينا
لا أعرف لماذا يمر الفقر فوراً بخاطري

لو تكلم أحدهم كلمتين عن الحرية
يمر النعنع المأكول منذ زمان بخاطري

لو قلتَ إن أحوالنا تتقدم مسرعة باطراد
خطر مركز البريد مثالاً بخاطري

لـو قـيلَ مـن عاشـق أبلـهُ مـثل إوزة سـهلة النتف؟

خطـر اسمي الشخصي، ومـاذا قد يخطـر غيره بخاطري؟

آه، أواه!.....

آه، أواه!...

أراجوز (من النافذة):

أبله!

دع الثرثرة،

وانظر أمامك!

(تتـشنج سـاق عـيواظ، يترنـح. يلقـي المقطوعة التالية، متغزلاً بالمسرحية):

هـذه الـساحة شـيء آخـر، إنهـا سـاحة كُشتري

لا تظـنوها سـاحة لمـنح الأصـوات لكـل صياد ومشتر

مسرحيتنا ليست بهرجة، بل مسرحية العار والشرف

تعبر بما تقوله عن ضمير كل مواطنينا البَشرِ

يجب فهم مغزاها وأخذ دروس منها وعبر

وإلا فما عقولكم إلا زنزانات من حجرِ

قد نقول كلاماً مضحكاً، لكننا نشرح به الحقيقة.

فمن استاء من هجونا، فهو من ناس أُخَرِ.

وقبل أن نقول ونتقوَّل، ونتصافح ونتلامس، ونتكلم ونتحادث، ونضحك ونتضاحك، علينا أن نرسل لمقام حكومتنا السلام، وعليكم السلام. وإن كانت موازنتنا ناقصة، فإنها يمكن أن تُعتبر تمام. هذا يكفي والسلام... (يصرخ مقلداً صوت قائد المدفعية) يا ولدي إسماعيل حقي!... أين أنت يا حضور حقي!... لماذا لا تأتي يا مضر حقي!...

(يصدر أمراً) ثلاثة مدافع حقي!... يا الله، يا مسهل، يا الله يا مولاي تصيب!... نااااار!... (قصف مدفعي).

لا شيء معتبر بين الناس مثل الحكومة
أو تكون الحكومة في هذا العالم
أريكة مريحة

حسبما يقال عن ساحة كشتري هذه، ليتني أعثر فيها على رأس يماثلني ويناسبني، رأس صاف من مرمر صاف.
أهل لو يعرف شيئاً من الأمريكية، فيستطيع أن يقول ويل كام ميل كام. اوكي، موكي. ولو يعرف قليلاً من الفرنكية...

أراجوز : (من النافذة): قليلاً من الإنكليزية، قليلاً من الألمانية...

(يصرخ مثل صبي المطعم) واحد صحن رووز، عليه قليل من الفاصولياء.. ولك هل تبحث عن عضو مجلس نيابي، يعرف

قليلاً من الإنكليزية، وقليلاً من الفرنسية...

عيواظ: لو يعرف قليلاً من الإنكليزية...

أراجوز: **(من النافذة)** ولو يعرف أيضاً قليلاً من التركية.

عيواظ: ولو يفهم في الدولار، وفي العملة الصعبة...

أراجوز: **(من النافذة)** ولو يفهم في البندق والجوز...

عيواظ: ولو يفهم في النظام الداخلي، وفي الخواتم... وفي الجيب، والخزينة، وفي الدستور....

أراجوز: **(من النافذة)** ولو يفهم في المستور...

عيواظ: ولو نبدأ بالأخذ والعطاء، ولو نبدأ بالذهاب والإياب... لو أنني أقول فيصغي إلي... لو أنه يصغي إليّ وأنا أقول... لو أنه يصمت، وأنا أتكلم... لو أنني أتكلم، فيصمت هو...

أراجوز: **(من النافذة)** ولك الرجل ينفجر هكذا...

عيواظ: آه لو أقول، لو أقول، لو أقول...

أراجوز: (من النافذة) وهو يصغي... آه يا مسطول!...

عيواظ: هكذا، لو أنكم تسعدون أنتم أيضاً تماماً...

آه لو أني أحصل قبل كل شيء

على تسلية، على تسلية...

الصديق لي تسلية

النجدة، فالصديق لي تسلية...

أراجوز: (من النافذة) لا تنفجر، إني قادم.

عيواظ: لو أنه يصمت وأنا أتكلم، لو أنني أتكلم فيصمت هو...

الصديق لي تسلية...

أراجوز: (من النافذة) فهمنا، عيواظ مرشح...

عيواظ: الصديق لي تَسْليا!!...

أراجوز: (من النافذة) بل إنه بدأ يصطاد الأصوات... (يقفز أراجوز من النافذة)

كفاك صياحاً أمام البيت يا... فالسيد يغفو في القمرة فوق.

عيواظ: الصديق لي تسلية...

أراجوز: **(من النافذة)** لا تنهم الحكي، أقول لك إن السيد يغفو... ولم تمض على غفوته ثلاث سنوات.

عيواظ: الصديق لي تسليا!!!!...

حوار

أراجوز: ما بك تصرخ وتصيح هكذا، أتظن هذه الساحة ساحة انتخابات، إنها ساحة كُشتري...

عيواظ: آه يا أراجوزي، أنت ما زلت على حطة يدي، تراوح مكانك.

أراجوز: ولك إذا كنت قد وجدت مكاناً أجمل وأبهى فلماذا لا تخبرني؟
(يصفعه) أليست هذه ساحة كشتري؟

عيواظ: لا... كانت كذلك قديماً. أما الآن فقد تغيّر اسمها.

أراجوز: ماذا صار؟ هل صار ساحة الخيول؟

عيواظ: لا ... كان ذلك قديماً.

أراجوز: ماذا صار الآن؟

عيواظ: صار اسمها ساحة الديمقراطية...

أراجوز: طيب، والساحة الخربة التي كانت في هذا الطرف، ماذا صارت؟

عيواظ: وتلك يا سيدي، صارت ساحة الحرية.

أراجوز: وما الذي يبين أنها ساحة الحرية؟

عيواظ: انظر يا أراجوزي، إنه واضح من كل شيء فيها، فأمامها جدار مغلق، وخلفها جدار مغلق، وجانبها جدار مغلق، وتحتها جدار مغلق، وفوقها جدار مغلق...

أراجوز: كفى يا، سأختنق... طيب ولماذا أغلقوها هكذا؟

عيواظ: لكي لا يحدث فيها تيار...

أراجوز: لكي لا يحدث فيها ممر؟

عيواظ: لا يا سيدي... يعني، لكي لا يحدث فيها جريان.

أراجوز: وهل هي مركز توتر كهربائي ليحدث فيها جريان؟

عيواظ: لا يا أراجوزي، هذا الجريان جريان آخر. يعني، سريان..

أراجوز: وماذا يحدث لو حدث سريان، سنتنفس قليلاً يا...

عيواظ: لا يجوز... (يعطس) فلو حدث قد يحدث سريان قوي...

(يعطس عطساً متواصلاً) عندها سيبرد المواطنون، ويصابون بالزكام... (يعطس عطساً متواصلاً).

أراجوز: تعيش يا عيواظ... (يعطس).

عيواظ: اعطس بصوت منخفض أرجوك...

أراجوز: لماذا يا؟

عيواظ: لو سمعوك، سيقولون إن هناك ثقباً بقي مفتوحاً، وسيسدونه..

أراجوز: وهل الثقب ممنوع يا؟

عيواظ: ما عدا ثقب الموازنة، لا يجوز أن يكون هناك أي ثقب...

أراجوز: طيب، ولكن جيبي مثقوب أيضاً... (يعطس)

عيواظ: اعطس بصوت منخفض أرجوك، لئلا يسمعوك... (يعطس أراجوز بصوت منخفض) أخْفَض أرجوك... (يعطس أراجوز بصوت أخفض) أخْفَض أخْفَض أرجوك. (يعطس عيواظ أيضاً).

أراجوز: بصوت منخفض يا عيواظ... (يعطس).

عيواظ: أخْفض أخْفض أخْفض... (يعطس).

أراجوز: بصوت منخفض يا عيواظ...

(يبدأ الاثنان بالعطس بصوت ينخفض رويداً رويداً حتى يكاد يصبح مكتوماً) ولك ما هذا! هل يمكن العطس همساً؟ هل نحن نتآمر، أم نعطس؟... (يعطس كلاهما معاً بصوت مرتفع) تعيش يا عيواظ... (يعطس).

عيواظ: تعيش الديمقراطية...

أراجوز: ولك الديمقراطية لم تعطس، أنا الذي عطست... (يعطس).

عيواظ: تعيش الديمقراطية!... وأنت أيضاً اصرخ مثلي يا أراجوزي (يعطس).

أراجوز: تعيش الديمقراطية...

(يبدأ الاثنان معاً بترديد هتاف تعيش الديمقراطية، بشكل إيقاعي، ثم ينقلب الإيقاع إلى ما يشبه هتافات المشجعين في المباريات الرياضية) تعيش الديمقراطية يا، تعيش، يا، تعيش، يا، تعيش تعيش تعيش. ديمقراطية ديمقراطية، تعيش الديمقراطية... ديم، ديم، ديمقراطية ديمقراطية، تعيش الديمقراطية...

أراجوز: ألا يسدون الديمقراطية لأنها عطست؟

عيواظ: لا يسدونها؟

أراجوز: لماذا؟

عيواظ: لأن الديمقـــراطية لا تُـــرى بـ ـالعين، لا تُؤكل، لا تُشم، لا تُسمع، لا تُلمس.

أراجوز: ولك قل إنها غير موجودة!

عيواظ: أرجوك يا أراجوز، ما هذا الكلام... إذا سمعوا يسدون (يعطس).

أراجوز: تعـــيش الديمقـــراطية... لا تُـــؤكل، لا تُشرب، لا تُشم، لا تُمسك.

عيواظ: مثل الروح، الروح...

أراجوز: إذن لنسمها روحاً... لو كانت روح النعنع لشممناها على الأقل، طيب ما هي هذه الديمقراطية؟

عيواظ: إنها شيء رائع جداً.

أراجوز: أتعني أنها مثل بطن المرأة؟

عيواظ: أجمل...

أراجوز: إذن لابـدّ أنهـا مـثل أصـابع الوزيـر الـتي تأكلها دوماً.

عيواظ: وأجمل ـن ذلك أيضاً...

أراجوز: إحك يا ، ما هو سبب روعتها؟

عيواظ: يا أراجوزي، إذا وجدت الديمقراطية في بلد ما ، تكثر الأحزاب في ذلك البلد....

أراجوز: هل تكثر؟ طيب، ولكن يا سيدي ألا يقولون بأنه حيث توجد الكثرة يحدث شيء؟

عيواظ: من حيث أنه سيحدث شيء، سيحدث شيء، ولكن يمكن إزالة هذا الشيء... فلكل قاعدة استثناء.

أراجوز: هل قلت إن لقدري آغا حجاب؟

عيواظ: لا يا أراجوزي، إني أقول إن لكل قاعدة استثناء.

أراجوز: فهمت، أنتم لديكم في البيت مسقعة قرع، ونحن لدينا في بيتنا مسقعة باذنجان.

عيواظ: أراجوزي يا روحي، ألا تفهم الكلام؟

أراجوز: أفهم.

عيواظ: من أين تفهم؟

أراجوز: من اللفظ...

عيواظ: أعطني أُذنك...

أراجوز: لا أستطيع فهي تلزمني..

عيواظ: يا سيدي يا روحي، أنا أذني معك..

أراجوز: إن فمك يساوي أنفك، أما أذناك فتعزفان لحناً، ولذلك...

عيواظ: أراجوزي يا روحي، أنت ألا تعرف اللغة التركية؟

أراجوز: ولك هل أنا مراسل رياضي صحفي لكي لا أعرف؟ طبعاً أعرف.

عيواظ: إذا كنت تعرف فاسمع ما أقول: لكل قاعدة استثناء.

أراجوز: قل هكذا، ها قد فهمت... لكني لا أصدق.

عيواظ: لماذا؟

أراجوز: إنك تقول لكل قدري دار سينما، أيمكن هذا؟...

وقدري ذاك صاحب السينما الذي تتكلم عنه...

عيواظ: يعني يا أراجوزي، إن مقولة حيث توجد الكثرة يحدث شيء، لم يقصد بها الديمقراطية... عندما تُطبَّق الديمقراطية تكفر الأحزاب.

أراجوز: أي؟

عيواظ: تنتسب إلى حزب، فإن لم تستطع ترتيب أمورك فيه، هيا فوراً تغيِّر إلى حزب آخر.. فإن لم تستطع هناك أيضاً ترتيب أمورك، هيا فوراً تغير إلى حزب آخر...

أراجوز: تغيير من أوسكودار إلى بشيك طاش... هيا، تغيير من بَبَك إلى بيكوز... ولك مثل سفينة شحاذين يا رجل...

عيواظ: ثم من هناك تغيِّر إلى غيره...

أراجوز: ومن هناك تغيير إلى هنا... ولك هل تمتلئ مؤخرتك دوداً لو بقيت في مكان واحد؟

عيواظ: ثم من هناك نغيّر إلى الآخر... وهكذا نمضي الأيام الثلاثة الباقية من عمرنا في

هذه الدنيا الفانية، معززين مكرّمين.

أراجوز: أنا لا أُدخله..

عيواظ: لماذا؟

أراجوز: ولك ماذا أفعل ببغل ابن ثلاثة أيام يا... الآن قل لي هل هذه ساحة الديمقراطية؟

عيواظ: نعم... هذه الساحة ملتقى أربع طرق يا أراجوزي.. أرأيت، انظر، هاهي ذي أربعة شوارع...

أراجوز: ما اسم هذا الشارع الذي لا ترى فيه العينُ العينَ من شدة الغبار والدخان؟

عيواظ: ذاك شارع الوطن...

أراجوز: طيب، وهذا الشارع الخرب، غير المعبد؟

عيواظ: ذاك شارع الجمهورية...

أراجوز: طيب، وهذا الشارع المليء بالوحل، وبمستنقعات الماء.

عيواظ: ذاك؟ إنه شارع الأمة...

أراجوز: طيب، وهذا الذي من هذا الطرف؟

عيواظ: شارع الحرية...

أراجوز: انظر، إن هذا واضح...

عيواظ: من أين هو واضح؟

أراجوز: انظر معي، إنه زقاق طويل لا نهاية له، لذلك... ولك أليس لهذا الطريق من آخر؟ (عيواظ يغادر) وهل أبقى هنا إن ذهبت أنت؟ أنا لم يلصقوني هنا بلاصق حكومي... وأنا أذهب أيضاً، أنسحب إلى أحضان الأمة (يغني) افتحي صدرك لقد أتيت...

فاصل

الفصل الأول

(يدخل المدير العام وهو يغني)

كبر الملفوف، وارتفع شأن الخيار،
وفزاعة الحقل صارت عملاقاً

وعن القرع إن تسأل فهو أكبر جبار،

لا تسعه المقاعد، والسِلال كبرت إطلاقاً!

انتفخ حتى صار فأر الأمس فيلا

أرأيت هباش الأمس كم كان خجولاً؟

أما اليوم فقد ضاعت البطون المقاييس،

وتعطل الميزان، وتكسرت الكفة
تكسيراً...

قال الأجداد أخبئ تبن اليوم،

فإن دار دولاب الزمان، أفادك في وقت حاجة،

سأذري البيدر طالما هذه الفرصة سانحة،

ولتتكدس الأكداس لي يا ربنا تكديساً!

عيواظ: **(يدخل)** آه يا سيدي... أي شرف، وأي سعادة هذه... أن نرى ذاتكم العالية هنا، أي حظ سعيد لعبدكم... أهلاً بكم، شرفتمونا بزيارتكم.. كيف حالكم، أنتم بخير إن شاء الله...

أراجوز: **(من النافذة)** يا له من منافق يجيد النفاق يا...

المدير العام: سلمك الله يا عيواظ جلبي...

عيواظ: ألاحظ أن شيئاً ما يشغل بال ذاتكم العالية.

المدير العام: نعم... هناك وضع صعب جداً، لم أستطع الخروج منه بأي شكل، لذلك جئت إليك...

عيواظ: أنتم تأمرون يا سيادة المدير العام... تفضلوا... ما الأمر؟

المدير العام: يا سيدي. بموجب خطة جون كلارك للمساعدات الخارجية ستقدم لنا دولة ماستاريكو سفينة من ميزانية روبرت للمساعدات...

عيواظ: عظيم، عظيم.. إن أسطولنا البحري يكبر.

أراجوز: **(من النافذة)** أواااه... كلما ازدادت السفن سيزداد الضرر.

المدير العام: ماذا تحتاج السفينة أولاً؟

عيواظ: قبطان.

المدير العام: لا.

عيواظ: طبعاً الفحم...

المدير العام: لا يا سيدي...

عيواظ: السفينة تحتاج إلى بحر أولاً...

المدير العام: السفينة تحتاج إلى اسم أولاً. أيمكن أن تكون هناك سفينة بلا اسم؟

عيواظ: طبعـ ن ن ن...

المدير العام: فما لم يكن للسفينة اسم، لا يمكن كتابة أية أوراق بشأنها.

عيواظ: طبيعي للغاية سيادة المدير العام.

المدير العام: وعلى هذا، فقد شكلنا لجنة مؤلفة من ستين شخصاً لوضع اسم مناسب للسفينة.

عيواظ: وهل استطعتم إيجاد اسم مناسب؟

المدير العام: بعد جهد ستة أشهر استطعنا العثور على اسم مناسب للسفينة التي ستأتينا من ماستاريكو.

عيواظ: وما هو؟

المدير العام: سفينة الديمقراطية.

عيواظ: مناسب جداً...

المدير العام: والآن علينا تشكيل هيئة لإرسالها إلى ماستاريكو، لاستلام سفينة الديمقراطية التي قدمتها لنا ماستاريكو كمساعدة، وجلبها إلى هنا.

أراجوز (من النافذة) عظيم... عظيم... إنها فرصة سانحة مرة أخرى للأصهار، وأولاد الإخوة، والأقارب ليذهبوا في سياحة خارجية...

المدير العام: يا سيدي، سنرسل طاقماً مؤلفاً من ثمانية عشر بحاراً، ورغم حرصنا على السرية التامة، ورغم عدم إعلاننا فقد راجَعَنا حتى الآن ثمانية عشر ألف شخص. بحيث حرت فيما أفعله. أمرت بكتابة تقارير بحق عدّة أشخاص بحجة أنهم قدموا لنا رشاوي صغيرة فأهانونا، مع ذلك لم أوفق إني أفكر الآن بإجراء امتحان، ما رأيكم؟

عيواظ: مناسب جداً؟

المدير العام: أتعرفون أحداً ينهم في البحرية وفي قيادة السفن ليمتحن هؤلاء المتقدمين يا عيواظ جلبي؟

عيواظ: لقد دُسْتُم عليه...

أراجوز: (من النافذة) إرفع رجلك!

المدير العام: نعم إني أعرف شخصاً حاذقاً على طلبكم.

المدير العام: إذن لنضمّكم أنتم أيضاً إلى الهيئة، وهكذا تشاهدون ماستاريكو.

عيواظ: لا عدمناكم يا سيدي... أدامكم الله يا سيدي...

المدير العام: من هو هذا الرجل؟

عيواظ: إنه يدّعى القبطان أراجوز، وهو ذئب بحرٍ مشهور جداً.

المدير العام: أيفهم في الأمور البحرية؟

عيواظ: إنه حفيد بربروس.

المدير العام: ياه... عظيم جداً... سيكون على ظهر السفينة ممرضة وما شابه، ومضيفة وما شابه، أيستطيع إدارة ذلك؟

أراجوز: **(من النافذة)** أستطيع، بل وأبيع أمها أيضاً.

عيواظ: إنه إداري ممتاز.

المدير العام: أيستطيع قيادة السفينة؟

أراجوز: **(من النافذة)** وهل قيادة السفينة عمل... أنا أقود الأساطيل، بل وأجفف البحار.

عيواظ: يستطيع بفضلكم يا سيدي، وأنا أساعده في ذلك.

المدير العام: عيواظ جلبي، أرسلوا لي ذلك القبطان لنتحادث...

عيواظ: أمركم يا سيدي، على رأسي يا سيدي.

(يخرج عيواظ)

الفصل الثاني

(المدير العام يغفو على الطاولة، يشخر بين الفينة والفينة. يحضر أراجوز)

أراجوز: استيقظ، استيقظ فقد أصبح الصباح على أوسكودار...

(يرتفع شخير المدير العام، يسعل أراجوز لكي يوقظه) أوحو... أوح حو... قلنا أوحو يا...

المدير العام: (يتكلم خلال شخيره): خر... سُكَّرَتي، يا روحي، يا حلوتي...

أراجوز: أمركَ يا حياتي.

المدير العام: يا فلذتي...

أراجوز: قل يا روحي، قل يا جميلي...

المدير العام: وحيدتي... خررر... أنتِ طلبت مني فراء، اشتريت لك دستة.

أراجوز: ها ماذا؟

المدير العام: أنت طلبت مني سيارة... اشتريت لك أربع سيارات... خررر طلبت حذاء، اشتريت لك خمسين حذاء...

أراجوز: جوش ش ش!...

المدير العام: طلبت قرطاً، اشتريت لك مئتى قرط... خررر...

أراجوز: أُوهًا!...

المدير العام: (يستيقظ على صيحة أراجوز): من ناداني؟ أهو أنت؟ الكرت؟

أراجوز: لم أعجب المسكين لأني خشن، إنه يبحث عن ناعمته.

المدير العام: الكرت؟

أراجوز: تركت الكرت في البيت، وجئت بنفسي.

المدير العام: من أرسلك؟

أراجوز: أرسلني عيواظ

المدير العام: ها أأنت أراجوز؟

أراجوز: أنا.

المدير العام: يعني حفيد بريروس...

أراجوز: نعم حفيد بريروس، وصهر بابا عروج، وابن أخت الرئيس خضر... ومن أعوان الرئيس الياس... ومن تلاميذ الرئيس تَمَلْ...

المدير العام: إذن فأنت سليل أسرة أرستقراطية...

أراجوز: نعم أنا ألبس سترة غير رسمية.

المدير العام: هل أنت قبطان؟

أراجوز: نعم.

المدير العام: أين؟

أراجوز: أنا قبطان طاقم مثيري الغبار.

المدير العام: إذن أنت هو؟

أراجوز: نعم، قليل من الملح، قليل من الفلفل، ذاك هو أنا...

المدير العام: طيب، إذا كان الأمر كذلك فقد عينتك قبطاناً أول لسفينة الديمقراطية، وسوف تختبر الذاهبين إلى ماستاريكو لاستلام السفينة.

أراجوز: أختبرهم.

المدير العام: لا أريد إجحافاً قط. انظر، هي ذي التعرفة معلّقة تنظر إلى التعرفة وتأخذ الرشوة على أساسها. لا أريد وساطات. انظر هي ذي قائمة معلقة تحوي مراكز ومواقع الذين يمكنهم التوسط...

أراجوز: لا تهتموا مطلقاً.

المدير العام: لقد غفوتُ طويلاً فتعبت. هيا إني ذاهب.

أراجوز: هيا مع السلامة...

(يغادر المدير العام، ويحضر المتزلّف وهو يغني)

رأسماله العشرة، تسعيناً أجعله،

ووزنك التام، أقدر أن أنقصه،
من بعضهم سرواله الممزق أنزعه،
ولبعضهم ألف معروف أقدمه.

من كان له في القمة واسطة وخال،
فثروته كبيرة لا تقدّر بمال.
ولو كان دباً هارباً من الصياد في الجبال،
أمسكه، وأدجنه، وإنساناً أجعله.

من لم يسايرني، عنيداً ألقبه،
وليبلغ ما شاء من أسباب النجاح،
فإن تجشأت مرة، حاشا الحضور،
بقصيدة هجاء قصيرة، سيرة بين الناس أجعله.

المتزلف: جئت للامتحان يا سيدي.

أراجوز: الكرت؟

المتزلف: ماذا؟

أراجوز: الكرت؟

المتزلف: كرت ماذا؟

أراجوز: كرت لعبة الشَدَّة... سنلعب معاً الشَّدَّة هنا بأربعة لاعبين، كرت ماذا يمكن أن يكون؟ كرت التوصية... مَن أرسلك؟

المتزلف: أرسلني حسن طلاّق من حمّام كولشان.

أراجوز: الرجل ظهره قوي... أما زال حمّام كولشان في مكانه؟

المتزلف: الحمام، والقرنة، والطاسة. كل شيء على حاله... فقط ذهب حسين طلاّق، وحلَّ حسن محله.

أراجوز: ولك ألم تجد رجلاً آخر غيره يتوسط لك؟

المتزلف: قال حسن طلاّق... يوجد هناك مدير عام، قال: ما عليك إلا أن توصل سلامي له، قال، وهو أيضاً منا، سيفهم، قال.

أراجوز: هم م م.... بستونات الرجل قوية... طيب وما أنت؟

المتزلف: أنا متزلّف يا سيدي.

أراجوز: يعني ما عملك؟

المتزلف: أنا أرسل برقيات التهنئة والتقدير لكبارنا أيام الأعياد والعطلات، والآحاد، ورأس السنة يا سيدي.

أراجوز: ولك هل صار ماسحو الجوخ قديماً يدعون الآن متزلفون؟

طيب، سفينة الديمقراطية بحاجة إلى متزلف، لقد قبلتك...

المتزلف: سلّمكم الله، أدامكم الله... الله يقلب التراب ذهباً بين يديكم... الله يحقق آمالكم جميعها... الله يوسع لكم في رزقكم ونصيبكم... الله...

أراجوز: الله يبليك... (بضربه) اخرّج!... بررره!...

(يخرج المتزلف، ويدخل المترجم وهو يغني)

لا أعرف ما هو الحلال، ولا ما الحرام،
يكفي أن يكون جيبي عامراً بالمال
تمام.

عميلٌ لمن كان في القمة، أنا،
كائناً ذاك اليوم فيها من كان.
لا أستطيع التخلّي عن طباعي وعاداتي:
الذاهب باشاتي والقادم آغاتي!

أنا أهتم بأرباحي،
وأن لا أخسر،
مهما كان الثمن،
إلا زوجتي.
قسيساً كان أو من الحاخاماتِ،
الذاهب باشاتي والقادم آغاتي!..

تلونت بألوان، وتنكرت بهيئاتٍ،
مستبدًا صرت، ونصير حرياتٍ،
للوطن قدمت جلّى التضحياتِ،
بالجري بين دعواتٍ وسهراتٍ.
في الصباحات وفي المساءاتِ،
الذاهب باشاتي والقادم آغاتي!

المترجم: (يتأتئ): سَ... سَ... سَ... سَ...

أراجوز: أي ي ي؟

المترجم: سَ... سَ... سَ... سيدي جِ... جِ... ج.... جئت لأدخل امتحان هـ هـ هـ هيئة الـ سـ سـ سفينة.

أراجوز: وهل أنت متزلف أيضاً؟

المترجم: بـ... بـ... بـ... بعون الله.... أ أ أ أنا أيضاً متزلف.

أراجوز: ما عملك؟

المترجم: أ أ أ أنا مُتَ.. مُتَ... تـ تـ ارجم.

أراجوز: لـَ لـَ لـ لا يمكن... ولك الرجل جعلني أتأتئ أنا أيضاً يا ... لا يمكن!

المترجم: يـ يـ يـ يمكن.

أراجوز: لـ لـ لـ لا يمكن...

المترجم: يـ يـ يـ يمكن.

أراجوز: لـ لـ لـ لا يمكن.. لا يمكن ولك ... أيعقل أن يصير المتأتئ مترجماً يا؟

المترجم: يـ يـ يـ يـ يمكن... أنا كنت مـ مـ مُذيعاً فـ فـ فـ في الإذاعة. يـ يـ يـ يمكن...

أراجوز: لا يمكن يا!!...

المترجم: لـ لـ لـ لـ لكن أ أ أنا... أرسلني ابن ضـ ضـ ضـ ضرة أخت طـ طـ طـ طباخة الخانم ز ز ز زوجة السـ السـ السـ السيد...

أراجوز: (تتهلل أساريره فجأة): هاااا، في هذه الحالة يمكن. هذه حالة مغايرة... إحكِ منذ البداية يا ابني... لقد نجحت في الامتحان...

المترجم: شـ شـ شـ شـ شكراً لـ لـ لَـ لك...

أراجوز: لـ لـ لـ لا شيء يذكر...

(يخرج المترجم، ويدخل بحار وهو يغني)

تكوَّرت بطني وصارت قرنبيطة،
وجسمي استحال خيارة قاسية،
والنفس صارت عاجزة...
لا تنظر إلى صلعة رأسي،

فأنا محظوظ محظوظ،
إذ تفتَّح الربيع في رأسي!

انظروا اللعبة الكبيرة،
يهتز خصرها بخفَّة،
أحب كثيراً ليالي الدخلة...
بلغت الستين من عمري،
وأنا أبحث عن المسرات،
إذ تفتَّح الربيع في رأسي!

في كل ربيع تجتاحني الرغباتُ،
وتأتيني النسوة والفتياتُ،
ثم تأتي المصيباتُ.
غزا الشَّيب رأسي،
ولا شي صارت لدي الحياة،
إذ تفتَّح الربيع في رأسي!

البحار: جئت إلى امتحان الهيئة الذاهبة إلى ماستاريكو...

أراجوز: وماذا يمكنك أن تعمل بعد هذا العمر، وببطنك هذه يا؟

البحار: أعمل أي عمل مهما كان...

أراجوز: هاااا، فمهت. وهذا واحد مثلي لا ينفع لأي عمل... وبأي صفة يمكن أن أعينك في سفينة الديمقراطية؟

البحار: بأي صفة تشاؤون.

أراجوز: أنت ما عملك؟

البحار: ميكانيكي...

أراجوز: هل تعرف استعمال الماكنات؟

البحار: طبعاً... فأنا أستعمل ماكنة الحلاقة بمهارة. ولم أجرح ذقني قطُّ حتى اليوم...

أراجوز: إني لا أقبلك...

البحار: ستقبلني، ستقبلني...

أراجوز: لم تنجح في الامتحان، ولن أقبلك، إه!...

البحار: ستقبلني، ستقبلني

أراجوز: أنت هرِم، و لا تصلح للأعمال البحرية.

البحار: لكن أنا معي فتاتي الغضة أيضاً...
(يصرخ) يا سكرتي ي ي...

المرأة: (من الخارج) نعم يا زوجي العزيز...

البحار: هل تأتين ا لى هنا؟

(تدخل المرأة1 وهي تغني)

لم نوجدها نحن، فهي موضة الأمريكان...
لا الجنون هكذا ولا الهستيريا أماناً، ثم الأمان!
عندما جاءت الديمقراطية تغير النمط الذي كان،
افتح عينيك يا أراجوز، ودع النوم والكسل،
وكفاك لعباً بالرمال، واهتز أنت أيضاً وتدعبل!

بعضهم هزيل لكن بعضهم الآخر مبجَّل
ليست رقصة ستّي، بل هي رقصة بلا خجل.

أنت تُحسن هذه الرقصة ، بطنك تبين ذلك أجل ،
لم يبقَ شيء ، قليلاً أيضاً تحمَّل ،
ثم اهتز وتدعبل ، اهتز اهتز وتدعبل!
لا يبقى في هذه الرقصة بنطال ولا قميص ،
وإن كنت لا تعرف ، تتعلم منهم بالنظر وبالتمحيص ،
رقصة إفرنجية هي وإن شئت يصبح تركياً الترقيص ،
كيفما شئت ، وإن شئت لا تهتز ، فقط تدعبل ،
وإن شئت إقلب رأساً على عقب وتخبط وتدعبل!

(تبدأ المرأة1 برقص رقصة الروك اندرول وتُرقص البحار وأراجوز أيضاً)

المرأة1: آه يا روحي يا سيدي ، يا وحيدي يا أراجوزي... إنكم لا تأتون لبيتي أبداً ...

أراجوز: إلى بيتك؟ من هذه المرأة يا عالم؟... لكني لا أعرف مواعيد غياب زوجك عن البيت...

المرأة1: زوجي هو هذا...

أراجوز: أي هل هذا زوج... هل أنت زوج؟

البحار: بفضلكم أُعْتَبَرُ زوجاً.

أراجوز: هيا من هنا... قال بفضلنا! أنا لم آت لبيتكم بعد، يا عالم هذا ليس زوجاً، هذا زوج ضخم...

المرأة1: آه يا روحي يا أراجوزي...

أراجوز: أمرك يا سلطانتي...

المرأة1: يا حياتي أنا...

أراجوز: قولي مت أموت يا فلذتي...

المرأة1: أرسل هذا الزوج الضخم إلى كاشكاريكو، ماستاريكو. لا أدري أين. ولنبق أنا وأنت سوية.

أراجوز: أرسلته وذهب...

البحار: أطال الله عمرك..

أراجوز: انتظر لا تذهب... ما العمل الذي سنكلفك به؟

البحار: عينّي بحار مؤخرة، لأني في المدرسة أيضاً كنت في المؤخرة...

أراجوز: حسناً عيَّنتك بحاراً لمؤخرة سفينة الديمقراطية.

المرأة1: حذار أن تنسى جلب معطف لي في عودتك، وإلا لا أُدخلك إلى البيت.

البحار: ممنوع إدخال رجل غريب إلى البيت، عدا المذكورين في القائمة التي أعطيتك إياها..

المرأة1: يا سلام، وهل يمكن أن أخونك؟ أنا أفعل ما تقوله أنت... استودعناك الله...

أراجوز: مع السلامة.. اصرفي الرجل وتعالي...

(تذهب المرأة1 وبحار المؤخرة)

(يدخل الصبي الذكي وهو يغني)

أمي الحبيبة اذرفي علي الدمع السخين،
وحلّي حقوقك لي فأنا مسافر بالسفين،
لا آمل أن يساعدني أحد أو إياي يعين،
وإن غرقت ولم أعد إبقَيْ عني تسألين،

الصبي الذكي: عمي!... يا عمي!... وأنا أيضاً جئت للامتحان.

أراجوز: سنك غير مناسب، هيا هيا...

الصبي الذكي: لكني صبي ذكي يا عمي أراجوز...

أراجوز: وما الدليل؟

الصبي الذكي: سل ما تشاء فأجيبك...

أراجوز: حسناً، إذا كان الأمر كذلك، قل لي... ما اسم أبيك؟

الصبي الذكي: لا، لا تسل أسئلة صعبة للغاية... أنت نفسك لا تعرف الإجابة على هذا السؤال... من هو أبوك هل تعرف؟

أراجوز: اخرس ولك...

الصبي الذكي: يا عمي أراجوز، وأنا أيضاً مثلك حفيد بربروس.

أراجوز: من قال لك ذلك؟

الصبي الذكي: في المدرسة، قال معلمنا لجميع تلاميذ الصف، أولاد بربروس.

أراجوز: أي، وماذا سيحدث؟

الصبي الذكي: أنت ابن بربروس، وأنا كذلك... يعني إننا قريبان... إذن اشملني برعايتك يا عمي أراجوز...

أراجوز: طيب ولك، قبلتك كمرافق لي. هيا اذهب بسرعة إلى الديوان واعمل أوراقك...

الصبي الذكي: تعيش ولك عمي أراجوز.

(يخرج الصبي الذكي، وتدخل المضيفة وهي ترقص التويست)

المضيفة: هل أنتم القبطان أراجوز؟

أراجوز: أنا يا روحي... أتأمرون أي أمر يا سلطانتي؟

المضيفة: كنت قادمة لأجل الامتحان...

أراجوز: وما الحاجة للامتحان يا جميلتي، إن إمكانياتكم العالية مكشوفة وظاهرة للعيان.

المضيفة: هل أُبرز شهادتي؟

أراجوز: لا، أنا فِداكِ لا تبرزي... فإن رأيت لا أحتمل.

المضيفة: هل أريك ورقة حسن الحال؟

أراجوز: أقبل قدميك يا فلذتي، لا داعي... فالحال كله ظاهر في الميدان...

المضيفة: هل قبلتموني؟

أراجوز: نعم قبلتك.

المضيفة: طيب، وماذا ستعيِّنوني في السفينة؟

أراجوز: ما تريدينه أنت... وأنا أكلم المدير العام، إن شئت فليعينك قبطاناً. وإن شئت ليعينك ضابطاً فنياً، وإن شئت ليعينك ميكانيكية...

المضيفة: لا، فليعيِّنّي مضيفة... خاصة أنني كنت سابقاً مضيفة.

أراجوز: على رأسي...

المضيفة: شكراً لكم... ابقوا بخير...

أراجوز: مع السلامة يا سلطانتي يا سيدتي...

(تخرج المضيفة، ويدخل القبطان)

القبطان: جئت للامتحان يا سيدي.

أراجوز: لقد اكتمل كادرنا.

القبطان: لكني خريج المدرسة البحرية العليا في إنكلترا.

أراجوز: في هذه الحالة لا يمكن مطلقاً...

القبطان: لماذا؟

أراجوز: يا هذا، هناك بيننا من لم يروا البحر بتاتاً... فإن دخلت أنت الآن بيننا ستكون شاذاً، وستخرب مجموعتنا...

القبطان: لكني كنت القبطان الأول لبواخر نروجية.

أراجوز: تجاوز هذه الأمور... هل لديك كرت توصية؟

القبطان: لدي شهادتي، ولدي وثيقة خبرة وحسن عمل.

أراجوز: مثل هذه الأشياء لا تمشي هنا.

القبطان: لماذا؟

أراجوز: نظراً لكثرة الشهادات والوثائق المزوّرة ولعدم إمكانية التمييز بين المزوّرة والسليمة، فقد أبطلت الحكومة الشهادات والوثائق جميعها... فإن كان لديك كرت توصية موقّعاً فهاته لأعينك مسؤولاً عن حبال مرساة سفينة الديمقراطية.

القبطان: لكني أعرف اللغة الإنكليزية، والألمانية، والفرنسية...

أراجوز: هاها يجب أن تستفيد الدولة والأمة منك... ما دام الأمر كذلك فقد عينتك معاون محاسب لمعمل ورق الذباب الحكومي في جميش كَزَك... لكي لا تبقى جائعاً على الأقل، وأنت تحمل كل تلك الشهادات... هيا اذهب فوراً وكن

على رأس عملك، فإن تأخرت تعرضت لمساءلة قانونية... هيا لا تقف، أسرع!...

(يخرج القبطان)

المدير العام: جئت أشكركم يا عيواظ جلبي.

عيواظ: آه يا سيدي، ما أسعدني إذا كنت قد قدمت خدمة ما.

المدير العام: إني ممتن جداً من القبطان أراجوز الذي أرسلتموه لي.

إنه قبطان رائع على البر، وإن استطاع أن يكون قبطاناً في البحر أيضاً فحلال عليه!...

أراجوز: (من النافذة) في البحر يدور رأسي، وتسودُّ عيناي، وتقلب معدتي.

عيواظ: سيدي، لولا دوار البحر، ولو كان يعرف السباحة، ويعرف قيادة السفينة قليلاً، لما عُدَّ قبطاناً سيئاً.

أراجوز: (من النافذة) ولك عَوَظْوَظْ، أنا سأريك.

المدير العام: وأنتم هل جهزتم نفسكم؟ فالعرض

يوشك أن يبدأ ، وبعده سيلقي القبطان أراجوز كلمة ، ثم تسافر الهيئة... أنا ذاهب إلى ساحة كشتري لأستمع إلى كلمة القبطان أراجوز.

عيواظ: وأنا سأجهز نفسي... مع السلامة يا سيدي.

زوجة (من الداخل) انظر إلي... هناك في

عيواظ: كاشكاريكو التي ستذهب إليها...

عيواظ: ليست كاشكاريكو، بل ماستاريكو...

زوجة عيواظ: أي وجع قلب كانت تكون، يقال بأن فيها نساء غانيات يخلبن عقول الرجال، حذار أن يخطر ببالك اللهو معهن...

عيواظ: آه يا زوجتي العزيزة ، وهل يمكن أن أشم وردة أخرى من بعدك... علي أن أذهب لمقابلة القبطان أراجوز لأرى ما العمل الذي سيسنده إليَّ في سفينة الديمقراطية...

(أراجوز وزوجته يتشاجران في البيت
تصل أصواتهما من الداخل).

زوجة أراجوز: هووو...

أراجوز: نعم...

زوجة أراجوز: أحضر لي معك من هناك خمس ست دستات ثياب نوم نايلون.

أراجوز: حاضر...

زوجة أراجوز: هووو... أحضر لي معك من هناك عشرة، خمس عشرة دستة ثياب صباحية نايلون.

أراجوز: هوووو. حاضر...

زوجة أراجوز: هووو...

أراجوز: هووو

زوجة أراجوز: أحضر لي معك من هناك أربعين خمسين كيلوت نايلون..

أراجوز: انظري هذا لا أستطيع جلبه.

زوجة أراجوز: لماذا؟

أرجوز: أنتِ غير معتادة على كيلوتات النايلون، فهي لا تقف في أعلى رجليك، لذلك...

زوجة أراجوز: هووو... أحضر لي معك من هناك...

أراجوز: ولك هل ستفتحين دكاناً لبيع الملابس الداخلية يا...

زوجة أراجوز: نبيعها هنا ونغتني... هووو...

أراجوز: هووو... ماذا أيضاً؟

زوجة أراجوز: هووو اجلب لي معك من هناك عشرة معاطف فرو، وأربع خمس سيارات.

أراجوز: ولك السفينة تغرق هكذا... المرأة ستجعلني أُغرق سفينة الديمقراطية...

(يدخل عيواظ إلى المسرح، ويطرق باب أراجوز)

أراجوز: مَن ن ن؟

عيواظ: افتح الباب يا أراجوزي، أنا جئت.

أراجوز: من أنت؟

عيواظ: أنا... أنا ياخي.

أراجوز: أنت... أنت ياخي.. من أنت؟

عيواظ: أي أنا...

أراجوز: أي أنت من؟

عيواظ: آه يا أراجوزي، أنا صديقك الوفي لسنوات طويلة...

أراجوز: امرأة وفيّة نصف مهووسة؟

عيواظ: يا روحي أنا أخوك الروح بالروح لسنوات طويلة...

أراجوز: ماذا يفعل الحور والبلوط هنا؟ هيا إلى الغابة!...

عيواظ: يا روحي يا سيدي، أنا عيواظ، عيواظ...

أراجوز: عيواظ؟ ومن يكون هذا؟

عيواظ: إذن فقد كبر أنفك، وما عدت تعرف الآن صديقك القديم...

أراجوز: نعم لقد كبر أنف القصر، وما عاد يبالي بجلده القديم..

عيواظ: أراجوزي، ألست أنا الذي أمَّنت لك هذا الموقع؟

أراجوز: أنا لا أتنازل وأتكلم مع أمثالك... أنا حفيد بربروس قائد الأسطول أراجوز باشا.

عيواظ: ولك يا هَوا أأنت حفيد بربروس وأنا حفيد القرصان ميخائيل؟
أنا أيضاً حفيد بربروس...

أراجوز: ما هذا يا، الجميع أحفاد بربروس... في الأربعين سنة خطر لنا أن ننتسب إلى نسب كبير، وإذ بنا نصبح أقارب مع الجميع...

عيواظ: انزل يا أراجوز.

أراجوز: أنا اعتدت الأعالي، ولا أستطيع النزول لتحت بعد الآن...

عيواظ: أنا أقول لك انزل...

أراجوز: لا أستطيع النزول... إنما قد أسقط سقوطاً...

عيواظ: أنا أعرف كيف أنزلك... (يصرخ كمن ينادي كلباً) تعال أراجوز، أراجوز، أراجوز، أراجوز. تعال أراجوز، أراجوز. أراجوز...

أراجوز: (يقفز من النافذة ويضرب عيواظ): ولك ما هذه المناداة، هل أنا كلب...

عيواظ: ولكن انظر كيف فهمتَ لغتك ونزلت بسرعة البرق...

أراجوز: ماذا تريد؟

عيواظ: وأنا أيضاً أريد الذهاب إلى ماستاريكو.

أراجوز: لا يمكن...

عيواظ: لماذا يا أراجوزي؟

أراجوز: لأن الكادر امتلأ..

عيواظ: أرجوك يا أراجوزي...

أراجوز: هل لديك بطاقة توصية؟

عيواظ: لا...

أراجوز: هل لديك كتاب التماس؟

عيواظ: لا...

أراجوز: ولماذا أنت عائش إذن، اذهب وارمِ نفسك من أعلى سطح القصر...

عيواظ: لكن يا أراجوزي...

أراجوز: طيب، في هذه الحالة سأمتحنك.

عيواظ: هل يمكن يا روحي؟

أراجوز: ولك رذيل، مضت كل هذه السنين وأنت تمتحنني، والآن الفرصة سانحة لي، سأمتحنك أنا أيضاً مرة.

عيواظ: طيب...

أراجوز: ولك وافق يا... والآن ماذا يجب أن أسأله لكي لا يعرف... طيب... سأعزف الآن قطعة موسيقية. وعندما أنتهي من العزف سوف تجيبني فوراً ومرة واحدة لمن هذه القطعة الموسيقية. ها أنذا أبدأ العزف...

(يخرج من أنفه صوتاً مقلداً صوت البوق، موقعاً لحناً)

هيا قل لأرى...

عيواظ: وماذا فيها كي لا تُعرف... إنها مقطوعة نيشابورك من مقام بُشرف كرداني للحاج تحسين بيك مندبوري...

أراجوز: بورك بالنشا مع شراب كردان؟ ولك يبدو أنه عرف...

طيب إذا كان كذلك، خذ من هناك علبتي معجون أسنان واذهب وكلهما في بيتك بالعافية...

عيواظ: لاا!، لقد نجحت في الامتحان...

أراجوز: طيب، طيب... كنت سآخذ ثمانية عشر شخصاً، فأخذنا مئة وثمانين، ولتكن أنت المئة والواحد والثمانين... سنحدث شاغراً لأجلك.

عيواظ: أدامك الله...

أراجوز: كم من المغفلين دخلوا هذه الهيئة، وهل أنت أدنى منهم يا...

عيواظ: انظر يا أرجوزي، سيبدأ العرض، وبعده ستلقي أنت كلمة...

إن عشرات ألوف الأشخاص ينتظرونك في ساحة كشتري.

(يبدأ العرض. يمر من المسرح، أراجوز في المقدمة، يتبعه عيواظ وبقية الشخصيات، على أنغام موسيقى عسكرية أولاً، ثم موسيقى شرقية راقصة، ثم موسيقى غربية صاخبة).

أراجوز: **(يلقي كلمة)** يا سادتي... وهاأنذا ألقي كلمة الآن..

أيها المواطنون (يسعل) إن أسطولنا البحري يكبر سنة بعد سنة، يكبر شهراً بعد شهر، يكبر أسبوعاً بعد أسبوع، ويوماً بعد يوم... وما أريد أن أقوله بعد ذلك إننا زدنا كل شيء منذ أن استلمنا العمل. كانت الخسائر خمسة عشر مليوناً في العام الماضي زدناها ورفعناها إلى مئة مليون لهذا العام

(أصوات استهجان يويو) يبدو أنني أسأت التعبير... القصد، أن يخرج الدخان

صحيحاً... (يسعل) قبل أن أصبح قائداً للأسطول كان يخرج مئة ألف كيس من الدخان، بينما الآن فإننا رفعنا كمية الدخان الذي تخرجه البواخر يا سادتي إلى عشرة أضعاف. وسوف نزيد الكمية مستقبلاً... إننا نريد أن نمنح كل مواطن كيساً من دخان البواخر، لكن الأكياس لا تكفي.

(أصوات تصفيق) ثم... تماماً كما فعلنا في السيارات والشاحنات، سوف نضع على مقدمة كل سفينة لوحة كتب عليها ما شاء الله...

(أصوات تصفيق) أيها الصحفيون إني أخاطبكم، عندما تكتبون الخبر لا تتجاهلوا التصفيق.

اكتبوا "تصفيق حاد ومستمر"، وللتسهيل على المهربين فإننا وبحسب خطتنا الخمسية عمدنا إلى فتح ثقوب سرية خاصة في السفن، بحيث يعرف كل شخص ثقبه الخاص به ولا يعتدي

أحـد علـى أغـراض أحـد... (تصفيق) والآن فـنحن ذاهـبون إلى ماسـتاريكو لنأتـي بسفينة الديمقراطية.

(تصفيق)

الفصل الثالث

(على المسرح سفينة عتيقة، مليئة بالرقع
كتب على مقدمتها "الديمقراطية")

أميرال: ويل كام تو ماستاريكو مستر أراجوز...

أراجوز: ماذا يقول هذا الرجل يا عالم... مترجم، ولك يا مترجم تعال بسرعة...

(يدخل المترجم)

المترجم: تـ تـ تفضلوا.

الأميرال: ويل كام توماستاريكو مستر أراجوز...

المترجم: لـ لـ لـ لـ لكنني لا أفهم...

أراجوز: ولك أي مترجم أنت؟

المترجم: أ أ أنــا لا أعــرف لــ لــ لغــة مــ مــ مــ ماستاريكو... أ أ أنا أنقل من الكـ كـ كـ كأكأة إلى البـ بـ بـ بأبأة...

أراجوز: اذهب بسرعة واعثر لي على مترجم من هنا...

(يخرج المترجم، ويدخل الأرمني)

الأرمني: أهلاً روحي كبدي أراجوزي... من أين خرجت؟

أراجوز: مضت سنوات عديدة ونسيت منذ زمن طويل من أين خرجت...

الآن اترك هذا الكلام الفارغ وانظر ماذا يقول هذا الرجل...

الأرمني: (يقترب من الأميرال، ثم يقول): يقول الباشا أميرال ماستاريكو ليأخذوا هذه السفينة التعيسة عن رأسنا ويذهبوا بها، فنتخلص منها يقول...

أراجوز: آخ أهذه هي السفينة؟ أو يقولون عن هذه سفينة؟

الأرمني: يقول الباشا الأميرال إنها سفينة تاريخية جداً يقول، وهذه الرقعة في أسفلها ذكرى من حرب عام 1894 يقول، وهذه الرقعة باقية من حرب عام 1765، وهذا الثقب ذكرى من حرب عام 1768 يقول... وهذه الرقعة...

أراجوز: ولك حتى في بنطالات عمال الانشاءات لدينا لا توجد كل هذه الرقع... ولك كيف سنأخذ هذه الخردة؟

الأرمني: يقول الباشا الأميرال إنه يجب أولاً التوقيع على اتفاقية ثنائية، ويقول إنها يجب أن تكون في غاية السرية...

أراجوز: حاضر، فلتوقع...

الأرمني: يقول الباشا الأميرال، إن لنا شروطاً يقول إنكم ستشترون منا ما تحتاجه السفينة من بنزين، وفحم، ومازوت، وشحوم وماء، وملح، وفليفلة وكل شيء يقول...

أراجوز: نحن عدلنا يا... لن نأخذ هذه السفينة...

الأرمني: يقول الباشا الأميرال، سيأخذونها غصباً عنهم يقول... لقد وقّعوا على الاتفاقية، يقول...

أرجواز: يا لأمه، لقد تخوزقنا ولا...

الفصل الرابع

(الشخصيات في السفينة. السفينة تتمايل وتهتز)

أراجوز: (يخرج صوتاً كمن سيفرغ معدته): ولك سوف نغرق... لقد وضعتم البضائع المهربة كلها في طرف واحد... وزعوها على الطرفين لنحافظ على التوازن.

عيواظ: أفضل حل أن يضعوها في وسط السفينة تماماً.

أراجوز: اسمع كيف تشتغل ماكنات السفينة.

(يُسمع صوت الماكنات: لا تحاول يا قبطان لا يمكنني الإبحار... لا تحاول يا قبطان لا يمكنني الإبحار.. متُّ وانتهيتُ ولم أخلَص... متُّ وانتهيتُ ولم أخلص... لا تحاول يا قبطان لا يمكنني الإبحار...)

عيواظ: أراجوزي، يقول البحارة "مضت سنتان ونحن في البحر" سوف يعلنون العصيان...

(تحدث فرقعة، تصعد السفينة فوق تلة).

أراجوز: أواه.. إننا نغرق...

عيواظ: في أي بحر نحن يا ترى؟

أراجوز: ولك أي بحر ولك، انظر لقد صعدنا فوق تلة. إننا نسير في البر مثل سفن محمد الفاتح... تعال نعمل سرفيس على الأقل... واحد إلى تقسيم، واحد إلى حي تقسيم...

عيواظ: لقد خرجنا إلى جزيرة، ولكن أي جزيرة هي يا ترى؟...

أراجوز: أرأيت يا عيواظ، لقد أحرقنا الأميرال... ولك حذار من أن يكونوا قد أخرجونا إلى جزيرة ياسي وهو يقول اتفاقية ثنائية، اتفاقية سرية... لتكن أي جزيرة ما كانت إلا جزيرة ياسي...

(يخرج عيواظ، ويدخل الصبي الذكي)

الصبي الذكي: عمي أراجوز...

أراجوز: ما بك ولك؟

الصبي الذكي: عمي أراجوز...

أراجوز: ما بك ولك؟

الصبي الذكي: أتريد أن تعرف ما هي هذه الجزيرة؟

أراجوز: نعم...

الصبي الذكي: كنت أنال دوماً علامة جيد جداً في الجغرافيا، أنا أعرف كل الجزر.

أراجوز: قل إذن في أعلى أي جزيرة نحن؟

الصبي الذكي: هي ليست جزيرة قبرص..

أراجوز: جزيرة ماذا؟

الصبي الذكي: وليست جزيرة غرينلاند أيضاً...

أراجوز: ولك جزيرة ماذا هي قل ذلك...

الصبي الذكي: ليس في الجغرافيا مثل هذه الجزيرة يا عمي أراجوز...

أراجوز: أنكون قد اكتشفنا جزيرة

جديدة؟ في الليل لا نستطيع تبين أي مكان... الصباح رباح...

(يدخل عيواظ)

عيواظ: بشرى... بشرى! بشرى يا أراجوزي...

أراجوز: ما بك تصرخ، هل أنت راصد كريستوف كولمبس ولك...

عيواظ: أرجوك يا أراجوزي، نحن دخلنا مياهنا الإقليمية ولا علم لنا، نحن الآن في الخليج...

أراجوز: خمّنت ذلك من الرائحة... بل لقد بدأت أشعر بالتسمم... حسناً ولكن ليس في الخليج جزيرة يا عوَظْوَظ، فعلى رأس أي مرتفع صعدنا؟

عيواظ: أرجوك يا أراجوزي هذه ليست جزيرة... نحن لجأنا وسكنا فوق المزيلة...

أراجوز: إذن فليجتمع البحارة جميعاً... لننشد سوية نشيد سفينة الديمقراطية...

(ينشدون النشيد)

ما الذي حصل هكذا فجأة لدفّة هذه السفينة؟

الدفّة مكسورة، لكنْ لا أحد ينتبه لها،

فليحرق الحنّاء الآن أبطال الكلام.

بعضهم يخرس وكأنه بلع توتاً، وبعضهم يصدر البيان،

مهما حاولتَ فإن سفينة الجبنة هذه لا تسير بالكلام!

تتلاحق البنات وتتراكض في الحمام النسوان،

مثل سفينة نوح فيها من أجناس الحيوان وفيها الإنسان،

الآراء تخرج من الميكانيكي وقائد الدفّة ومن الرُّبّان،

عندما يتنطح للمهام الجهلة مثل الأعلام،

مهما حاولتَ فإن سفينة الجبنة هذه لا تسير بالكلام!

انكسرت رجل الحافلة ، وها قد حطّت على الرمال!

هناك خطأ لكننا لم نفهم ما الذي كان ،

ستنقلب السفينة ، فقد بدأ طرفها بالمَيَلان ،

لا تظنه قائداً كل من قال أقدر على إدارة الزمام ،

مهما حاولتَ فإن سفينة الجبنة هذه لا تسير بالكلام!

أراجوز: هيا نخرج إلى البر بسرعة يا رفاق ، لننقذ أرواحنا .

الخاتمة

عيواظ: أراجوزي، ما الذي جرى ما الذي صار، فيما كنا نغربل الدقيق نزل جمل من الغربال؟

أراجوز: (يضربه): حاشا الحضور لا فرق بينك وبين الحمار.

عيواظ: كسر الله يدك وذراعك يا أراجوز...

أراجوز: أزيد وأضيف، وأضمّ يدي الاثنتين وأضربك أيضاً (يضربه).

عيواظ: هدمت المسرح وجعلته خراباً. فلأذهب وأخبر صاحبه فوراً.. (يخرج).

أراجوز: نعتذر عن جميع زلات اللسان ونأمل عفوكم!...

وأنت يا عيواظ إذا وقعت غداً بين يدي في مسرحية الحلاق سترى ما سأفعله بك.

(2)

الحلاق أراجوز

الشخصيات

عيواظ

أراجوز

طوسون

امرأة رقم1 (رجي يمثل دور امرأة)

امرأة رقم2 (رجل يمثل دور امرأة)

زوجة أراجوز

شرطي

راقصة تَعَرٍّي (ستريب تيز)

مرابي

مدخل

(يدخل عيواظ وهو يغني هذا السماعي)

نستدين ديناً فوق دين. فإن دفتراً لدينا!
ليست لدينا بضاعة، لكنَّ زبائن للبيع لدينا!
أتسأل عن دليل يدلك على الطريق؟
صحيح أنه لا يفيد، لكن دليلاً للهاتف لدينا!
آه، أوااه!
آه، أوااه!...

أراجوز: (من النافذة) ها قد بدأ ينعب مثل الغراب.

عيواظ: آه، أواه!

أراجوز: (من النافذة) يا عديم النفع، يا دائم الثرثرة...

هيا انهض،

والتفت إلى عملك!

(عيواظ يلقي مقطوعة التغزل بالمسرحية)

الشمعة تذوب، والقلب من الداخل يحترق، وظاهرها براق مسرحيتنا

الهم يبقى لنا، ودليل فرحنا وسعادتنا مسرحيتنا.

أنظر قطرة الشمع التي تسيل من حرٍّ دموعي الساخنة

حتى وإن كانت الدنيا ظلاماً حالكاً، تفجر قهقهاتكم مسرحيتنا

لا أحد يعرف شيئاً عن حالنا، فمسرحيتنا تخفينا،

تقول جوهر الحقيقة، ذات صيت وشهرة مسرحيتنا!

أيتها السيدات المحترمات جداً، أيها السادة! ومن ثم أيتها السيدات غير المحترمات والسادة قبل أن نبدأ تسليتنا،

علـي أن أرسـل لـسادتنا أولـئك أصـحاب القدرة والدولة والشوكة والمهابة والسعادة والعزة...

أراجوز: (من النافذة) إن كنت رجلاً أكمل...

عيواظ: لأعمار سادتنا أولئك الدعوات...

أراجوز: (من النافذة) إيه يا صاحب لحية التيس، يا منافق...

عيواظ: الصديق لي تسلية، الصديق لي تسلية...

(يغني)

على طريق الحرية

في يسار الوسط

بذراع الباشاااا...

أموره ماشيااااا...

المدد، فالصديق لي تسليا....

أراجوز: (من النافذة) ولك يا من لا أحد يعرفني كما تعرفني أنت... ولك يا من لا أحد يعرفك كما أعرفك أنا... ولك ما بك عند هذا الصباح تصرخ أمام الباب كمهووسٍ

حُكمٍ سقط عن كرسي مكسور؟

عيواظ: الصديق لي تسلية، الصديق لي تسلياا!...

أراجوز: (من النافذة) ولك لا تصرخ هكذا كمن ينادي على أصوات الناخبين...

عيواظ: (يغني):

خضنا بشطارة حروباً مختلفة على مدى أربعين سنة

استدنّا خلالها خمسة وأربعين ملياراً حتى من الطيور الطائرة.

سيدي، ليس هذا ما قصدته بقولي...

فمعلمنا، فريدنا كشتري

أمسك بيده خنجره النشتري

لنرَ أعمال معملنا

لأي حال أودت بنا...

لو أن لي خلال إقامتنا لثلاثة أيام، يعني في هذه الدنيا الواسعة القاع يا سيدي. صديقاً له فم وليس له لسان، له ذراع

وليست له كف، يهز رأسه موافقاً على كل ما أقوله، تفكيره يماثل تفكيري، لو أني أعزف فيرقص هو، لكن النقوط أجمعها أنا، لو جاء من الأناضول، لو جاء من الباباضول لو يعرف اللغة الأم، لو يعرف اللغة الأب، لو يعرف الدستور، لو يعرف الباسور... لو يعرف الأناتومي، لو يعرف الباباتومي...

أراجوز: (من النافذة) ولك لو عثروا على مثل هذا لجعلوه صدراً أعظم للبلد، يا عديم النفع...

عيواظ: لو يقول نعم، لكل ما أقول... لضحك السيدات والسادة المتفرجون والمستمعون المحترمون ولتسلوا... هيا نأمل أن يكون زهرنا الليلة درشيش...

أراجوز: (من النافذة) وإن جاء الزهر معاكساً سيحتد عوَظْوَظ كثيراً، كلما جاء الزهر معاكساً احتد، وكلما احتد جاء الزهر معاكساً، وكلما جاء الزهر معاكساً احتد...

عيواظ: الصديق لي تسلية، المدد يا ناس... الصديق لي تسليا!!...

أراجوز: (من النافذة) ولك سأهرسك إذا نزلت إليك...

عيواظ: الصديق لي تسليا!!...

أراجوز: إني قادم لأطبخ على رقبتك بوظا!!...

(يرمي بنفسه على رأس عيواظ، يتعاركان ويتضاربان وكلّما نالت أراجوز ضربة يصيح بانفعال).

أراجوز: لا تمسكوني!... اتركوني يا هو!.. ولك لا تمسكوني يا... (ينال ضرباً مستمراً) اتركوني، دعوني آكل هذا العيواظ... ولك، أليس هناك من مغيث... لا تمسكني يا... ألا يوجد مسلم ينقذني... ولك دعوني، لا تمسكوني... أين سكيني ومسدسي، أين بارودتي ومدفعي؟

(يخرج عيواظ، بينما أراجوز يئن وهو منبطح أرضاً)

أراجوز: أوف، الغوث يا أصدقاء... مت، انتهيت... آه يا ذراعَيَّ يا أطرافي... آه يا لحمي، آه يا فخذَيَّ، آه يا أحشائي ويا رأسي ورجليَّ، يا خيولي المتكسرة، يا خيولي المطهمة، يا خيولي الشهباء... ولك يا عيواظ ألن أمسك بك في الانتخابات القادمة عندما تأتي لتستجدي وتشحذ أصوات الناخبين... سترى عندها...

زوجة أراجوز: (من النافذة) ما هذا يا سيدي، ما هذه الحالة؟

أراجوز: لا شيء مطلقاً...

زوجة أراجوز: إذا كنت في هذه الحالة وليس هناك شيء مطلقاً، فكيف ستكون لو حدث شيء...

أراجوز: قلت لا شيء أبداً، هكذا... ضربت عيواظ قليلاً ولذلك.

زوجة أراجوز: كيف ضربته؟

أراجوز: هكذا ضربته ضرباً مبرحاً... ضربت رأسي على قبضته، ضربت رأسي على

قبضته... ضربت خدي على كفّه، ضربت خدي على كفّه، ضربت رجلي على قدمه، ضربت رجلي على قدمه... لقد أنهكت وأنهيت عيواظ...

زوجة أراجوز: ولِمَ أنت مستلق أرضاً هكذا؟

أراجوز: من سعادتي... وربما وصل عيواظ إلى المقبرة الآن.

زوجة أراجوز: ألم تتأثر أبداً لصديق كل هذه السنين... أواه يا عيواظ أواه!... (تغادر النافذة وهي تبكي).

أراجوز: (يضحك): إيه... بلعتها المرأة.. على أية حال، لم نمسح رجولتنا بمسحة من ضعف أو لين.

حوار

عيواظ: (يدخل): آه يا سيدي، كيف حالك يا روحي يا أراجوزي؟

أراجوز: تسلم، أنا بخير يا عَوَظوَظْ...

عيواظ: أُه أُه، صرت ممنوناً لذلك... وكيف حالك أيضاً؟...

أراجوز: أيضاً؟ إني بخير كما ترى...

عيواظ: أُه أُه، صرت ممنوناً جداً... أمدَّك الله بالعافية... إيه، وأيضاً أيضاً كيف حالك؟

أراجوز: ها؟

عيواظ: أقول أيضاً أيضاً كيف حالك...

أراجوز: ايضاً أيضاً... إني بخير...

عيواظ: أرجوك كن بخير، كن بخير دائمٍ... إيه،

وغيره إيش في إيش ما في، أيضاً أيضاً أيضاً كيف حالك؟

أراجوز: قلنا إني بخير يا أخ...

عيواظ: أرجوك أن تكون بخير...

أراجوز: أنا بخير جداً، وأنت كيف حالك؟

عيواظ: أدامك الله، أنا بخير، وأنت كيف حالك؟

أراجوز: هوبا... الرجل سيبدأ من البداية... إني بخير يا هذا، إني بخير كما ترى...

عيواظ: سررت لكونك بخير يا أراجوز... طيب، وبشكل آخر أيضاً كيف حالك؟

أراجوز: بشكل آخر؟ بشكل آخر أيضاً إني بخير... وانت كيف حالك؟

عيواظ: أنا بخير، وأنت كيف حالك؟

أراجوز: أنا بخير يا، وأنت كيف حالك؟

عيواظ: وأنا أيضاً بخير...

أراجوز: بخير كما ترى ولك، أنت بخير وأنا بخير، يكفي يا....

عيواظ: أشكرك يا أراجوز، رأيتك فصرت أحسن حالاً. عليَّ أن أسأل عنك، كيف حالك؟

أراجوز: العمى في عينك... ولك أما قلنا إني بخير...

عيواظ: إذن فأنت بخير... اوه، اوه... أي، وأيضاً أيضاً أيضاً أيضاً كيف حالك؟

أراجوز: أنت بخير، وأنا بخير، هكذا كما ترى، صار وانتهى...

عيواظ: أي وبعد؟

أراجوز: خير...

عيواظ: أيضاً أيضاً؟

أراجوز: الآن سأجن... ولك أنت ألا تعرف كلاماً آخر؟

إني بخير، بخير، بخير، ولك عشر مرات أنا بخير يا...

عيواظ: وأنا بخير والحمد لله، علي أن أسأل عنك، أنت كيف حالك؟

أراجوز: أنا بخير، أنت كيف حالك؟

عيواظ: وأنا بخير، فكيف حالك أنت؟

أراجوز: أنت بخير، فكيف حالي أنا؟ قل ولك كيف حالي؟

عيواظ: أنت بخير، فكيف حالي أنا؟

أراجوز: أنت بخير، كيف حالي؟ ولك أربكتني يا عديم النفع...
أنا الذي أسألك، أنا بخير، كيف حالك؟

عيواظ: إني داعٍ لكم... إيه، وغيره أيضاً؟

أراجوز: عيواظ، أهرسك ها...

عيواظ: وغيره إيش في إيش ما في؟

أراجوز: غيره؟ إيش ما في إيش في...

عيواظ: طيب... إيه؟ وبعد؟ أيضاً أيضاً أيضاً أيضاً أيضاً؟

أراجوز: (يضربه): أيضاً أيضاً إني بخير، أنا بخير، كيف حالك أنت؟

(يضربه) أنت بخير فهمنا ، كيف حالي أنا؟

عيواظ: ما بك تضرب يا أراجوزي؟ إنك لا تفهم البتة في الكياسة واللباقة... عندما يلتقي صديقان ببعضهما فإنهما يسألان عن أحوال بعضهما...

أراجوز: فهمنا.. ولك كم مرة يسألان.. مرة، مرتين.. خمس مرات...

عيواظ: أراجوزي يا روحي، إن لم يكن هناك من حديث بينهما ، فإنهما بالطبع لن يبقيا ساكتين كقُبَّرَتَين... ومن قبيل اللباقة يسألان بعضهما عن الحال والخاطر كوسيلة للحديث وفتح باب موضوع ما... فمثلاً ها نحن قد التقينا هنا بك. فإما أن أسألك، وإما أن تسألني... هيا اسألني أنت...

أراجوز: ماذا أسألك؟

عيواظ: قل "كيف حالك يا عيواظ؟"!...

أراجوز: كيف حالك يا عيواظ؟

عيواظ: شكراً لك، إني بخير، كيف حالك أنت يا أراجوز؟

أراجوز: وأنا أيضاً بخير...

عيواظ: أوه أوه.. سررت لذلك، أيضاً كيف حالكم؟

أراجوز: (يضربه): ولك هل سنبدأ من جديد، اتضحت المسألة، كلانا بخير...

عيواظ: أراجوزي، أنا لم أستطع تعليمك الكياسة واللباقة... لنقل الآن إننا خارجان من هنا، ماذا ستقول لي؟

أراجوز: أقول لك "اطلع برَّه ولك!"...

عيواظ: أيصير هذا؟

أراجوز: إذا ما صار أفرمك.

عيواظ: ما صار يا... يجب أن تقول لي "أرجوك تفضلوا أنتم أولاً"، فأرد أنا وأقول لك "أستغفر الله يا سيدي.. أسترحمكم أن تتفضلوا أنتم أولاً".

أراجوز: ثم، من منا سيتفضل؟

عيواظ: لـن يتفـضل أي واحـد مـنا. فالكياسـة واللباقة تعني التواضع.

أراجوز: أهـذه هـي الكياسـة الـتي تـتحدث عـنها، هذه أعرفها...

عيواظ: إذا كان كذلك، هيا نجرب...

أراجوز: هيا ابدأ.

عيواظ: تفضلوا يا سيدي...

أراجوز: أرجوكم يا سيدي، تفضلوا أنتم...

عيواظ: والله لا يمكن، مُرُّوا أنتم في المقدمة...

أراجوز: لا يمكنني المرور يا هذا... مُرَّ أنت أولاً...

عيواظ: أسـتغفر الله يـا سـيدي... لا إمكانـية لذلك، لا يصح. ادخلوا أنتم أولاً...

أراجوز: ادخل أنت في المقدمة يا هـذا، وأدخل أنا من خلفكم...

عيواظ: فلتمر ذاتكم العالية، ليُفسَحَ لي طريق...

أراجوز: لا يمكن...

عيواظ: إكراماً لله تفضلوا...

أراجوز: بطني شبعانة، تفضلوا أنتم...

عيواظ: أقبل قدميكم يا سيدي، تفضلوا أنتم في البداية...

أراجوز: إني معتاد هكذا، لا يمكن... تفضلوا أنتم...

عيواظ: جُعلتُ عبداً لكم، ماذا يحدث، تفضلوا في البداية...

أراجوز: لا تتوسل بلا جدوى، فأنا رجل لبق...

عيواظ: رجاء يا سيدي، كيف يمكن... لطفاً وعطفاً تفضلوا في البداية.

أراجوز: إنكم تخجلونني...

عيواظ: أدبي لا يسمح لي... كيف أمرُّ قبل أستاذي؟ أنتم الذين جعلتموني رجلاً... أمسكتم بيدي وجعلتم مني رجلاً.

أراجوز: من جعلك رجلاً ولك؟...

عيواظ: أراجوزي يا روحي، اللباقة تقتضي أن يقال هكذا... يجب أن تكون لطيفاً. كلما كنت أكثر لطفاً كان ذلك أفضل...

أراجوز: آه فهمت، لعبة اللباقة...

عيواظ: هيا وأنت كن لطيفاً أيضاً...

أراجوز: ابدأ أنت من جديد، ريثما أسخن وأدرّب نفسي...

عيواظ: لا يمكن أن أمشي أمام أستاذي... أستغفر الله.. أنا كنت ولداً جاهلاً، وذاتكم العالية هي التي أخذتني وربّتني.

أراجوز: رجاء يا سيدي... أنتم الأساس في رعايتي وتربيتي.

عيواظ: لقد علمتموني القراءة والكتابة، علمتموني اللبس والظهور بهندام حسن... هيا! أنت أيضاً!.. لنتسابق معاً، ومن كانت كلماته أكثر لطفاً ورقّة كان هو الأكثر لباقة...

أراجوز: أيعقل هذا يا سيدي... فيما كنت في زمن ما أعيش في الجبل... أنتم الذين أمسكتموني في الجبل...

عيواظ: إنكم تخجلونني لأقصى حد يا سيدي يا

أستاذي. فأنتم الذين وضعتموني في صنف الرجال...

أراجوز: ما هذا... أنا كنت دب جبل... وخرجت أنت للصيد يوماً... فأمسكت بي...

عيواظ: جيد، جيد... إنك تعتاد اللباقة... سيدي أنا مهما صرت فقد صرته بفضلكم...

أراجوز: لا، أنا الذي صرت بفضلكم. فأنتم أمسكتم بي في الجبل. فنتفتم وَبَري وحلقتم شعري، وأدخلتموني الحمام...

عيواظ: رجاء يا سيدي، ليس حَدِّي.. حتى المدنية علَّمَتني إياها ذاتكم العالية...

أراجوز: لولاكم، لكنت حتى اليوم دباً في الجبال، علمتموني الكلام، وأدخلتموني بين الناس...

عيواظ: رضي الله عنكم، فأنا مدين لكم بكل ما بي...

أراجوز: ثم رفعتموني إلى أعلى المراكز، وجعلتموني رجلاً كبيراً...

عيواظ: رجاء يا سيدي، جُعلتُ عبدكم تفضلوا... جُعلتُ كلبكم...

أراجوز: (يضربه): ولك هل سنبقى ننافق هنا حتى المساء، أنت ستمر، لا أنا سأمر؟ قال لباقة... ولك ما هذه اللباقة... هيا مر!...(وفيما عيواظ يغادر) قف! قف لنرى، لا تدخل الإسطبل قبل صاحبك!... (يصفعه، عيواظ يغادر) إن ذهبت أنت فهل أبقى أنا هنا؟ إنهم حتى لم يجعلوني سناتوراً أساسياً.. أنا أيضاً أذهب إلى ساحة العيد، وإلى المنتزهات، وأشرب مياه الصنابير بدل اللبن.. وأرقب الفتيات الجميلات بتنانيرهن القصيرة.

فاصل

الفصل الأول

(تدخل المرأة رقم1 وهي تغني)

إن أخطأت وأحببت حبيباً ، غيرك منك يأخذه،
إن كان لك غصن منتصب فالسيل يجرفه،
إن لم يكن لك حظ فالجوهر من يدك الريح تأخذه،
الناس يأكلون البطيخ، وحولك يحوم الذباب الطيار،
ماذا جرى في هذا الزمان، وماذا صار!

الكل يذهب لاجتماع العائلة،
وتبقى أنت في الميدان بلا عائلة،
اعرف أنه إن لم يكن لك يا صاحبي خال،
فحاشا الحضور لا فرق بينك وبين الحمار،
ماذا جرى في هذا الزمان، وماذا صار!...

عيواظ: (يدخل): صباح الخير يا سيدتي يا ابنتي... أهلاً بكم... منذ مدة طويلة وأنتم لا تظهرون هنا في هذه الأرجاء...

المرأة رقم1: آه، لكنني لم أكن هنا...

عيواظ: أين كنتم إذن؟

المرأة رقم1: لقد سئمت من مداهمتي في البيوت يا عيواظ جلبي، فقررت أن أعيش بشرف قليلاً...

عيواظ: أوه أوه... إذن فقد تبتم...

اراجوز: **(من النافذة)** نعم، صارت بائعة بسطة.

المرأة رقم1: كنت أروح إلى بيروت وأغدو محضرة معي ملابس نسائية داخلية مهرّبة وأبيعها...

عيواظ: هكذا!!...

المرأة رقم1: كنت أروح إلى أوروبا وأغدو محضرة معي معاطف فرو مهرّبة وأبيعها...

عيواظ: هكذا!!..

المرأة رقم1: ثم صرت أجلب سيارات مهرّبة وأبيعها.

عيواظ: هكذا!!..

أراجوز: (من النافذة) هكذا يا أبله... هكذا تكون الصناعة المحلية... المرأة صارت صاحبة بسطة، كلما شغّلتها أكثر ربحت أكثر...

عيواظ: هل تبحثون عن أحد ما هنا؟

المرأة رقم1: آه يا عيواظ جلبي، لا تسألوني أبداً عما مرَّ على رأسي..

عيواظ: واخ واخ... ماذا جرى يا سيدتي؟

المرأة رقم1: همي كبير، كبير جداً...

عيواظ: ما هو؟ من لا يبوح بهمّه لا يجد دواءه يا سلطانتي...

المرأة رقم1: ما بي، ليس داء له دواء...

عيواظ: أهو جرح في القلب؟

المرأة رقم1: لو قلت إنه جرح في القلب، فهو ليس كذلك...

عيواظ: أهو حاجة للمال؟

المرأة رقم1: لو قلت إنه احتياجي للمال، فهو ليس كذلك...

عيواظ: ما هو إذن يا سلطانتي؟...

المرأة رقم1: همي، شيء لا يمكن أن يقال...

أراجوز: **(من النافذة)** لا هو جرح في القلب، ولا هو احتياج للمال، أنا أعرف، إنه إذن ما بين الشفتين.. أرسلها إلي يا عَوَظْوَظْ، فدواؤها عندي...

عيواظ: تكلموا يا سيدتي، علنا نستطيع المساعدة...

المرأة رقم1: آآآخ آخ!... احترقت... إني أبحث عن حلاق، عن حلاق...

عيواظ: هل تعلق قلبكم بحلاق؟

المرأة رقم1: لا يا سيدي، لا... ولكن لا يوجد حلاق في هذه المدينة الكبيرة...

عيواظ: رجاء يا ابنتي، المدينة تعج بالحلاقين، يصعب المرور من كثرة القصَّاصين...

أراجوز: (من النافذة) لو هززت يدك تلمس حلاقاً... القصُّ دائم باستمرار...

المرأة رقم1: أولئك ليسوا حلاقين يا عزيزي، أولئك نعَّالون... عليك أن ترى الحلاقين في أوروبا وفي أمريكا... فإذا ما جلست أمام أحدهم، فإنه يعمل شعراً جميلاً، يعمل شعراً جميلاً...

عيواظ: ألا يستطيع حلاقونا عمل ذلك؟

المرأة رقم1: وحلاقونا يعملون، ولكن عمل أولئك شيء مختلف مهما يكن... أحسن شيء أن نستورد حلاقاً معلماً أجنبياً... آه لو تعرفون

مقدار الضيق الذي نعانيه... لو جاء حلاق أجنبي لجعلناه جميعاً يعمل لنا. فلأذهب ولأبحث عن حلاق جيد على الأقل... إلى اللقاء يا عيواظ جلبي...

عيواظ: مع السلامة...

(تدخل المرأة رقم 2 وهي تغني)

مثلَ شَعر زنجية سوداء، تجعَّد الشَعر الحريري المسدل،
اختلطت الأمور ببعضها وتعقدت، فلا فائدة مهما تفعل.

بالكلام تسير السفينة، ومن بعده بالبخار،
بقوة المياه المنقولة هذه الطاحونة تدار.

لن ينتهي ما تعانيه من متاعب يا رأسي الغريب،
فعانِ في ظل النظام ما تعانيه يا بلبلي الحبيب!..

عيواظ: أي ريح رمت بكم إلى هذه الأنحاء، يا جميلتي...

المرأة رقم2: وأي ريح ترمي بي يا عيواظ جلبي، لابد أنها الريح الموسمية...

عيواظ: منذ مدة وأنتم غائبون عن الأنظار...

المرأة رقم2: لقد عقدت نكاحي يا سيدي. لذلك...

عيواظ: أوه أوه ما شاء الله...

المرأة رقم2: كنت قد اصطدت أبلهاً وتزوجته، ثم ضبطني متلبّسة مع رجل آخر فطلقني...

عيواظ: هكذااا، واخ واخ!..

المرأة رقم2: لكني بعد ذلك تزوجت مرة أخرى بواحد غني...

عيواظ: حسن أوه أوه...

المرأة رقم2: هو كذلك ضبطني متلبّسة مع غيره فطلقني.

عيواظ: ·كذاا، واخ واخ!...

المرأة رقم2: ثم يا سيدي، تزوجت بعجوز جلف.

عيواظ: حسن أوه أوه...

المرأة رقم2: لكنه هو الآخر كان غيوراً جداً، فلما ضبطني مع غير أصدقائه طلقني.

عيواظ: هكذاا، واخ واخ!...

المرأة رقم2: بعد ذلك صار كذا...

عيواظ: حسن، أوه أوه..

المرأة رقم2: لكن عندما فعلت كذا...

عيواظ: هكذاا، واخ واخ!... والآن هل أنت متزوجة يا جميلتي؟

المرأة رقم2: لا أعرف... أرجوك يا عيواظ جلبي، أنا لا أذكر ماذا تعشيت مساء البارحة، فمن أين لي أن أعرف إن كنت متزوجة أم لا... هاها، تمام، نعم إني متزوجة، طبعاً نعم...

عيواظ: بمن يا سيدتي؟

المرأة رقم2: بمن؟ انتظر لأرى... أكان رضا، أم مرتضى؟... لا... أكان شريفا، أم حريفا؟..

أراجوز: **(من النافذة)** ولك المرأة هاوية جمع أزواج يا عالم...

المرأة رقم2: أكان شهيد، أم غازي، أم أنه نيازي؟... هاها لقد تذكرت، إنه أمريكي من مشروع مساعدات مارشال...

أراجوز: **(من النافذة)** ولك حذار أن يكون صاحبنا جونسون...

عيواظ: ما 'سم زوجك يا جميلتي؟

المرأة رقم2: أكان جونسون، أم طومسون... أرجوك ما أدراني أنا باسمه...

أراجوز: **(من النافذة)** ولك هيا أسرع وتزوجها على الواقف يا عيواظ لترضيَ نفس الشابة المسكينة... ينالك ثواب، كيلا تبقى مجموعتها ناقصة...

عيواظ: ما هو سبب تشريفكم يا ترى؟

المرأة رقم2: آه، لا تسألوا يا سيدي لا تسألوا.. همي كبير...

(تبدأ بالغناء)

لا تحملني على الكلام فهمي كبير
أرجوك يا إلهي، همي كبير
هذه الحياة عليَّ عبء كبير
أرجوك يا إلهي، همي كبير...

عيواظ: قيل، من لا يشكو همّه لا يجد له دواء.

المرأة رقم2: هل أقول يا ترى؟

عيواظ: تكلمي تكلمي...

المرأة رقم2: ولكن كيف أقول...

عيواظ: تكلمي يا جميلتي تكلمي.. تكلمي يا روحي تكلمي... تكلمي يا حياتي تكلمي...

المرأة رقم2: إذن لأتكلم.. حاضر إذا كان الأمر كذلك.. فإني أريد أن أعمل شعري ولا أجد حلاقاً جيداً بشكل من الأشكال يا عيواظ جلبي... أتعرف ما هو أكبر ما تعاني منه هذه البلد؟

أراجوز(من النافذة): أعرف ولكن، لا أستطيع القول أمام المتفرجين، وإلا لصار عيباً...

المرأة رقم2: أكبر ما تعانيه هذه البلد هو عدم وجود حلاق نسائي جيد... آه يا لحلاقي النساء في أوروبا، وفي أمريكا... ومن شدة خفة أيديهم لا تفهم فيما إذا فعلوا شيئاً لشعرك أم لم يفعلوا...

عيواظ: يعني لو جاء حلاق نساء أجنبي...

المرأة رقم2: هو هووو، لجمع مالاً كثيراً والله... ولجعلناه يعمل لنا جميعاً.. أستأذنك، لأذهب وأبحث عن حلاق...

عيواظ: مع السلامة يا جميلتي...

(تذهب المرأة رقم2، ويدخل طوسون وهو يتلو المقطوعة الشعرية التالية).

استيقظت باكراً هذا الصباح يا حبيبتي،
وسقيت بالماء حزَم الورد في حديقتي...
نظرت إليها وهي تشخر بجانبي،
بطون النساء تذيب قلبي!

أنت الخيارة الوحيدة في حديقة مهجتي،

حجمك البين بين، يلائم معدتي،
خلاصة القول إنك امرأة مناسبة لي،
مغرم أنا بلواحظ عينيك!

حبيبتي ها أنا قد جئتك مسرعاً،
لنذهب إلى الجزيرة، وندخلها متشابكين
أذرعاً،
لا تتأخري، لنركب قبل خمس دقائق من
الخامسة،
ظهور الحمير الكبيرة في الجزيرة!

كي أحس ببعض الرغبة بِكِ،
كم أقاسي كل ليلة وأعاني،
تركت بضع باذنجانات هدية مني،
لبقرات الوطن المقدسة!

السلام عليكم، وعليكم السلام،
قصدي من ذلك، حاصل الكلام،
لقد أكثرت من فارغ الكلام، والسلام،
مشبهاً بذلك طيور اللقلق اللقلاقة!

عيواظ: ما أحسن هذا الشعر... هل أنت شاعر؟

طوسون: أجل...

عيواظ: شاعر ماذا أنت؟

طوسون: إني هكذا مجرّد شاعر...

عيواظ: كونك مجرّد شاعر واضح، ولكن شاعر ماذا؟ هل أنت شاعر شعبي، أم شاعر مجدد، أم شاعر غنائي، أم شاعر دواوين؟

طوسون: أكتب على الديوانة، وأكتب على الكرسي، وأكتب على الأريكة.

عيواظ: يا بني، أقصد شاعر أي شيء أنت، أين تكتب؟

طوسون: ها ها لقد فهمت... أنا شاعر جدار. أكتب على الجدران. لا يوجد أحد لم يقرأ أشعاري، فالجميع يعرفونها...

عيواظ: لماذا؟

طوسون: لأن الجميع يذهبون إلى المراحيض... وعلى جدران المراحيض العامة هناك مختارات

من أشعاري.

عيواظ: أنت ما اسمك؟

طوسون: طوسون...

عيواظ: ها، عرفت، عرفت، الشاعر طوسون...

طوسون: هو بذاته.. هل قرأت أشعاري؟

عيواظ: لا... مطلقاً... أبداً... حاشاااا....

طوسون: (يصرف بأسنانه): هي هي... الكل يقرؤونه، يقرؤونه ثم ينكرون قائلين لم نقرأه، والآن سيدخل شعري ضمن مختارات الشعر العالمي...

عيواظ: أي مختارات تلك؟

طوسون: مختارات من الشعر العالمي المستهجن... فإن مقطوعتي الشعرية التي تبدأ بـ"طوسون الذي يكتب هذا"؟

أراجوز(من النافذة): ولك يا طوسون نحن أبدلنا تلك البداية وجعلناها "طوسون الذي يقرأ هذا عليه أن يسأل الكاتب" ما بك؟

عيواظ: طيب يا طوسون، وما العمل الذي تعمله؟

طوسون: لقد قلت لك...

عيواظ: والمال؟

طوسون: لـي صديقة مغرمة بأشعاري، اسمها شاتي فيلي، تقطع عن زوجها العجوز وتزقني بالمال...

أراجوز(من النافذة): ولك يا عَوَظْوَظْ، طوسون صهرك وأنت لا تدري...

عيواظ: إذا دبَّرت لك عملاً جيداً فهل تعمل؟

طوسون: أعمل...

عيواظ: حسناً إذن، عد إلي فيما بعد...

(يذهب طوسون، ويدخل المرابي وهو يتلو المقطوعة الشعرية التالية):

ما أخذته أمس بخمس يساوي ألفاً
وخمسمئة غداً،
رفعنا مستوى البلد، هكذا سيقول
التاريخ عنا.
لم نكسر خاطراً أو نفساً

عملنا كل ما استطاعته يا أخي أيدينا!
خضر اسمه أبي
هذا ما استطاعته يدي!

عملنا بالتجارة، ولبلاد الأسكيمو الثلج
بعنا،
علم 'الاقتصاد لنا، لبحيرة لوط الملح بعنا
والذهب قلبناه نحاساً.
القمح استوردناه من الخارج، وللداخل
موزاً صدَّرنا.
خضر اسمه أبي
هذا ما استطاعته يدي!

حمالات صدر حريرية استوردنا، فلم تبق
عملة صعبة لدينا،
كم من المصاعب لاقينا، فلم يبق بندق أو
جوز لدينا.
والموازنة طنت إفلاساً.
آه لو تعرفون على هذه الكراسي المهلهلة

كم قاسينا ،

خضر اسمه أبي

هذا ما استطاعته يدي!

بجهودنا المخلصة ملأنا سطح الوطن

بالنايلون ،

بقي أن ينزل ناخبونا بالقميص

وبالكلسون!

ويهتزون رقصاً وهلساً!..

نفخنا البلد باقتصاد من بالون!

خضر اسمه أبي

هذا ما استطاعته يدي!

المرابي: إيه يا عيواظ جلبي، أقدم لك أعمق احتراماتي...

عيواظ: أستغفر الله... التقدير لكم منا يا سيدنا... كيف حال أعمالكم؟

المرابي: الأعمال لا طعم لها يا عيواظ جلبي...ففي أيام الحرب كنا نربح عشرة آلاف بالمئة ،

ألف شكر.. أما الآن فإننا نربح ألفاً بالمئة بصعوبة، سابقاً كنا نكسب مئة ألف ليرة من الهواء بهاتف واحد... أما الآن فإن مرارتي تنفجر حتى أربح مئة ألف ليرة، ويقتضي الأمر إجراء ثلاثة اتصالات هاتفية على الأقل...

عيواظ: لماذا؟

المرابي: لأن خطوط الهاتف معطلة... نطلب رقماً، فيرد علينا مكان آخر...

أراجوز(من النافذة): ولك يا مرابِ، أنت لديك نمر كثيرة...

المرابي: لم يبقَ طعم العمل السابق...

عيواظ: بماذا تتاجرون؟

المرابي: سيدي أنا أعمل بتجارة العملة.

عيواظ: يعني؟

المرابي: أشتري عملة، وأبيع عملة. بمعنى أنني مصرفي سيَّار. وهدفنا منفعة المواطنين... فأنا أمد المحتاجين بالمال...

عيواظ: ما أجمل هذا يا سيد مرابٍ... لي صديق عزيز جداً يريد أن يفتح دكاناً للحلاقة، ولكن ليس لديه مال، فهل تساعدونه؟

أراجوز: **(من النافذة)** ولك يا أُلعبان، ولك سيخوزق حتى المرابي يا عالم... من أين طلع دكان الحلاقة الآن؟

المرابي: طبعاً... إن عملي هو المساعدة... أعطيه حتماً...

عيواظ: رضي الله عنك... سأذهب وأخبر صديقي الحلاق، ليأتي ويقابلك...

الفصل الثاني

(عيواظ أمام بيت أراجوز، يطرق الباب)

أراجوز: (من الداخل): مَن هذا!!؟

عيواظ: أنا هذا!!... رجاء أراجوزي، بسرعة تعال، بسرعة...

أراجوز: (يحضر): ما بك يا، ولِمَ هذه العجلة؟ فيما كنت أسرع لأستطلع الأمر التفّ الشرشف بيدي...

عيواظ: لا وقت لدينا نضيعه يا أراجوز... لقد وجدت لك عملاً، يا له من عمل، لا تسأل...

أراجوز: أي عمل؟

عيواظ: قلت لك لا تسأل...

أراجوز: طالما هو عمل جيد فلن أسأل...

عيواظ: أراجوزي يا روحي، لا تتقيد كثيراً بما

أقوله، عليك أن تسألني قليلاً...

أراجوز: فلأسال قليلاً: ما هو هذا العمل؟

عيواظ: مصنع أموال، أموال.. سنطبع المال، المال...

أراجوز: أنا لا أشترك في هذا العمل...

عيواظ: لماذا؟

أراجوز: لأن صنع المال يدخل ضمن اختصاص الحكومة... وأنا لا علاقة لي بهرش الناقة، ونعيق البومة، ولا بعمل الحكومة يا رفيق...

عيواظ: يا روحي، إذا قلت مصنع أموال، فهذا في سياق الكلام... بمعنى أنك ستكسب مالاً كثيراً...

أراجوز: كيف؟

عيواظ: ستصبح حلاقاً نسائياً مشهوراً قادماً من إحدى الدول الأجنبية...

أراجوز: أي ي ي؟

عيواظ: سوف تأتي إلى هنا... وسوف تقدم تقديراً عن كيفية تسوية شعر النساء... باعتبارك متخصصاً بذلك...

أراجوز: وبعد ذلك؟

عيواظ: بعد ذلك سوف تعقد مؤتمراً صحفياً تبلغ فيه الصحفيين.
سوف نعمل لك دعاية.. ثم بعد ذلك سوف نفتح لك دكان حلاقة رائعاً... عندها سوف تأتيك جميع زوجات الكبار المحترمات، وجميع زوجات المجتمع الدوني والراقي المحترمات، وجميع الفنانات والمنانات، لتعمل لهن شعرهن...

أراجوز: ولك مجيئهن لعندي شيء جميل يا عَوَظْوَظْ، لكني لا أفهم شيئاً في هذا الموضوع...

عيواظ: كلما كنت جاهلاً، كلما كان ذلك أفضل يا أراجوزي... سوف تُعمِل المقص في شعر النساء، ثم يا سيدي سوف تلفّه باللفافات المحماة، ثم تُلبس رؤوسهن طنجرة محمّاة وطاسة ساخنة، ثم يا سيدي تفرك الشعر لا أدري بزيت الزيتون أم بزيت السيارات، أم بالدهن وكلّما لخبطت الشعر أكثر كان ذلك أفضل... ستقول إنها موضة جديدة.. موضة شعر حديثة... فمعشر النساء يغمى عليهن إذا

رأين شيئاً جديداً. سوف يجلسن بانتظار الدور، فتأخذ من تعجبك، وتترك من لا تعجبك منهن...

أراجوز: ولك والله مليح.. مليح ولكن من أي دولة سأدَّعي بأنني قادم؟

عيواظ: من بلفاسيا مثلاً...

أراجوز: لكني لا أعرف اللغة البلفاسية...

عيواظ: ليس هناك مكان اسمه بلفاسيا يا أراجوزي، إننا نبلف ونطلق كلاماً. وسوف تطلق الكلام بالبلفاسية... وسوف أكون مترجمك. هيا أطلق واحداً لأرى، هيا... (أراجوز يصفعه) ما بك تصفعني يا أراجوزي؟

أراجوز: قلت أطلق، لذلك...

عيواظ: أطلق كلاماً يا روحي...

أراجوز: طيب... "أيها المواطنون إذا انتخبتموني فسوف تتدفق المياه في الصنابير، وسوف تشتغل هواتفكم..."

عيواظ: يا روحي لا تطلق كلاماً كبيراً هكذا، قل شيئاً ممكناً...

أراجوز: طيب... "أيها المواطنون، انتخبوني، ولا علاقة لكم بالباقي..."

عيواظ: لا تطلق الكلام بالتركية، أطلق بالبلفاسية يا أراجوزي...

أراجوز: ماذا؟ طيب... "قاق نافال بورتاسلون..."

عيواظ: ممتاز...

أراجوز: طيب ماذا قلتُ الآن؟.. ما دمت مترجماً، هيا ترجم كي أفهم أنا أيضاً ما قلته...

عيواظ: أنت قلت، لكل امرأة تسريحة شعر تناسبها تختلف عن غيرها.

أراجوز: يا سلام ما أجمل ما قلته... "بات نايانغوبات باتيناكي..." ماذا قلت ولك، قل بسرعة فإني أتحرق لمعرفة ذلك.

عيواظ: قلت "الشعر أجمل زينة للمرأة".

أراجوز: ولك ما هذا.. أنا أعرف الكثير... طيب وهل يوجد أحد غيري يعرف هذه اللغة البلفاسية؟ عنا ها حذار من أن أتبهدل.

عيواظ: لا يوجد أحد يا روحي، أنت الوحيد في الدنيا الذي يعرف هذه اللغة...

أراجوز: معرفة لغة أجنبية شيء جيد يا روحي... فكل لسان بإنسان، إذن أنا الآن إنسانان...

عيواظ: نعم أنت الآن أراجوزان...

أراجوز: ولك أنا عندما كنت واحداً ما كنت قادراً على إشباعٍ بطني، فإذا صرت اثنين فإني أموت جوعاً.

عيواظ: إيه يا أراجوزي، سنصبح أغنياء، ما هذا الذي تقوله؟

أراجوز: طيب، وأين المال لفتح دكان الحلاقة؟

عيواظ: ذاك أيضاً جاهز... هناك رجل طيب جداً يعمل مرابياً، سوف يعطيك ما تشاء من المال...

أراجوز: طالما الأمر هكذا، لماذا لم نخدع الرجل حتى الآن؟

عيواظ: يا روحي يا سيدي، إنه مرابٍ يدعم المشاريع الخاصة. يمد رجال الأعمال بالمال. هيا اذهب بسرعة فإنه ينتظرك في ميدان كشتري.

الفصل الثالث

أراجوز: لابد أن المرابي هو هذا الرجل... شيشت!... شيشت... ولك يا مُرابِ

المرابي: أربعـــون بالمـــئة لا يمكـــن ،.. لا يفـــي... إكراماً لخاطرك الجميل أعطيك بفائدة قدرها ستون بالمئة...

أراجوز: سيدي!... هل أنت السيد المرابي؟

المرابي: أنا. ماذا هناك؟

أراجوز: والله مع ذلك هو رجل ذو ناموس ، على الأقل هو لم يحتد عندما ناديته وخاطبته بالمرابي. أرسلني عيواظ.

المرابي: هاا ، أأنت هو ذاك الحلاق؟

أراجوز: أيُّ حـلاق يـا هـذا؟ هـا! ، صـحيـح... طبعـاً أنـا حلاق... وأقص جيداً..

المرابي: هل ستفتح دكاناً؟

أراجوز: إذا تمكنت من خداعك، سأفتح.

المرابي: كم يلزمك؟.. ما هو المبلغ الذي تريده؟

أراجوز: انظـر لم أسـال عـيـواظ عن هذا.. كم عليَّ أن أطلب؟..

يجب نتف الأبله طالما عثرنا عليه... هـات مئة ألـف ليرة حتى نرى، مبلغ قليل ولكن سندبر أمرنا.

المرابي: أعطيك أكثر إن كنت تريد...

أراجوز: يالأمـه... كـم في الدنيا مـن مـرابين طيبين يـا عـالـم... لا يجب أن نقـول مـرابٍ ونمـر، هـو أيضـاً يعتبر إنسانـاً بالقليل أو بالكثير. لا، مئة ألف تكفي...

المرابي: طيب، ماذا ستعرض مقابل ذلك؟

أراجوز: مقابل ماذا؟

المرابي: ماذا ستعرض مقابل المبلغ الذي سوف تأخذه؟

أراجوز: ماذا سأعرض على هذا الرجل يا عالم؟ لابدّ أنني سأعرض عليك شيئاً يرضيك...

المرابي: ماذا سترهن لدي... مقابل المئة ألف ليرة؟

أراجوز: مقابل ذلك... ولك أنا موجود...

المرابي: ولك أنت لا تساوي مالاً... ما هي الرهينة التي ستضعها؟

أراجوز: إنه الوقت المناسب تماماً للتخلّص من الزوجة.. سوف أضع الزوجة رهينة، وعندما لا أسدد الدين الذي عليّ يصادرون الزوجة، فأتخلّص منها... أعطيك زوجتي رهينة...

المرابي: إنك متأخر خمسين سنة... لو جئت قبل خمسين سنة، لأعطيتك بضع مئات من الليرات... اعرض عليّ شيئاً يساوي مالاً.. هل لديك بيت؟

أراجوز: لدينا بيت ورثناه عن الوالد.

المرابي: وغيره؟

أراجوز: ولدينا قطعة أرض للبناء؟

المرابي: جيد... وغيره أيضاً؟

أراجوز: ولدينا دكان في حي محمود باشا...

المرابي: وذاك جيد... وغيره أيضاً؟

أراجوز: غيره، غيره، غيره؟ هاا، بقي لدي شيء آخر. هل تأخذه لدي دبوس بقي لي من الوالد.

المرابي: ذاك يلزمك؟

أراجوز: إنه لا يلزم، لم أستعمله منذ مدة طويلة...

المرابي: أنا لست عديم الوجدان لهذا الحد، فليبق دبوسك لك...

أراجوز: ولك أخذ البيت والدكان وقطعة الأرض وترك الدبوس، يا له من رجل صاحب وجدان...

المرابي: أين تقيم؟

أراجوز: في أوائل الشهر فوق الشوك، وفي أواخر الشهر فوق الخازوق...

المرابي: يا روحي يا سيدي، أين يقع بيتك؟

أراجوز: هاا، فهمت.. إلى الأسفل من هنا، قاسم باشا... هناك...

المرابي: هذا الذي عددته كله يساوي على أكثر تقدير، وذلك إكراماً لخاطرك الجميل، عشرة آلاف ليرة. أعطيك عشرة آلاف ليرة، تسددها لي خلال ثلاثة أشهر، وتسترد أملاكك...

أراجوز: طيب يا، هات العشرة آلاف...

المرابي: لا تستعجل، سوف تأخذها... الآن أنا أعطيتك العشرة آلاف...

أراجوز: متى أعطيتني ولك؟

المرابي: مجرى الكلام، لنقل إنني أعطيتك... وأنت قبضت.

أراجوز: وأنا قبضت.

المرابي: الكلام يخرج من الفم، انظر لا تُنكر ذلك فيما بعد... قبضت...

أراجوز: إي ي؟

المرابي: اخصم منها أربعين بالمئة فائدتها.. تبقى ستة آلاف... صحيح؟

أراجوز: لابد أنه صحيح...

المرابي: اطرح من الستة آلاف، ثلاثين بالمئة عمولة... ماذا بقي هناك؟ أربعة آلاف ومائتان... صحيح؟

أراجوز: لابدّ أنه صحيح... هات الأربعة آلاف ومئتين...

المرابي: انتظر لا تستعجل... أين فائدة المصرف؟ نصفها فائدة المصرف. ماذا بقي؟

أراجوز: لم يبق شيء.

المرابي: بقي، بقي... بقي ألفان ومائة... منها ألف ليرة مصاريف ونثريات. ماذا بقي؟

أراجوز: بقي...

المرابي: طبعاً بقي.. بقي ألف ومائة ليرة... أنت أعطني الآن مائة ليرة... هيا، هيا هات...

أراجوز: مئة ليرة إيش؟

المرابي: يا للعيب.. أمَّنت لك بلمح البصر رصيداً بعشرة آلاف ليرة، وتستكثر عليّ المئة ليرة... هات الآن المئة ليرة من جيبك.. هات، هات، هيا هات.. أنت لا علاقة لك، هات، هات...

أراجوز: خذ حتى أشوف.. طارت مئة ليرتنا...

المرابي: هيا نذهب الآن لنعمل إجراءات الرهن، وتوقع سند القرض بعشرة آلاف ليرة، ثم تقبض من المصرف ألف ليرتك، وتصرفها بالهناء.. هيا بالتوفيق، العشرة آلاف ليرة ليست مبلغاً ضئيلاً، إنها مبلغ كبير بالنسبة لمن يعرف عمله...

أراجوز: يا عيني كم هو سهل خداع الناس...

الفصل الرابع

(في جانب من المسرح دكان حلاقة عليه لافتة: "حلاق بَلفاسيا العصري")

طوسون: هيا، أيتها السيدات، أيتها السيدات المحترمات!... هنا الحلاق البلفاسي... اوندولاسيون، موندولاسيون ميزانبيلي، تريلاللي، على ستة أشهر، على سبعة أشهر، على تسعة أشهر وعشرة أيام.. كله لدينا... ولدينا تدليك، لدينا تدليك... تفضلوا، تفضـ....

عيواظ: (يدخل): كيف حال العمل يا طوسوني؟

طوسون: العمل كثير جداً ياعمي عيواظ... صالة الانتظار تعج بالزبونات، بحيث يعجز عنهن المعلم أراجوز، قلت له دعني

أساعدك، فقال أنت لا تستطيع.

عيواظ: والمال؟

طوسون: المال ينهمر مثل المطر، لكنه لا يبقى لدى المعلم أراجوز... فالمرابي المحترم وضع حجزاً، والأموال كلها تذهب لسداد الفوائد.

(تدخل راقصة التعري الأجنبية وهي تغني بلكنة أجنبية أغنية "في طريقي إلى أوسكودار داهمني المطر")

راقصة التعري: يوجد هنا واحد كوافور دوبلفاسيا؟ يعرفون أنتم، لا يعرفون؟

عيواظ: يوجد يعرفون. هو ذا هنا.. طوسون يا ولدي اذهب وقل لمعلمك أن يترك ما بيده ويأتي، فقد وقعت بأيدينا زبونة مدهنة...

(يخرج طوسون)

الراقصة: هنا يعمل، أين؟

عيواظ: يعمل في الداخل... ها قد جاء...

اراجوز: (يدخل): ماذا هناك يا؟ النساء في الداخل ينتظرن الدور...

عيواظ: شيشت... بالبلفاسية...

أراجوز: هاا، طبعاً... قاغاهونت هنتاتوربي...

الراقصة: أي لغة يوجد هو يحكي؟...

عيواظ: البلفاسية.. يقول المعلم الحلاق، سوف أعمل للمدام لستة أشهر، يصير جميلاً جداً، يقول...

أراجوز: كركي منجا جمنجاهوب تيريلوب...

عيواظ: إن لم يعجبها، لا أخذ مالاً، يقول...

الراقصة: أنا مال كثير عندي يوجد... أنا راقصة تعرّي فنانة...

أراجوز: آخ يا أمي آخ...

عيواظ: اوحووو...

أراجوز: هم... شابلاتان شوب، باتابات لامالام...

الراقصة: إنهم يرمونني في خارج...

أراجوز: من يرميك يا روحي أنت؟

عيواظ: اوحو، اوحو...

أراجوز: هم... باكلاغون جون باكلاهوب...

عيواظ: إنه يسأل عمن يرميك خارجاً.

الراقصة: أنا فنانة، راقصة تعري... يوجد حبيبي كثير.. يوجد كله رجل كبير... أنا امرأة واحدة، أما هم كتير حبيبي...

أراجوز: ماذا تقول يا، ترجم لي أيضاً...

عيواظ: اوحو، اوحو... هذه السيدة راقصة تعرّي جميلة جداً لذلك عشقها كثير من الرجال المهمين وهاموا بها. وهي واحدة لا تستطيع تلبية رغباتهم جميعاً...

الراقصة: تماماً... يوجد مهم كبير رجل عجوز، بشع كتير، ويغار كتير... هو يرميني...

عيواظ: فهمت.. هناك رجل عجوز، ولأن المرأة لا تعيره اهتماماً فسوف يبعدونها خارج الحدود...

أراجوز: بانجو بينجو، بَن سويْلَر جاكتينجو...

عيواظ: يقول المعلم الحلاق، أنا أعرف زوجة ذلك

الرجل، يقول إنها زبونتي، يقول، أنا أخبر زوجته، فتخرج روح زوجها، وهذه تبقى هنا يقول. لكنه يقول، عليها أن تتعرى أمامي، يقول...

الراقصة: متى تكلّم كلام كتير هذا كله؟

عيواظ: هو يتكلم هو... مختصر مفيد... يعني، قليل ومركّز...

الراقصة: تمام... أنا سأعمل نمرة تعري سبيسيال...

عيواظ: ولك مشي شغلك.. هيا ادخلي وانتظري دورك في الصالة...

(تذهب راقصة التعري، وتأتي المرأة رقم1)

المرأة رقم1: آه شكراً لله أننا التقينا بحلاق أجنبي.. سمعت باسمه من أماكن بعيدة فجئت...

أراجوز: كارغوكياكو جبللزي،،،

عيواظ: يقول إني ممتن للتعرف عليك.

المرأة رقم1: يا له من سكّرة...

عيواظ: الأجنبي طعمه شيء آخر...

أراجوز: زامازينغي فينغو...

عيواظ: اذهبي وانتظري دورك في الداخل، يقول...

المرأة رقم1: أرجو أن لا يجعلني أنتظر كثيراً، فإني لا أحتمل.. إني في عجلة.

(تذهب المرأة رقم1)

أراجوز: آخذ المقص بيدي، وأجز النساء كما لو أني أجزّ حميراً... ويبلعون ذلك على أنها موضة تحت أي تسمية...

عيواظ: لقد انتشرت شهرتك في البلد يا أراجوز...

أراجوز: لكني لا أجد فرصة من يد المرابي يا أخي.. فالرجل يكدس كل يوم كيساً من الأموال ويذهب بها. وكلما سدَّدت ازداد ديني، وتراكمت الفوائد أضعافاً... لقد حجز البيت، وطارت قطعة الأرض، وراحت الدكان من يدنا، وفي النهاية بقينا على هذا...

(يأتي طوسون)

طوسون: معلم أراجووز!... هات البشارة... المساعد الأيسر للصدر الأعظم، ذلك الرجل سيخرج في سياحة خارجية هو وزوجته وابنته، ولقد ضموك أنت أيضاً إلى الهيئة المرافقة... وستذهب أنت أيضاً غداً في طائرة خاصة...

عيواظ: آه يا أراجوز، مبروك، صرت حلاقاً خاصاً يا أخي...

أراجوز: إني لا أذهب لأي مكان ما لم آخذ معي راقصة التعري الخاصة بي...

عيواظ: طيب وأنا؟

أراجوز: وأنت مترجمي الخاص يا...

(تأتي المرأة رقم2، ونصف شعرها مأخوذ بالموس، بشكل غريب)

المرأة رقم2: آه سلمت يداك أيها المعلم الحلاق، ما أجمل القَصَّة التي عملتها لشعري... من يراه يغمى عليه...

أراجوز: شيناناي ناي شيناشوب...

المرأة رقم2: ماذا يقول؟

عيواظ يقول إنه يعمل النموذج الذي يناسب السيدة.

المرأة رقم2: آي ماذا كان اسم هذا النموذج؟ انظروا لقد نسيت أيضاً...

أراجوز: آلا فينغير...

عيواظ: إنه على فينغير...

المرأة رقم2: جئت أيضاً لأعمل شعري.

عيواظ: عليك انتظار دورك، هيا ادخلي إلى الصالة يا روحي...

(يأتي المرابي)

عيواظ: آه يا سيدي... إنه لشرف لنا.. أعرض احترامي يا سيدي المبجّل...

المرابي: انتظر لنرى قليلاً، لأتكلم مع صديقك المخادع هذا...

أراجوز: (يضربه): مخادع يقولونها لك...

المرابي: ألم تقل إنه رجل شريف!...

أراجوز: (يضربه): وماذا تظنه؟

المرابي: أنا لا أفهم الكلام... أريد أموالي... ألم أعطِ عشرة آلاف ليرة باليد؟

أراجوز: أعطيتم؟

المرابي: أربعون بالمائة فائدتها الأولى، يساوي أربعة عشر ألفاً.. ستون بالمائة فائدتها الثانية، يساوي اثنان وعشرون ألفاً ،... وعشرة آلاف عطل وضرر لانتظاري طيلة هذه المدة من الزمن...

أراجوز: (يضربه): وخذ خمسة قروش مهر أملك...

المرابي: أنا أريد أموالي...

عيواظ: لو أمهلتنا بضعة أيام أخرى...

المرابي: أي مهلة بعد يا عالم... جئت صباحاً، فطلبتم مهلة ساعتين، قلت حاضر... وها قد أمهلتكم ساعتين... الذوق لحد هنا فقط... لا ينفع، المعروف لا ينفع...

أراجوز: (يضربه): أمهلنا خمس دقائق أخرى، لنعرف ونكشف على الأقل أي إنسان أنت...

المرابي: لا أفهم.. سأذهب لإحضار موظف التنفيذ وشرطي... وسأحجز الدكان...

(يذهب المرابي، تخرج راقصة التعري من الدكان)

راقصة التعري: يوجد كثير أنتظر أنا... أنا سريع لأنه يوجد أنا شُغـ...

اراجوز: لاا!... لقد ساءت الأمور على أية حال، فإن لم ترقص هنا رقصة التعري، فإن مسألتها لن تحل...

عيواظ: اوحو، اوحو...

أراجوز: هم!... بوكاغوبون بون ستريب تيزا ميتازوريا...

عيواظ: المعلم الحلاق يرجو أن ترقصي له رقصة التعري...

راقصة التعري: أنا سيعمل ما يريد هو...

(الموسيقى تعزف، وتدخل الراقصة إلى دكان الحلاق وهي ترقص، وعندما تخرج من الدكان تكون قد تعرت

قليلاً، وتدخل ثانية وهي ترقص، وتخرج أكثر عرياً).

أراجوز: أموت في المناظر المكشوفة... اووووه، هناك دنيا يا عالم... لقد انفتحت نفسي... كلما انفتحت وانكشفت مظاهر المرأة الخارجية انفتحت دخائل نفسي.

(عندما تخرج الراقصة من الدكان آخر مرة تكون بالكسلون وحمالة الصدر).

أراجوز: عَوَظْوَظْ!... ولك عوَظْوَظْ!.. هشت!... ولك احكي معك... ولك لا تكن مغمى عليك! عوَظْوَظْ...

عيواظ: هه؟ ايش في؟

اراجوز: هذا ما هذا؟

عيواظ: امرأة...

أراجوز: رح ولك... أتوجد امرأة هكذا؟

عيواظ: والله امرأة...

أراجوز: ولك، إذا كانت هذه امرأة، فما اللواتي لدينا؟

(تدخل زوجة أراجوز وهي تصيح. فتهرب راقصة التعري عندما تراها).

زوجة أراجوز: آه منك يا سافل آه.. أنا والأولاد في البيت جائعون، وأنت هنا ترقص امرأة عارية كما ولدتها أمها ها... (تضربه) راحت الدكان من يدنا، وراحت قطعة الأرض، ورمانا ذلك المرابي خارج بيتنا. (تضربه) وأنت هنا ترقّص النساء! (تضربه)

أراجوز: مجاندوموس، موري بوبوس، ياغاري فارهوب...

عيواظ: رجاء يا أخت، انتظري لحظة... هناك التباس ما... فهذا الرجل حلاق بلفاسي مشهور يا هذه...

زوجة أراجوز: (تضرب عيواظ): اسكت، عجوز رذيل... قال حلاق، هذا موس حلاقته في لسانه... من ستغشون بكلامكم هذا؟ (تضربه).

عيواظ: يا أخت، الأمر مختلف يا روحي.. هذا الرجل هو الحلاق الخاص للمساعد الأيسر للصدر الأعظم، يا عالم... (فيما زوجة أراجوز تضرب عيواظ، يبدأ أراجوز بضربه أيضاً).

أراجوز: (يضرب): اضربي يا زوجتي اضربي.. فهذا الذي حط على رأسنا كله سببه هذا العيواظ... اضربي... لا بليت يداك...

زوجة أراجوز: سأسلمكما كليكما للشرطة... أيها المزيّفان... حلاق بَلفاسي مشهور، ها... وها هو ذا الشرطي قادم...

(تذهب زوجة أراجوز، ويدخل شرطي).

الشرطي: أأنت من لا يسدد دين المرابي المحترم؟

أراجوز: ما المناسبة... أنا لا دَين لأحد عليّ...

الشرطي: طيب، هل ارتكبت يوماً جناية ما؟

أراجوز: لاا!...

الشرطي: سرقة أو ما شابه؟

أراجوز: لاا!...

الشرطي: طيب، كيف سأتمكن من توقيفك الآن يا هذا؟

أراجوز: والله بالله ليس لي أي ذنب...

الشرطي: ولك أنت ألست مواطناً؟ أيعقل أن يكون المرء مواطناً ولا يكون له ذنب؟ أي مواطن أنت؟ أنت إما مزيّف متنكر بهيئة مواطن، وإما مذنب.

أراجوز: لا ذنب لي يا أخي الكبير...

الشرطي: هل أديت خدمتك العسكرية؟

أراجوز: هُوهُووو... أديتها قبل ستمئة وخمسين سنة في جيش السلطان الغازي أورخان...

الشرطي: طيب، كيف سأتمكن من توقيفك؟ أليست لديك رحمة أبداً. الإنسان يساعد الشرطة قليلاً ويمكّنهم من توقيفه...

أراجوز: لا تحزن يا ولدي، هيا أوقفني ما دمت تريد ذلك...

الشرطي: ما هذا الكلام؟ البلد فيها قانون... وهل توقف الشرطة المواطن هكذا للاشيء؟

هاااا، خطر ببالي، أنت هل فعلت شيئاً يوماً ما؟

أراجوز: فعلت.

الشرطي: ماذا فعلت؟

أراجوز: فعلت شيئاً...

الشرطي: تمام... لقد ثبت باعترافه. ولك لقد عرفت أي نوع أنت منذ نظرت في وجهك، وإني أوقفك والحمد لله لأنك أكلت أموال السيد المرابي المحترم، ولأنك انتحلت شخصية حلاق بلفاسي مزيّف، ولأنك رقّصت جاسوسة في ميدان كشتري، ولأنك قبّلت...

أراجوز: تحيا العدالاااا...

الشرطي: يحيا الأاااامن ...

أراجوز: يحيا فنار باخجا....

الشرطي: يحيا حاجَت باباا....

(يغادرون)

الخاتمة

عيواظ: أواااه، لم يبقَ دار ولا ديَّار...

أراجوز: (يضربه): بقي في الميدان خيار...

عيواظ: أوااه، لم يبق روح ولا ريحان...

أراجوز: (يضربه): بقي لنا بمثل مرارتك باذنجان...

عيواظ: كُسِرتْ يداك اللتان تضربان...

أراجوز: (يضربه): أركّب يدين صناعيتين فتضربان...

عيواظ: هدمت المسرح وجعلته خربان...

أراجوز: الحق يا سليمان...

عيواظ: سأذهب وأخبر صاحبه في ثوان!

(يغادر)

أراجوز: ليسامحنا كل من له حق علينا...

وليعف عن كل زلّة لسان صدرت عنا

وغداً مساء في مسرحية المدرب الرياضي،

إذا أمسكت ياقتك بيدي يا عيواظ،

سأقلعها وأخيطها لسترتي...

(يغادر).

(3)

المدرب الرياضي أراجوز

الشخصيات

عيواظ

أراجوز

الأكبر آغا

الريِّس تمل

متقاعد

امرأة عجوز (رجل يمثل دور امرأة عجوز)

معارض مزمن

حجي آغا

آيسَل معنويات (رجل يمثل دور امرأة)

إداري

مدخل

(قبل فتح الستارة، تُسمع أصوات أطفال).

الأطفال (بإيقاع): هل ستبدأ،

أم نبدأ؟

برمي بيت أراجوز،

بالحجارة هل نبدأ؟

(يكررون ذلك عدة مرات).

أراجوز (يُسمع صوته): دائماً ترمون بيت أراجوز بالحجارة، ألا تعرفون البيت الذي يجب أن يرمى بالحجارة؟ هيا أسرعوا وارموا بيت عيواظ بالحجارة!

الأطفال: (بإيقاع): هل ستبدأ،

أم نبدأ؟

برمي بيت عيواظ،

بالحجارة هل نبدأ؟

أراجوز: (يُسمع صوته): هيا، نرميه سوية بالحجارة، حتى نخرجه عن طوره... هل ستبدأ يا عيواظ، أم بآنية الشراب نحن نبدأ

(تفتح الستارة. يأتي عيواظ وهو يغني هذا السماعي).

أي كنز تبحث عنه تحت التراب أيها الغافل؟

وقطرة من دمع عيني خزينة كنز من نوع آخر!

سوف تبقى إرثاً مني لهذه الدنيا الجميلة،

وتُدفن أشعار أعماقي في تراب الأرض!

آه، أوااااااه، آه، أواااااه!

(يلقي مقطوعة التغزل بالمسرحية).

خيال، نعم، لكنه هنا خيال واقع الحالِ،

مضحك ظاهر مسرحيتنا، وفي أعماقها كثير من الإزعاج والإملالِ.

هيا اعرف، وكفاك غمزاً بعينيك، وهزواً

بالخيالِ،

واكشف معنى مسرحيتنا، ومغزاها الكثير الاحتمالِ!

فكر عميقاً، واضحك قليلاً، وخذ من مسرحيتنا درس علم الحالِ،

وانظر واسمع ما هي أحوال صغار وكبار القوم والرجالِ

يا من تظن هذا العلو دائماً لك، فترى الناس هباءً،

لابد لهذا الوضع من نهاية، ولابد أن يصير يوماً إلى زوالِ

مسرحيتنا إذن هي انعكاسات لأطياف خيالِ:

حياتنا، حواريكم، حوارينا، والفقير والغني من الأهالي!

أيتها السيدات المحترمات، والسادة مرحباً!!.....

أراجوز **(من النافذة):** أيتها السيدات غير المحترمات، والسادة لكم أيضاً مرحبا!

عيواظ: يا من تقطعون الغصن الذي تجلسون عليه، يا من تميلون ما مال الهواء، يا من تزعلون وتحردون بسرعة مرحباً!!

أراجوز: (من النافذة): مرحباً بالعسل والبورك، مرحباً بالسم والزنبرك...

عيواظ: يا من لا يذرون في المنقل رماداً إذ يتكلمون، يا من يعطون الناس برعماً، والعناقيدَ هم يبلعون، مرحباً!

أراجوز: (من النافذة): أيتها القلابات الدوَّارة، يا زهر الهواء، أيتها الغشَّاشات، أيها المذبذب المحترم، مرحباً!...

عيواظ: يا من يركب الحصان ويجتاز أو سكودار، يا من يدفع المال فيزمر المزمار، يا من يعبر بعربته الجبال، ويضل في الطرق المستقيمة سبيله، مرحبا!...

أراجوز (من النافذة): يا مدير المعبر الخشبي، يا إبريق المرحاض، يا سنَّادة باب حمام الاغتسال، مرحباً!

عيواظ: يا صافرة وقت الطعام ذات الصوت

الجميل، يا آخر أربعاء من شهرنا القمري البرّاق القادم الذي لن يأتي، مرحبا!

أراجوز **(من النافذة):** يا بذر التين، ويا قرن الماعز، ويا طائراً فوق السطح، مرحبا!

عيواظ: ها نحن إلى الميدان قد جئنا،

وللأطراف الأربعة سلامَنا بلّغنا،

كلامنا موجه لمن يفهمنا،

مرحبات، مرحبا!

سادتي، قصدي ليس كذلك.... وإنما كما قال شاعرنا المشهور طِرطي كرماني:

"بقجة حمام مرقعة لا أريد،

حديقة ورد بلا شوك هي ما أريد".

كذلك فلو أني كنت الوحيد الذي يتكلم في هذا الميدان، ولو أن المستمعين جميعاً يهزون رؤوسهم...

أراجوز: (من النافذة) ولو أنهم يهزون أذيالهم أحياناً...

عيواظ: لو أني ألقي كلمة، وأطلقها بلا هدف، ولو أنهم يصفقون... الخلاصة، لو كانت هناك

حديقة ورد بلا شوك... إيه! إيـ يـ يـ ـه ـه!
وفي هذه الانتخابات، لو أن الناخبين يلتفتون إلينا فنجد سبيلنا... ولو أن المعارضين لا يعكرون صفونا... القصد أن تكون مرقة الفاصولياء وافرة، وأن يَخلص الوطن...
الصديق لي تَسْلياااا...

أراجوز (من النافذة): يبدو أن ظهره يحكه مرة أخرى.

عيواظ: الصديق لي تسليااا...
لا تظنوني جريئاً، فالقلب لدي رهيف.
يدق ثلاث دقات ونصف، ليس فولاذاً هذا الضعيف.
أنا أيضاً أقول الحقيقة، لو لم تكن النهاية في الجحر تشريف...
من أجل النظام ابق ساكناً حيث ربطتك!
إن بصقتَ لفوق شاربك، وإن بصقتَ لتحت لحيتك...
الصديق لي تسليااا...

أراجوز: (من النافذة): ما هكذا يقولون،

خبزاً وجبناً لا يأكلون،
وأنا إن لم أضربك،
عني رجلاً لا يقولون...

(يقفز من النافذة فوق رأس عيواظ، يتعاركان، يقع أراجوز ويستلقي على الأرض، عيواظ يغادر).

أراجوز: آخ آخ.. انتهيت... واضح تماماً أني مواطن أصيل، إذ لم أستطع التخلص من الضرب بأي شكل من الأشكال. ها قد وقعنا وصرنا تحت كما هي الحال دوماً. آخ آخ يا ه‍معدي ويا حديداتي، آه يا مَرَقاتي... آه من تخريفي الدائم من ألم الضربات...

حوار

عيواظ: (يأتي) ياه، يا عينيَّ الاثنتين يا أراجوزي.

أراجوز: ياه، يا فمي، ويا أنفي، ويا وجهي، ويا أذنيَّ الاثنتين يا عيواظي.

عيواظ: لا يا عزيزي، ما هكذا يقولون.

أراجوز: ماذا يقولون إذن؟

عيواظ: يقال صباحكم الشريف بخير.

أرا جوز: لا أقول.

عيواظ: لماذا؟

أراجوز: ولك لماذا يجب أن يتحول كل صباح الشريف إلى خيري؟

عيواظ: أراجوزي لم تفهمني، يعني يقال بون جور.

أراجوز: طيب، بانجور.

عيواظ: أيضاً لم تفهمني يا أراجوزي، يقال غود مورنينغ.

أراجوز: ما معنى هذا؟

عيواظ: معناه صباح الخير...

أراجوز: (يضربه): ولك قل هكذا، ألا تقدر إلا أن تشرب شوربة إفرنجية بملعقة تركية. (يضربه).

عيواظ: لقد جئتك راكضاً من شدة شوقي إليك، وها أنت تكيل لي الضربات يا أراجوزي.

أراجوز: أنا أكيل لك الضربات في المسرح، (يضربه) أما في الواقع فأنا الذي آكل الضربات دائماً...

عيواظ: أراجوزي أنا جئت لأستشيرك، وأنت تسلقني...

أراجوز: سأسلقك نعم، لكنك كبرت وقسوت، فأنت لا تُسلق... سأسلقك أولاً ثم سأرميك في الفرن. ولك هل أنت قرعة شتوية؟

عيواظ: دع المزاح، لقد تضايقت جداً...

أراجوز: ولك هل أنا حارس مراحيض... إن تضايقت فاذهب واقعد تحت تلك الشجرة، وارفع إحدى رجليك الخلفيتين واسترح...

عيواظ: وا أسفاه... تضن بالمساعدة على صديق السنوات الطويلة.

أراجوز: لو كان لدى الأقرع مرهماً لدهن به رأسه.

عيواظ: تماماً... وأنا بحاجة إلى واحد لا مرهم لديه... يعني *إني أبحث عن مواطن*.

أراجوز: وماذا سيفعل المواطن؟

عيواظ: سأجري عليه تجربة.

أراجوز: ولك هل أنا فأر تجارب مخبرية؟

عيواظ: يا روحي، لماذا تغضب؟ أنت ألستَ مواطناً؟

أراجوز: إذا كنت أنا مواطناً، فما أنت إذن؟

عيواظ: أنا مرشَّح يا أراجوزي، مرشَّح...

أراجوز: أتمنى أن تتبهدل أكثر من ذلك....

عيواظ: أهكذا يقولون يا عزيزي؟

أراجوز: ماذا يقولون إذن؟

عيواظ: يقولـــون إن شـــاء الله تُنـــتخب وتـــنجح في الانتخابات..

أراجوز: جيد، طبعاً... وأنا قلت كذلك: إن شاء الله تتبهدل أكثر من ذلك...

عيواظ: بعد قليل سوف ألقي كلمة في الجماهير في ميدان كشتري. لكني قبل ذلك أريد أن أختبر تأثير كلمتي عليك.

أراجوز: وهل أنا لَوح اختبار ولك...

عيواظ: يا روحي، إكراماً للصداقة...

أراجوز: طيب، حاضر، أتسلى معك قليلاً... هيا لنرى؟!

عيواظ: هذا دعاء انتخابي...

أراجوز: أهي كلمة أم دعاء؟

عيواظ: إنها كلمة بأسلوب دعاء...

أراجوز: هيا ارمِ زهرَك...

عيواظ: هـذا دعـاء انتخابـي.. أراجـوزي، علـيك أن تقول آمين عندما يأتي وقتها..

أراجوز: لا يمكـن، أنـا لا أقـول آمـين لـدعاء لـن يتحقق...

عيواظ: قل يا روحي، إكراماً لي..

أراجوز: ولـك بـدأت تخـوزق قـبل أن تُنـتخب... هـات لنرى...

عيواظ: أيها الجماعة!..

أراجوز: آميـ يـ ين..

عيواظ: اسكت يا، لم يحن وقت الآمين بعد.

أراجوز: ولك من أين لي أن أعرف إن حان الوقت أم لا؟

عيواظ: انظر يا أراجوزي، عندما أسعل مرة احدة تقول آمين، وعندما أسعل مرتين تصفق...

أراجمز: وإذا لم تسعل أبداً أصيح يوه....

عيواظ: لا يجوز أن تصيح يوه يا روحي يا أراجوزي...

أراجوز: وإذا أزعجتني جداً ماذا أصيح إذا لم أصح يوه؟

عيواظ: أنت أيضاً عندها تصرخ مثل الشعب يا صبور... إني أبدأ.

أراجوز: إبدأ ولك، وإلا سأبدأ أنا الآن بشجرة نَسَبك...

عيواظ: أيها الجماعة!

أراجوز: يا صابر...

عيواظ: لينصرنا حضرة مارصوان في هذه الانتخابات! أوحو..

أراجوز: آمين...

عيواظ: وليفرِّج عن كل مواطن متضايق، كلما استهلك مرشحونا أذرعاً وأذرعاً من القماش! اوحو اوحو...

أراجوز: يصفق طاق طاق طاق...

عيواظ: وليقلب الحجر ذهباً في أيدي من يعطوننا أصواتهم! اوحو... قلت اوحو... أراجوز قلت اوحو...

أراجوز: ماذا، هل غصصت؟

عيواظ: لا تميِّع الكلمة يا خي، قل آمين...

أراجوز: آمين ولك...

عيواظ: وليَسُق جميع إخواننا الأحبة إلى الكرسي تِباعاً، وبسرعة.. اوحو.. هيا اوحو...

أراجوز: كم مرة سعلت؟

عيواظ: مرة واحدة...

أراجوز: ماذا كان علي أن أفعل؟

عيواظ: عليك أن تقول آمين...

أراجوز: آمين

عيواظ: وليبسر الكراسي جميعها خصيصاً لنا... اوحو، اوحو...

أراجوز: ها نحن نبقى وقوفاً على أقدامنا ثانية.

عيواظ: قلت اوحو، اوحو، هيا صفق!

أراجوز: وهل يمكن التصفيق بالإكراه! آمين...

عيواظ: وأن يجعل خصومنا مع الأرض! وأن ينفد ما بأيديهم ويكونوا بحاجة إلى المال دائمة! وأن يجعل حالهم أسوأ من حال ذوي الدخل المحدود من مواطنينا! وأن يُطوِّعَ الكلام المعسول كله لمرشحينا! وأن يقلب الجبال والأحجار والذئاب والطيور أناساً أصواتهم يعطوننا!

أراجوز: ولك يكفي لهذا الحد، يا شحاذ الأصوات...

عيواظ: وأن يجعل سوق بيْت بازار منيراً، وأن يرزقنا لرمي خصومنا طيناً وفيراً، وأن يجعل فوق حدبة الشعب حدبة، ولِنَقْل الماء ينعم على الأمة بغربال، وعلى أهل القبور بالأمطار، وعلى أصحاب الملايين من المواطنين بالمكانة والاقتدار، والحضور...

أراجوز: (يضربه): وأن يصيبك عن قريب بالباسور.. (يضربه) ولك لو كان دعاؤك مستجاباً لأنير سوق بيت بازار... (عيواظ يغادر) وهل أبقى أنا إن ذهبت أنت؟ أنا لم يربطوني هنا براتب شهري محدود... وأنا أذهب إلى ساحة الانتخابات فأستمع إلى كلمات الدعايات الانتخابية الملفقة وأتسلى...

فاصل

(يدخل عيواظ وهو يتلو المنظومة التالية)

سقط العهد السابق والمفاهيم القديمة قد زالت،
فمن يجلس مَرَّة لا يقوم، كلمة تفضل واجلس قد زالت.

وصل الجميع واغتنوا وصار لهم مكانة وحضور،
فكل شيء متوفر في السوق السوداء، أما مكانتنا فقد زالت

بالتدابير الجديدة حطَّت فوق حدبة الشعب حدبة،
ولو بحثت عن حدبة واحدة لن تجدها، فهذه الظاهرة قد زالت.

تكاثف الضباب واستمر يومين في
استانبول،
سفينة هناك لم تصدم أو تصطدم ما كانت

ملأتنا أقوال ومعزوفات المجلس بهجة،
وقرعت الدفوف، أما القانون، والطنبور
والآلات فقد غابت.

رموا بعضهم بعضاً بكل ما هناك من طين،
شكراً جزيلاً فالطين والأوحال من الأزقة
قد زالت.

منذ دخل الرفس واللكم ميدان السياسة،
أحداث الشغب من ميادين الكرة قد زالت...

الإداري: (يدخل): هل ناديتموني يا عيواظ جلبي؟

عيواظ: آه يا سيدي، يا إداريَّنا المحترم... أهلاً بكم! وهل يجوز لي أن أناديكم؟

الإداري: لقد تفضلتم وذكرتم ملاعب الكرة، فظننت أن فريقنا سينزل إلى الملعب... ربما تعرفون أن بطولة فريقنا للدوري هذا العام في خطر...

عيواظ: أواه!.. وما هو الإجراء الذي تفكرون به؟

الإداري: سيدي، لست أنا من يفكر بالإجراء، بل هم خصومي. فمعلوم لديكم أنه عندما يخسر أي فريق لدينا، فإنهم يسارعون فوراً إلى عزل الإداريين.

أراجوز: (من النافذة) إذن بعكس السياسة... ففي السياسة، كلما تخوزق الشعب التصق الإداريون بالكرسي أكثر...

عيواظ: سيدي، لكن ليس سعادتكم من يأكل الهدف، فلماذا يعزلونكم؟

الإداري: سيدي إنهم يدفعون للاعبين مئات ألوف الليرات، لذلك لا يستطيعون عزلهم، إن حكمهم يسري علينا...

عيواظ: وماذا تفكرون أن تفعلوا؟

الإداري: لهذا أنا هنا أسلب راحتكم... إن فريقنا بحاجة إلى مدرب ماهر، على أن يكون قاسياً جداً، بحيث يستطيع تنظيم - البعيد - هذا الفريق التعبان. فهل تعرفون أحداً بهذه المواصفات يا ترى؟

عيواظ: الحقيقة أني أعرف مدرباً بهذا الوصف، لكنه قاسٍ جداً، ليس كما تتصور...

أراجوز: (من النافذة): خَلٌّ جيد، خَلٌّ فعَّال!..

الإداري: جيد جداً أرجوك... ما اسم هذا المدرب القاسي جداً؟

عيواظ: اسمه أراجوز يا سيدي...

الإداري: هل يمكنني مقابلته؟

عيواظ: طبعاً يا سيدي، فلأذهب وأخبره...

(يذهب أراجوز، والإداري)

(عيواظ يطرق باب بيت أراجوز).

عيواظ: افتح يا أراجوزي، افتح!...

أراجوز: (من الداخل) أنت الجوعان يا ذا القرون...

عيواظ: افتح الباب يا أراجوازي... (اراجوز: يقفز من النافذة فوق عيواظ، ويضربه) ولك ما بك تضرب؟.. يلقون السلام أولاً.

أراجوز: أنا أضرب... (يضرب).

عيواظ: لماذا؟

أراجوز: أنــا قــاس ولــك.. ألم تــر في حـيـاتك رجــلاً قاسياً؟ هه هيت... أعفسك عفساً ها!...

عيواظ: لم أنت قاس لهذه الدرجة يا أراجوزي؟..

أراجوز: النساء يهوين القساة من الرجال، لذلك... أنا زوج قــاس جـداً.. ففــي كـل مـسـاء، مـا إن أدخـل مـن بـاب البـيت أصيح صـوتاً يجعـل زوجتي التي هي أختك، تجري فزعاً وتبحث عن جحر فأر لتختبئ فيه...

عيواظ: ماذا تقول؟

أراجوز: هـل أنـت أطـرش؟ ألا تـسمع مـا أقـوله؟ إن خـرجت إلى الحـارة وصـرخت صـوتاً.. صـدق بـالله أن أهـل الحارة جميعاً يرتجفون خوفاً... أدخلُ الحـارة هـكذا، وأرسلُ صيحة: دووه... جـاء القـبطان أراجـوز، سـبع الـبراري، نمـر الـبحار، ثعلب الغابـات... لستم رجـالاً، هـذه حديقـة حيوانـات... ولـك هـل هنـاك مـن ينظـر إلـي نظـرة خائـنة.. ولـك عـيواظ هـيا أسـرع وابسط منديلك على الأرض!

عيواظ: ماذا سيحدث؟

أراجوز: النظافة من الإيمان. سأقطع رأسك، فلكي لا يتسخ بالتراب عندما يقع على الأرض!

عيواظ: الرحمة يا أراجوزي، أرجوك!..

أراجوز: بسرعة ولك!.. لقد فقدت أعصابي ثانية... دوووه، أهناك من يتعطش لموته... ولاااك!..

(عيواظ يهرب، تأتي زوجة أراجوز).

زوجة أراجوز: بُليت بالعمى يا رجل، هل جننت، أم أصبت بالكَلَب؟

(تضربه) ما بك تنبح هكذا أمام الباب؟ (تضربه) سوف توقظ الطفل...

أراجوز: لا تضربي يا زوجتي العزيزة... لقد أنهيت أعمال المنزل كلها، وخرجت إلى الزقاق قليلاً باعتباري رجلاً...

زوجة أراجوز: هل غسلت خرق الطفل؟

أراجوز: غسلتها.

زوجة أراجوز: طيب، وهل غسلت خرقي؟

أراجوز: غسلتها يا زوجتي العزيزة...

زوجة أراجواز: وخرقك أنت هل غسلتها؟

أراجوز: ها؟ خرقي أنا؟ نعم غسلتها...

زوجة أراجوز: (تضربه) إن سمعتك تنبح ثانية، سأكسر رأسك...

(تذهب زوجة أراجوز، يأتي عيواظ)

عيواظ: أراجوز!..

أراجوز: ....!

عيواظ: أراجوز، إني أكلمك، أراجوز القاسي...

أراجوز: شت، تكلم بصوت منخفض، فالطفل نائم...

عيواظ: أما كنت قاسياً؟

أراجوز: نعم أنا قاس، ألم يعجبك؟

عيواظ: لكنك أكلت علقة من زوجتك... شاهدت ذلك وراقبته من الزاوية.

أراجوز: صحيح أن زوجتي ضربتني، لكن يديها آلمتاها من شدة قسوتي.

عيواظ: وا أسفاه.. لقد تمزقت يدا المرأة... ومن ألمها،

هـي لـن تـستطيع ضـربك حتـى سـاعتين...
أراجوز!

أراجوز: ها؟

عيواظ: هناك حاجة لشخص قاس جداً مثلك..

أراجوز: هل سيصنعونه برغياً؟

عيواظ: سيدفعون مالاً كثيراً..

أراجوز: إذا كانوا سيدفعون مالاً كثيراً فلا بأس، لن يجدوا من هو أقسى مني.

عيواظ: في أي صنف أديت عسكريتك؟

أراجوز: في الصف الأول...

عيواظ: ليس هذا ما قصدته يا أراجوزي... أعني هل كنت في المشاة أم في الفرسان؟

أراجوز: كنت مدفعياً...[1]

---

[1] يعمد الكاتب في هذا النص إلى التلاعب بالألفاظ بشكل بديع، من خلال استعمال للمعاني المتعددة التي تعنيها الكلمة الواحدة ذاتها، ويختلف فيها المعنى الواحد عن الآخر اختلافاً كلياً، مما يحدث مفارقات ترسم لوحة ساخرة تصل بالقارئ إلى ما رمز إليه وعناه عزيز نسن. "المترجم".

عيواظ: هَهْ، تمام.. وأولئك يبحثون عن لاعب كرة.. إذن فأنت تفهم في أمور الكرة.. في أي مرمى كنت تلعب الكرة؟

أراجوز: في قلعة فنار باهجا.. ثم أخذت مصلحة الإطفاء قلعتنا، وحولتها إلى خزان مياه...

عيواظ: سيجعلك الإداري مدرباً...

أراجوز: ماذا سيفعل بي الإداري في الممر؟..

عيواظ: لن يفعل بك شيئاً في الممر يا أراجوزي، سيجعلك مدرباً.

أراجوز: وما ذاك؟

عيواظ: يا روحي يا سيدي، ألستَ قاسياً؟

أراجوز: أنا قاسٍ.. نعم.

عيواظ: وإذا صرخت صوتاً يخاف منك الجميع..

أراجوز: نعم.. يخافون.

عيواظ: وتأكل من زوجتك خمس علقات في اليوم...

أراجوز: نعم آكل... ماذا؟ ولك لا تعبث بأسرار الدولة...

عيواظ: وباعتبارك لاعب كرة...

أراجوز: نعم...

عيواظ: باعتبارك لاعب كرة في المرمى...

أراجوز: نعم...

عيواظ: أي إنك تلعب في المرمى...

أراجوز: لا، إني أرقص في القلعة... ولك أيمكن اللعب في القلعة.. كنت في القلعة أرمي القذائف، القذائف...

عيواظ: طيب إذا كنت لا تلعب في المرمى، أين تلعب إذن؟

أراجوز: ألعب في الرمال...

عيواظ: ليس هذا ما قصدته يا روحي يا سيدي... أقصد أن أقول إنك ترمي الكرات.

أراجوز: إني أفلس باستمرار...

عيواظ: وكيف ترمي؟

أراجوز: أخدع أحدهم فآخذ أمواله، وأعمل مشروعاً ثم أعلن إفلاسي...

عيواظ: أيعني أنك رامي كرات؟

أراجوز: لا، إني بطيخة فجة...

عيواظ: آه ليس هذا ما قصدته يا روحي يا سيدي... يعني أقصد أن أقول إنك لاعب كرة،

وحارس مرمى، وقاس، وتأكل علقة من زوجتك... إنك الرجل المناسب تماماً لأن تكون مدرباً...

أراجوز: ولك لا تخلط العلقة بالموضوع...

عيواظ: تلك هي الضربة الضرورية يا أراجوزي، لأنك ستأكل علقة من المتفرجين...

أراجوز: أنا في غنى عن هذا العمل..

عيواظ: يعني أريد أن أقول بأنهم سيجعلونك معلماً للاعبي الكرة...

أراجوز: ما بك تلف وتدور منذ فترة، قلها هكذا مثل الرجال..

عيواظ: هيا اذهب الآن فوراً إلى ساحة كشتري، فالإداري المحترم ينتظرك هناك..

أراجوز: لا يمكن.. علي أولاً أن أرى مشجعي الفريق، وأفهم الوضع، وبعد ذلك أقابل الإداري...

عيواظ: فكرة لا بأس بها... هيا إذن اذهب إلى باب الملعب، وتحدث مع الزملاء الخارجين من المباراة.

(عيواظ يذهب)

الفصل الثاني

(يدخل الرَّيِّس تمل على أنغام أغنية "السفينة قادمة تمخر عباب البحر" ثم يغني الأغنية التالية):

تعبنا من الكلام، أما هو فيتكلم ولا يتعب،
"كفى لهذا الحد!" لو قلنا، رجالاً إيانا لا يحسب...
ويقول "تحمَّلوا أيضاً قليلاً!"، ولنقل بأنا تحمَّلنا،
بهذا القدر من التحمل، أي بنطالات لا تُثقب....

لو أننا بزيادة الأسعار فوق زيادة مثل شَبَّةٍ احترقنا،

لو قلنا إننا اليوم أحسن من الأمس وبذلك اقتنعنا،
ولو أننا برخص الأسعار، وبالرخاء آمنًا وصدَّقنا،
فإن الصغار والأطفال في البيت والله لا يصدقون...

يأتي خبر التفتيش، والموظفون جميعاً يتنبهون،
بالطلاء وبالدهان الجدران جميعها يدهنون،
المفتشون لا يعرفونه، ومبنى آخر دخلوا يظنون
حتى لو كان الأمر خداعاً ما هكذا كان ليكون...

أراجوز: هو ذا الملهى الجوال قادم....

الريِّس تمل:[1] مرحباً يا صديقي...

---

[1] الريس تمل يتكلم بلهجة عامية ساحلية. "المترجم".

أراجوز: مرحباً..

الريس تمل: أ أنت من يدعونه أراجوز؟

أراجوز: نعم أنا.. ألم أعجبك؟

الريس تمل: أعجبتني، وسأشتري، أي فريق تشجع أنت؟

أراجوز: فريقي...

الريس تمل: انظر إلي، حقاً لقد صرت ممتناً جداً لهذا.. إذن فأنت تشجع فريقنا...

أراجوز: أنت أي فريق تشجع؟

الريس تمل: أنا لا أشجع فريقاً أو مريقاً. إنها المرة الأولى التي أحضر فيها مباراة. والحق أن أصدقائي يأتون يوماً في الأسبوع ويحضرون مباراة، ثم يمضون الأيام الستة في المقهى بالحديث عنها. شغلني الأمر فقلت يجب أن أرى الذين يأكلون هذا الهواء، وجئت إلى هنا...

أراجوز: وهذا هنا.. هل أعجبك؟

الريس تمل: إنـي أنظـر وأنظـر فـلا أفهـم شـيئاً. لقـد ضربت الكرة تلك وضربتها، ومادمت قد ضـربتها وأبعـدتها عـنك، فلمـاذا تـركض خلفهـا؟... ومادمـت سـتركض خلفهـا لمـاذا تـضربها؟.. ضـربتها لمـاذا تـركض خلفهـا؟ ستركض خلفها لماذا تضربها؟.. ضربتها، لا تـركض! طالمـا سـتركض خلفهـا لا تـضربها!.. الحقـيقة إنـي أسـتأذنك فقـد تأخرت، إني ذاهب إلى المقهى لأتحدث مع الأصدقاء عن المباراة...

(يذهب الريس تمل. ويأتي الأكبر آغا وهو يتلو المنظومة التالية):

لمـاذا لـن يكـون هـناك لهـذه الليالـي أبـداً ضياء؟

أنـا في صـحراء قاحلـة لـيس فيها حتى سـراب المـاء...

لو طلبت من صبي المطعم مرة في العمر خبزاً مع شواء،

لجاءني بالخبـز فقط دون أن يجلب ما طلبت من شواء..

من يـريد الترقـي يجب أن يكون لديه كل الأشياء،

شـيء واحـد فقـط لا لـزوم لـه؛ لا داعٍ لديـه للحياء!

فلن يعـرف بشكل من الأشكال ما يقترفه من إساءات،

إذ لديـه ضـمير، لكـن ضـميره لـيس مـن الأصحّاء..

وعن الخطة والبرنامج إن تسأل، جاهزة هي في صندوقه،

فـالخطط لديـه لا حـصر لهـا ولـيس لهـا إحصاء...

الأكبر آغا: السلام عليكم...

اراجوز: عليكم السلام...

الأكبر آغا:[1] أتعرف من أين أتيت؟ لقد تفرجت على لاعبي كرة جميلين.

---

[1] الأكبر آغا يتكلم بلهجة عامية "المترجم".

أراجوز: أغلب الظن أنك من هواة الكرة...

الأكبر آغا: لا ، أنا لست من هواة الكرة ، إن نفسي تهوى لاعبي الكرة ، أنا لا أتفرج على الكرة ، بل أتفرج على اللاعبين....

أراجوز: هل لعبت الكرة في شبابك؟

الأكبر آغا: لا... فالكرة خفيفة على همتي. أنا في شبابي لم ألعب الكرة ، بل لعبت بالكلّة وبالقنابل ، وفي لعبنا بالكلّة كان كل فريق يتألف من ثمانين محصّلاً ، وعشرين ظهيراً ، وأربعين جناحاً أيمن.

أراجوز: وكم ظهيراً أيسر ، وكم جناحاً أيسر؟

الأكبر آغا: نحن لا نتعامل مع اليسار. حتى الساحة لم يكن لها طرف أيسر، الكل يمين.

أراجوز: لكن هذا الازدحام لا تَسَعُه ساحة...

الأكبر آغا: واضح لم تكن الساحة تتسع. لذلك

كنا نستأجر ساحة من البلدان المجاورة.

أراجوز: وهل كانت تحدث أحداث شغب واشتباكات في المباريات في ذلك الزمن، كما تحدث اليوم؟

الأكبر آغا: واضح... لم يكن أحد يستطيع الخروج حياً من الساحة، كان ذلك ممنوعاً. فاللاعبون والمتفرجون والشرطة جميعهم يقتل بعضهم بعضاً، وآخر واحد يبقى يعلق نفسه على العارضة.

أراجوز: ذلك يا له من فشّار... طيب، وكيف بقيت أنت حياً؟

الأكبر آغا: من؟ أنا؟ أنا؟ وهل أنا الآن حي؟..

أراجوز: لا، هل أنت ميت؟

الأكبر آغا: وأنا أفكر في ذلك، كيف حدث وبقيت حياً.. لم يستطع أحد قتلي، وفي النهاية علقت نفسي على العارضة... ولشدتي هوت العارضة، وبقيت حياً...

أراجوز: أواه، أواه!.. إذن فأنت لا تستمتع بهذه المباريات التافهة.

الأكبر آغا: لا.. أنا لم آت من أجل المباراة، أنا آتي لأشبع هواي وهيامي بالجمال.. أنا لا أنظر إلى المرمى أو إلى الكرة، أنا أتفرَّج على اللاعبين.. يجب أن أذهب.

أراجوز: ما عجلتك يا هذا... كنت تفشر فشراً حلواً يا لجماله...

الأكبر آغا: إنهم يحضِّرون للمباراة، يجب أن أذهب لأتفرَّج على اللاعبين. هيا أستودعك الله...

أراجوز: مع السلامة...

(يذهب الأكبر آغا، وتدخل المرأة العجوز وهي تتلو المنظومة التالية):

لا حاجة بنا إلى كتاب وقرطاس،
ذكاؤنا لا يسعه إناء ولا طاس!
نلعب ألعاباً يا لنا من ناس،

شطارتنا ومهارتنا...
يا عيني،
عيون الحسَّاد تبلى بالورم...

يجب تجديد الأثواب القديمة،
بأن نخيط فوق الرقع رقع...
راضون نحن بذلك ولكن الرقع
البالية المهترئة ما عادت ترقع.
يا عيني،
عيون الحسَّاد تبلى بالورم...

الأسعار تركض مسرعة بلا عنان،
ويقول العارفون اضغط على الأسنان،
ولنقل بأنك ضغت على الأسنان،
من كثرة الضغط لم تبق لديك أسنان
يا عيني،
عيون الحسَّاد تبلى بالورم...

المرأة العجوز: آه، مَن ذاك الذي هناك؟ أهو أنت يا

أراجوز، عيناي ما عادتا تميزان جيداً...

أراجوز: يا عالم، أهْلُ حينا جميعاً حضروا المباراة.. وهل حضرتِ المباراة أنتِ أيضاً؟

المرأة العجوز: ها؟

أراجوز: أمِنَ المباراة؟

المرأة العجوز: ماذا تقول؟

أراجوز: (يصرخ) هل حضرت مباراة كرة القدم؟

أراجوز: لا تهمس، قل بوضوح!

أراجوز: من أين أنتِ قادمة؟

المرأة العجوز: لقد ثقل سمعي قليلاً لذلك...

أراجوز: هل أنت قادمة من مباراة كرة القدم؟

المرأة العجوز: إيه يا أراجوزي، هل بقيت لدي همة لكرة القدم أو مرة القدم. إن هدي في شيء آخر مغاير... أنا أذهب إلى المباريات صيفاً، وسبب ذلك معروف...

فحين يحل الصيف، تعرف، لا تجري المياه في المواسير، وتشخر حنفية الماء كما يشخر الرجل الذبيح. إيه ولا يمكن غسل الأولاد بالشخير، فماذا أفعل، إني أجمع الأطفال والأولاد وأذهب بهم إلى المباراة.

أراجوز: ولك أيتها المرأة العجوز هل تغسلين الأولاد في المباراة بالكوكاكولا؟

المرأة العجوز: في المباراة يحدث ازدحام، ويحدث اشتباك وعراك، فتأتي الإطفائية وتفتح علينا خراطيم المياه لتفريق المشتبكين.. عندها أنتهز تلك الفرصة وأغسل الأولاد بالصابون، وأفرك جلدهم... وأعطي كل طفل في يده قنينة أو سطلاً أو تنكة أو أي وعاء فنملأ مياهنا ونعود إلى بيتنا، وتكفينا أسبوعاً... وما ندفعه لحضور المباراة أرخص من ثمن زجاجات المياه الملوثة التي نشتريها. وإلا يا أراجوزي ما هو عملي في هذه الأماكن غير

المناسبة بعد هذا العمر... هيا ابق بأمان
الله يا أراجوزي...

أراجوز: مع السلامة...

(تذهب المرأة العجوز، ويدخل المعارض المزمن وهو يتلو المنظومة التالية):

هذا فقط ما تعلمت،
في الطاحون الحق.
حذار أن تطالب بحق،
فتنزل على رأسك مطرقة،
فالعصا من الجنة،
وعليك ما تستحق،
هذا هو ما تستحق!

علمتك الطرق والأساليب،
وقلت لك تأقلم ولا تكن كالغريب،
ألم يبق غيرك لتستقيم؟
مالك وللنظام؟
أشعل الآن على همك شموعاً بانتظام!

فعليك ما يستحق،
هذا هو ما تستحق!

إذا لم يُعطِ المعبود،
ماذا يمكن أن يفعل السيد محمود؟
أولاد الناس الفيلَ يبلعون،
مثلهم إبلع، وافعل ما يفعلون!
فإن لم تلحس الصحون،
فعليك ما يستحق،
هذا هو ما تستحق!

المعارض المزمن: مرحباً يا أراجوزي.

أراجوز: مرحباً أيها المعارض المزمن... هل ذهبت أنت أيضاً إلى المباراة؟

المعارض المزمن: منذ عشر سنوات وأنا لا أفوِّت أي مباراة كبرى.

أراجوز: من تغلَّب على مَن؟

المعارض المزمن: لا أعرف...

أراجوز: أي الفرق لعبت؟

المعارض المزمن: لا أعرف...

أراجوز: حلو يا...

المعارض المزمن: أراجوزي إننا لا نذهب إلى هناك لمتابعة المباريات...

أراجوز: لماذا تذهبون إذن؟

المعارض المزمن: لننفس ما بداخلنا... اصرخ كما تشاء، قل ما يأتي على لسانك، اشتم كما تريد... فالحرية متوفرة جداً في ملاعب كرة القدم.. فليس فيها قانون جنايات ولا قانون طوارئ، ولا مدع عام...

أراجوز: وأين الشرطة؟ ألا توجد شرطة؟

المعارض المزمن: توجد شرطة، ولكن أولئك المساكين أيضاً جوفهم محروق، وهم أيضاً ينتهزون الفرصة، ويصرخون.

أراجوز: يا لأمك، لقد ازداد عمري سنة...

المعارض المزمن: سيزداد سنين كثيرة بحيث توجعك بطنك. أتظن أن عشرات آلاف

المتفـــرجين أولـــئك يذهـــبون لمـــتابعة المباراة؟ لكل واحد منهم همه؛ فمنهم مـن يـشتم قلـب الهجـوم ويـصرخ فـيه "هـوووش" بـدلاً مـن أن يـشتم مديـر دائـرته. ومنهم مـن يصرخ في الظهير "يا بقـر" بـدلاً مـن شـتم صـاحب البـيت؛ ومنهم مـن يصرخ في حـارس المرمـى "يا سطل!" بدلاً من أن يشتم زوجته.

أراجوز: طيب وأنت فيمن تصرخ؟

المعارض المزمن: لا ، لا تحـــاول أن تـــستدرجني في الكـلام. فأنـت تعـرف جيداً مـن هـم الـذين يـصرخ فـيهم "يـا عـربات البقـر" هيا عـن إذنك، علي أن أذهـب وأصرخ قليلاً أيضاً ، لأنفس ما بداخلي وأرتاح.

(يذهب المعـارض المزمن، وتدخل آيسل معنويات).

آيسل معنويات: آ ، وأراجوز هنا أيضاً...

أراجوز: ولك يا آيسل، ماذا تفعلين في المباراة؟

آيسل معنويات: طبعاً لن أخفي عنك.. فبنات حينا جميعهن يعتبرنك بمثابة الأب.

أراجوز: أدامهن الله، طبعاً أنا أب... تعالي إلى أبيك يا روحي، تعالي إلى أبيك... أين هي صغيرتي، أين هي...

آيسل معنويات: فيما بعد يا أبي...

أراجوز: اشرحي يا صغيرتي...

آيسل معنويات: يلقبونني آيسل معنويات بقدرها وشهرتها...

أراجوز: ولكِ أنت لم يكن لك قديماً خيار أو ما شابه، من أين طلعتِ علينا بالخيار وبالسلطة؟ أهو كنيتك؟

آيسل معنويات: معنويات، معنويات...

أراجوز: وما هي هذه المعنويات التي تتحدثين عنها؟

آيسل معنويات: إني أمنحها للاعبي كرة القدم. كما تمنحها نجمات السينما المشهورات للجنود الأمريكيين، هكذا.. وأنا أمنحها للاعبينا.

أراجوز: ولك آيسل، هيا أبرزي معنوياتك هذه لأرى أي شيء هي؟..

آيسل معنويات: آ آ، ماذا أسمع.. لكن المعنويات لا تُرى...

أراجوز: هيا أرنيها، ماذا يحدث يا، ينالك ثواب... وهل أنا غريب؟ هيا لا يوجد أحد هنا... أما كنتنَّ تعتبرنني بمثابة الأب؟

آيسل معنويات: لا تُرى صدقني.. إنني أمنحها فقط للاعبي كرة القدم.

أراجوز: أي لاعبي كرة قدم؟

آيسل معنويات: لاعبو فريقنا...

أراجوز: آيسل يا...

آيسل معنويات: نعم...

أراجوز: لماذا لا تمنحيني معنويات أنا أيضاً، على مرأى من الدنيا..

آيسل معنويات: لكنك لست بحاجة... في البداية منحت معنوياتي للظهير الأيمن خيري

التيس. لكنه سرعان ما هرب مني.
أما الآن فإني أمنح المعنويات لمتين يبرق.
ولكن هل أخبرك شيئاً، يجب عدم الانخداع بأجسام لاعبي كرة القدم، إذ لا خير في أي واحد منهم..آ آ، لقد تأخرت، سأمنح معنويات لبكير الخازوق.. ابق بخير يا عمي أراجوز...

أراجوز: مع السلامة يا روحي.. فهمنا، العمل في مجال الكرة عمل رفيع المستوى، بالطول أو بالعرض سأصبح مدرباً في النهاية..

(تذهب آيسل معنويات، ويدخل حجي آغا وهو يتلو المنظومة التالية):

أهل القرية شكلَ الطبيب لا يعرفون،
لا سروال في الرجل، وعن قشة تنقذهم ما عادوا يبحثون،
وصلت الرذالة لحد الركب، لكن لا يكتبُ كلٌ شيء العارفون
لا أعرف أيها الكبار لإنقاذهم من الغرق ماذا ينتظر الغارقون؟

ألم تصل بعد إلى المقاس المطلوب، ألا
فلتنفجر تلك البطون؟

بالفطرة تجمّع أولادك ومشوا إياك
يعارضون،
صار كل منهم مثل كلب أجرب يهرش
بجنون،
وهكذا سوف، تبول العصافير على قبرك
حيث يكون،
لا أعرف أيها الكبار لإنقاذهم من الغرق
ماذا ينتظر الغارقون؟
ألم تصل بعد إلى المقاس المطلوب، ألا
فلتنفجر تلك البطون؟

شددنا الحزام، وضغطنا على الاسنان،
وبقينا جلداً وعظام،
لكن عورة الإنسان لا يسترها فارغ
الكلام،
أشعلنا سراجاً لنبحث عن سالف الأيام.
لا أعرف أيها الكبار لإنقاذهم من الغرق

ماذا ينتظر الغارقون؟

ألم تصل بعد إلى المقاس المطلوب، ألا فلتنفجر تلك البطون؟

حجي آغا: والسلام عليكم أراجوز آغا...

أراجوز: وعليكم السلام حجي آغا... أماناً. هل ذهبت أنت أيضاً إلى المباراة يا حجي آغا؟

حجي آغا: نعم، أنا أيضاً ذهبت. ماذا حدث...

أراجوز: وهل تذهب دائماً إلى المباريات؟

حجي آغا: ملعون أبو المباريات يا أخي... أنا لم أر رذالة بهذا الشكل يا روحي... كنت ماراً من هنا عند الصباح، لقضاء عمل مستعجل. وإذ بي قد صرت وسط زحام. توسلت ورجوت أعطوني طريقاً، لا تفعلوا، لا تعملوا. ولكن لا سامع... تزاحم وتدافش، دفعوني دفعاً إلى شباك التذاكر. كانوا متمترسين خلفي، بحيث لا يمكنني العودة.. اشتريت تذكرة رغماً عني. وبالدفش وبالدفع وباللز أدخلوني إلى ساحة الكرة.

أراجوز: إذن فهي أول مرة تذهب فيها إلى مباراة..

حجي آغا: ليس ذهاباً يا روحي، إنه إدخال، إدخال، إنه أول إدخال لي إلى مباراة...

أراجوز: وكيف رأيت المباراة؟

حجي آغا: نظرت إلى حال الأولاد، نظرت وتمزق قلبي لحالهم والله... أليس حراماً ما يجري لأولاد البلد يا أخي... اثنان وعشرون ولداً يجرون وراء جلدة منفوخة، ويرتبكون وتتقطع أنفاسهم وهم يحاولون إدخالها من ثقب ما... وإن قلت ثقباً، فهو ليس صغيراً، ولا ضيقاً، إنه ثقب واسع، لكنهم لم يستطيعوا إدخالها وتسجيل هدف بشكل من الأشكال. أنا سأعمل حسنة يا أراجوز أفندي...

أراجوز: اعمل طبعاً... وما هي؟

حجي آغا: يا روحي إن قلنا إننا بلد متخلف، فهل تخلفنا إلى هذا الحد يا أخي.. اثنان وعشرون شاباً يتداخلون ويشتبكون ببعض من أجل جلدة منفوخة، يا للأسف..

سأذهب وأشتري من هنا اثنتين وعشرين كرة عن خيري، وأعطيها للأولاد، وليلعبوا ما شاؤوا يا روحي... أنا ذاهب لأشتري الكرات للأولاد وأعود. ابق بالسلامة يا أراجوز آغا...

أراجوز: بالبركات يا حجي آغا...

الفصل الثالث

عيواظ: أعمق احتراماتي لكم يا سيدي... كيف حالكم، أنتم بصحة وعافية إن شاء الله...

الإداري: أدامك الله يا عيواظ جلبي... وكيف أنتم.

عيواظ: داعون لكم يا سيدي.

الإداري: هل قبل ذلك المدرب القاسي، الذي دللتنا عليه، العمل معنا؟

عيواظ: سيدي، المدرب أراجوز لا يشبه بقية المدربين، إنه يعمل بعلم ومعرفة، ويرفع فوراً الفريق الذي يتولى تدريبه. لذلك فإنه عمد أولاً إلى إجراء حوارات ونقاشات وأبحاث مع أنصار الفريق.

الإداري: عظيم... إنه تماماً المدرب الذي نبحث عنه... طيب ماذا قال؟ هل قبل؟

عيواظ: قال إذا اتفقنا مادياً ، فإني أوافق.

الإداري: ماذا يطلب يا عيواظ جلبي؟

عيواظ: سأرسله لكم، فتكلموا معه ، ذلك أفضل...

الإداري: حسناً يا عيواظ جلبي...

(يذهب الإداري: ويأتي أراجوز)

أراجوز: لقد فتنني هذا العمل ولك يا عَوَظْوَظْ.

عيواظ: أي عمل ذاك؟

أراجوز: ماذا كان ا سمه؟ مسرب أم ماذا؟!

عيواظ: مدرب رياضي..

أراجوز: ها ، هو ذاك العمل...

عيواظ: أخبرني لماذا أحببت هذا العمل كثيراً لهذا الحد؟

أراجوز: أَوَلاً يُحب.. أنت تعرف آيسل، آيسل ستعطي معنويات.

عيواظ: حسناً ، الإداري ينتظرك، اذهب وقابله...

أراجوز: ماذا أقول؟

عيواظ: قل ما تريده من مال.

أراجوز: لو طلبت خمسين ليرة، فهل يكون كثيراً يا عيواظ؟

عيواظ: رجاء يا أراجوز أنت مدرب ذو قدر وقيمة، أيعقل أن تطلب خمسين ليرة؟

أراجوز: كم ليرة معقول؟

عيواظ: في البداية اطلب على الموافقة خمسين ألف ليرة نقداً...

أراجوز: لا تمزح ولك، أعفسك.

عيواظ: وأطلب عشرة آلاف ليرة أجراً شهرياً...

أراجوز: ماذا أطلب أيضاً؟

عيواظ: واطلب عشرين ألف ليرة عن كل مباراة يفوز فيها الفريق...

أراجوز: سأطلب ولك...

الفصل الرابع

(أراجوز والإداري)

أراجوز: أريد خمسين ألف ليرة سلفاً

الإداري: من أنت يا؟

أراجوز: وأريد عشرة آلاف ليرة أجراً شهرياً...

الإداري: هل أنت مجنون؟

أراجوز: وأريد عشرين ألف ليرة بعد كل مباراة.

الإداري: لماذا تطلب هذه المبالغ؟

أراجوز: لماذا؟ وما أدراني أنا؟ عيواظ قال لي اطلب، وأنا أطلب.

الإداري: هاا... هل أنتم حضرة المدرب الرياضي المشهور جداً سيادة أراجوز بيك أفندي المحترم الذي أوصى به عيواظ جلبي؟

أراجوز: أنا أراجوز، أما باقي الزحام الذي عددته فلا أعرفه.

الإداري: أنا ممتن جداً.

أراجوز: وإذا دفعتم المال، أصير أنا أيضاً ممتناً.

الإداري: لنا شرط واحد..

أراجوز: تفضلوا.

الإداري: إذا جعلت فريقنا بطل الدوري، نعطيك ما تريده.

أراجوز: لا تشغلوا بالكم بهذا الخصوص.. جعلته بطلاً وانتهى اعتبروا الفريق بطل الدوري.

الإداري: أيمكن أن تكرر مطالبك ثانية؟

أراجوز: خمسون ألف ليرة سلفاً.

الإداري: قليل. لنعطك مئة ألف.

أراجوز: جيد طبعاً. هات مئة.

الإداري: غيره؟:

أراجوز: أجر شهري عشرة آلاف...

الإداري: قليل.. لنعطك عشرين.

أراجوز: لا بأس، قبلت...

الإداري: غيره؟

أراجوز: عشرون ألف عن كل مباراة...

الإداري: قليل، لنعطك أربعين.

أراجوز: هذا أيضاً حاضر.

الإداري: غيره؟

أراجوز: غيره، غيره، غيره... ها ... صحيح، تذكرت، ليس معي أجرة عودة، أعطني خمسين قرشاً ثمن تذكرة الباص...

الإداري: آه، انظر هذا غير ممكن.

أراجوز: لماذا؟ المئة ألف والأربعين ألفاً ممكنة، لماذا تكون الخمسون قرشاً غير ممكنة؟

الإداري: أنت تطلب الخمسين قرشاً نقداً، أما المبالغ الأخرى، سَجِّل على اللوح، واقبض في نهاية الأسبوع...

أراجوز: وقعنا على مكان عمل نزيه.

الإداري: هيا استلموا الفريق فوراً، وباشروا التدريب!

أراجوز: وأين هو الفريق الآن؟

الإداري: العثور عليهم أمر سهل، في حارس مرمانا والظهير الأيسر ولاعبو الوسط في أحد البارات، أما الظهير الأيمن وقلب الهجوم فهما في بيت آيسل معنويات، والآخرون إما في الكازينوهات أو في الأندية الليلية.

أراجوز: إه. العثور عليهم أمر سهل. ولك هل أنا دولاب هواء أم رئيس الضابطة الأخلاقية؟ ألم تسمعوا بأني دولاب هواء قاس جداً؟ انظر إن أعصابي تغلي، ولست مسؤولاً عن النتيجة ها!...

الإداري: رجاء لا تفقدوا أعصابكم، سأذهب فوراً وأبحث عنهم وأعثر عليهم، وأرسلهم إلى ساحة الملعب.

أراجوز: نعم أرسلهم إلى ساحة الملعب، ولينقذني المولى من هذا البلاء!

(يذهب الإداري، ويأتي كابتن الفريق أحمد الحيط).

الكابتن: أأنت المدرب أراجوز؟

أراجوز: نعم أنا ، ومن أنت؟

الكابتن: أنا كابتن.

أراجوز: في أي باخرة؟

الكابتن: ولك هل تسخر مني؟

أراجوز: أي سخرية يا سبعي... أنت قلت بأنك كابتن وأنا سألتك أين.

الكابتن: أنا كابتن في البر.

أراجوز: هااا، وهذا واحد منا.. كابتن في البر، نمر في الغابات، سبع في البحر...

الكابتن: ولك آكل فخذك يا وسخ...

أراجوز: أنا لا آكل فخذة بالبقدونس...

الكابتن: أتوجه هذا الكلام لي؟ أتوجهه لي؟

أراجوز: لا ليس لك، لأبيك!

الكابتن: أنا يلقبونني بالكابتن أحمد الحيط.

أراجوز: وأنا يلقبونني بدلاوب الهواء أراجوز.

الكابتن: أنظر، ولك مازال يتكلم...

أراجوز: أرجوك، لقد سكتّ، لا تحتد يا أخي...

الكابتن: أين قسوتك، أما كانوا يقولون عنك قاس...

أراجوز: أنا قاس جداً يا سيدي، ولكن ليس مع الحيط، أنا قاس إذا كان الذي أمامي رجلاً...

الكابتن: إذا كنت مدرباً هات وأعطني خطة التكتيك...

أراجوز: ها؟ ماذا أعطيك؟

الكابتن: تكتيك، تكتيك، تكتيك، تكتيك، تكتيك....

أراجوز: تيك تاك، تيك تاك، تيك تاك، تيك تاك.. هذا الرجل مهووس.

الكابتن: كيف سيكون تشكيل الفريق؟

أراجوز: كيف سيكون شكري الفريق؟

الكابتن: هل سيكون دبليو إم؟

أراجوز: ها؟

الكابتن: أم أربعة ـ ثلاثة ـ أربعة؟

أراجوز: الرجل يتكلم كلاماً مشفَّراً.

الكابتن: هل أربعة ـ ثلاثة ـ أربعة؟

أراجوز: لا ، رقم هاتفي سبعة وأربعون ـ ثلاثة وخمسون ـ ثمانية عشر...

الكابتن: يا أخي كيف سنلعب؟

أراجوز: ترقصون طرباً رقصة البحرية...

الكابتن: أنت الآن ماذا ستعلمنا يا شبه الأب؟...

أراجوز: افتح عينيك وأذنيك ، وأغلق فمك واستمع جيداً أيها المسطرة.

الكابتن: تفضل.

أراجوز: لديكم مباراة مع فريق قوي جداً. وستخسرون مئة في المئة. فماذا تفعل عندها؟

الكابتن: نعطي اللاعبين هرمونات منشطة.

أراجوز: ممنوع، لا يمكن...

الكابتن: نرشي الحكم.

أراجوز: حظكم سيئ ، فالرجل لا يرتشي... الفريق المقابل دفع له أكثر.

الكابتن: نضرب لاعبي الفريق المقابل.

أراجوز: هم أقوى منكم.

الكابتن: طيب ماذا نفعل؟

أراجوز: اسمع...

الكابتن: إني آذان صاغية.

أراجوز: رأيت أحد لاعبي الفريق المقابل يتقدم مهاجماً وكأنه أفلت من سلاسله، الرجل قادم كريح عاصفة حماكم الله ولا يمكن الاقتراب منه، ماذا تفعل؟

الكابتن: ماذا أفعل؟

أراجوز: العمى ولك أي كابتن أنت.. اسمع: تستنجد بالله وتضرب الرجل بين فخذيه ضربة شديدة. ثم تصرخ كالبقر وترتمي على الأرض وتتلوى من الألم وكأنك أنت الذي أكل الضربة. فيحتسب الحكم عليه ضربة جزاء...

الكابتن: ولك أنت ملك المدربين يا...

أراجوز: اسمع... الجماعة حاوروك وحاوروك، وانتفخت من كثرة الركض، وانقطع نفسك، ماذا ستفعل؟

الكابتن: ماذا علي أن أفعل؟

أراجوز: من القواعد الأساسية في كرة القدم: تحتكُ بلاعب قادم من الطرف الآخر، وترمي بنفسك على المرج وكأنك أكلت رفسة، وتتمدد على ظهرك وترتاح... وبعد أن ترتاح جيداً، تنهض.

الكابتن: أرجوك دعني أقبل يدك... أنت جِنّيٌّ هذه اللعبة...

أراجوز: وماذا كنت تظنني؟...

الكابتن: اشرح، وماذا بعد؟

أراجوز: لا، لا يمكن شرح كل شيء في يوم واحد... نحن نكسب رزقنا بهذه الوسيلة... هيا بالتوفيق...

(يخرج الكابتن من ناحية، وأراجوز من الناحية الأخرى. وتظهر على المسرح لوحة كبيرة كتب عليها "فريق أراجوز ـ فريق جيكر الرياضي" وتظهر اللوحة رقمي "0 ـ 0".

المباراة بدأت، وتُسمع من الداخل أصوات وضوضاء مباريات كرة القدم. كما يُسمع صوت أراجوز بين الفينة والفينة).

أراجوز: يا بقر.. أعطوا الحكم نظارة... يوووو.. يا سطل! كُلْ هذا الهدف، كُلْهُ!...

(اللوحة صارت تشير إلى الرقمين "0 ـ 1" فريق أراجوز أكل هدفاً).

أراجوز: ولك يا حكم... يووو.. يا سطل... يا بقر!... كُلْ هذا كُلْهُ.. كُلْ هذا ، كُلْهُ..

(فريق أراجوز يأكل هدفاً آخر، واللوحة تشير إلى 0 ـ 2" أراجوزا يصرخ، وكلما صرخ "كُلْ هذا ، كُلْهُ" يأكل فريقه هدفاً. اللوحة تشير إلى 0 ـ 7).

أراجوز: نظّارة للحكم! يووو... ولك يا عربة البقر... لا تأكل هذا ، ولك لا تأكل هذا يا... ولك يكفي لا تأكل هذا... لا تأكله...

(اللوحة تشير إلى 0 ــ 8 ــ تُسمع صافرة الحكم. خسر فريق أراجوز بـ 8 ـ 0 صخب وضجيج قوي...)

(أراجوز والإداري على المسرح).

الإداري: تفو على مدرب مثلك، يا للأسف... (يبصق في وجهه) لا تستحق ولا عشر ليرات...

(يذهب الإداري ويأتي الريّس تمل)

الريّس تمل: ولك يا أجرب، لقد بطحت الفريق، تفو على وجهك

(يبصق الريّس تمل ويخرج. ويأتي الكابتن ويبدأ بضرب أراجوز).

أراجوز: ما بك تضرب يا...

الكابتن: ولك المدرب الذي على شاكلتك... (يضرب)

أراجوز: ماذا أفعل يا عالم؟ خضر اسمه أبي، وهذا ما قدرت عليه يدي....

(أراجوز الذي يأكل الضربات يقع على الأرض. فيبصق عليه الكابتن ويذهب. تأتي المرأة العجوز وآيسل معنويات هما أيضاً تبصقان عليه وتغادران).

أراجوز: لم نحصل على المال، وأكلنا علقة.. وصار وجهي مبصقة... لو استطعت الانتظار هنا

أسبوعاً دون أن أموت، ربما جاءت سيارة إسعاف وأسعفتني إلى أقرب مشفى مجانيٍ. وهناك أبيع كليتي، وقلبي، وطحالي، علَّه يبقى للأولاد عشرة قروش على الأقل...

ولك يا عيواظ هذا الذي حط على رأسي كله بسببك..

الخاتمة

عيواظ: عليك العافية يا أراجوزي...

أراجوز: (يضربه): إن شاء الله يصيبك ما أصابني...

عيواظ: كسر الله يديك ورجليك...

أراجوز: ولك لقد كُسرت.. أصنعُ يداً جديدة وأضربك. (يضربه)

عيواظ: هدمت المسرح وخربته، سأذهب وأخبر صاحبه فوراً! (يغادر).

أراجوز: نرجو العفو عن كل زلة لسان صدرت عنا! وأنت ولك يا عيواظ إن أمسكت بك فقد احترقت، احترقت!

أمسِك يدي يا روفني!

مسرحيَّة

"ثلاثة فصول"

الشخصيات

روفني: رياضي لاعب سيرك قوي البنية في الخامسة والأربعين من العمر.

مَلا: امرأة جميلة لكنَّها متعبَة، في الخامسة والثلاثين من العمر. زوجة روفني وشريكته في الثنائي الذي يشكلانه معاً.

مستيني: أداة من أدوات السيرك مصنوعة من أنابيب معدنيَّة برَّاقة، يمكن أن تأخذ شكل دَرَج وطاولة ومقعد وما شابه ذلك، روفني أطلق اسم "مستيني" على هذه الأداة التّي يحبُّها كثيراً. مَلا تكره مستيني.

لانفا: درَّاجة سيرك ذات عجلتين، إحداها كبيرة جدَّاً، والأخرى صغيرة جدَّاً. مَلا أطلقت اسم "لانفا" على هذه الدراجة، روفني يكره لانفا.

ملاحظة: مستيني ولانفا، هذان الجهازان من أجهزة السيرك، سوف تدبُّ فيهما الروح، ويكتسبان شخصيتي كائنين نتيجة تصرفات الزَّوجين لاعبيَ السيرك، وما يبديانه من اهتمام بهما.

الفصل الأوَّل

مدخل

عندما تُطفأ الأنوار، تُسمع صرخات رعب يطلقها متفرِّجو سيرك. وقع حادث مفجع، والمتفرِّجون في السِّيرك يتصايحون بفزع. صيحات الفزع هذه ستخفت وتعلو لكنَّها ستستمرُّ بلا انقطاع. ويُفضَّل أن تنتظم هذه الصيِّحات على شكل إيقاع من صرخات الفزع والرُّعب. وفيما يستمرُّ هذا الإيقاع تُفتح السِّتارة.

على شاشة عرض سينمائيَّة في مؤخِّرة المنصَّة، يُشاهَد فيلم عن استعراضات سيرك يقدِّمها روفني ومَلا (يمكن مشاهدة الفيلم على شكل ظلال وأخيلة تسقط على الشَّاشة مظهرة ألعاباً بهلوانية) عندما يبدأ اللاَّعبان بعروضهما على الشَّاشة

البيـضاء، يخفـت إيقـاع الـصَّيحات ويـنقلب إلى موسيقى مصاحبة لحركات الألعاب البهلوانيَّة تظهر في الفيلم مَلا وهي تتأرجح معلَّقة من شعرها الطويل إلى عُلاَّقـة في الـسَّقف. روفـني يـتأرجح بمنـصَّة التأرجح، ثم يلقي بنفسه في الهواء ويتمسَّك بقدمي مَلا، وبعد أن يقدِّم بضعة عروض يقفز ويعود إلى منصَّته. مَلا تحـرِّر شـعرها مـن العُلاَّقـة، وتقفـز في الهواء وتُلقي بنفسها على ساعِدَي روفني، لكنها لا تستطيع الإمساك بهما، وفيما هي تهوي في الفراغ تعلو صيحات المتفرِّجين الفَزِعَة وتطغى على صوت الموسيقى فلا تُسمع. في هذه اللحظة يجب أن يعلو إيقاع صيحات الرُّعب، بحيث يضع المتفرِّجين في الصَّالة تحت تأثيره ووطأته. صيحات الرعب التي تصل إلى ذروتها، تنقطع بغتة عند نقطة الذروة. سكون تضيء خشبة المسرح قليلاً جداً. يخيم على القاعة ظلام دامس.

* * *

غرفة واسعة في أحد الفنادق الحديثة. سريران جنباً إلى جنب، والأشياء المعروفة المتوفِّرة في غرف

الفنادق الكبرى في المدن الكبيرة. في المقابل على اليمين باب الغرفة وفي المؤخرة اليمنى، في الجدار باب الحمَّام. وفي الأمام حاجز لخلع الملابس. أمام باب الغرفة حقائب سفر وعلب أجهزة سيرك جلبت مسبقاً. الفصل شتاء. الجو بارد. ساعات المساء الأولى. يدخل روفني في المقدِّمة وخلفه تدخل مَلا، بأيديهما حقائب. روفني يشعل مصباح الكهرباء، المنصَّة تضيء. مَلا ترمي الحقيبة من يدها فور دخولها وتتهالك متعبة على القلطق.

روفني: (مجيلاً نظره في الغرفة) ليس فندقاً سيِّئاً.. (مَلا لا تجيب: تجيب. تفتح حقيبة السَّفر التَّي بجانبها وتخرج منها زجاجة مشروب) أليس الفندق جيِّداً؟ (مَلا تسكت. روفني في حالة من يتكلَّم للكلام ولكي يكون هناك حديث بينهما). والجو بارد جدّاً.. (صمت) هل أنت متعبة جدّاً؟ (صمت) أم أن الفندق لم يعجبك؟ (توقُّف) إن شئتِ فلنذهب إلى فندق آخر. تكلَّمي!... قولي شيئاً أنتِ أيضاً، هل بلعتِ لسانك؟

مَلا: هل تعطيني كأساً من هنا؟

روفني: (محتداً) اخلعي معطفك على الأقل، ثم اشربي! (صمت) انظري، إنك مبلّلة جداً... (يخلع معطفه ويضعه على حاجز خلع الملابس) اخلعي ثيابك المبلّلة أولاً! سوف تبردين....

مَلا: كأس...

روفني: مشروب فور وصولك... وفي الطائرة شربت على الدّوام...

مَلا: كأس لطفاً.

روفني: (يعطيها كأساً تناولها من فوق الطاولة) ماذا يحدث لو لم تشربي قبل العرض... (مَلا تملأ الكأس) اللاّعب الجيِّد لا يشرب مطلقاً قبل العرض... (مَلا تشرب) لم تنفجري، تشربين بعد العرض. بعد أن ينتهي عملنا اشربي حتى تفطسي! أما الآن فلا تشربي!...

مَلا: لماذا؟ لماذا تقول لا تشربي؟ (ساخرة) أم أنّك تفكّر في صحّتي؟ قل... لماذا لا يخرج صوتك؟

روفني: (فيما هو يعلّق على الجدار مُلصقاً أخرجه من حقيبة السَّفر) على المرء أن يحترم عمله...

مَلا: هه... الأمر هكذا على مدى سنوات: عمل، عمل، عمل... على المرء أن يحترم عمله!... صحيح، لكن عمله هو... هذا ليس عملي، هذا عملك...

روفني: لا يجوز الظهور أمام الجمهور في حالة الشرب...

مَلا: لا تهتم بلا سبب، لن أُفَشِّل عملك، هل أخطأت ولو مرَّة واحدة حتَّى هذا اليوم؟ أستطيع القفز من منصَّة إلى منصَّة حتى وأنا نائمة. إنَّه اعتياد السِّنين. إني أفعل ذلك غريزياً كالحيوان...

روفني: صحـ يـ يـ يـ ح، كالحيوان...

(في أحد الملصقات التي علَّقها روفني على الجدار، صورة للثُّنائي روفني ومَلا وهما يقومان بعرض بهلواني على المنصَّة الطائرة. في الصورة مَلا بالمايوه، وروفني بلباس

المهرِّج. تُقرأ هذه العبارة على هذا الملصق: "الأكروبات الرائع ـ الثُّنائي مَلا وروفني" وفي ملصق آخر صورة لملا وروفني وهما يقومان بعرض مع مستيني ولانفا ، وعلى الملصق هذه العبارة: "الرَّجل الجراد روفني ، والمرأة المطَّاطيَّة مَلا ـ الأكروبات السَّاخر من الموت")

مَلا: كلَّما قلت لكِ لا تشربي تعاندين وتشربين....

مَلا: (متهكِّمة) انظر ، لو قلت لي لا تشربي ، حرصاً على صحَّتي ، لما شربت.

روفني: لاشكَّ أني حريص على صحتك.

مَلا: لكنَّك ، لست حريصاً على صحَّتي من أجلي ، أو من أجل صحَّتي...

روفني: ولماذا إذن؟

مَلا: أيضاً من أجلك ، من أجل عملك...

روفني: ليس عملي ، بل عملنا...

مَلا: أنت تخشى أن أسكر ، أو أن أمرض ، فلا

أستطيع العمل فيفسد عملك... وهل يمكن أن يفشل أبداً ملك الأكروبات روفني؟

روفني: لا أرى في هذا ما يدعو إلى التهكّم...

مَلا: أنت تخشى من أن أقع في المستشفى إذا شربت كثيراً لهذا الحد، عندها تبقى بلا شريك. لقد حاولتَ كثيراً أن تهيِّئ أخرى لتحلَّ محلّي، لكنَّك لم تفلح بشكل من الأشكال.. أليس كذلك، كلُّه من أجل عملك...

روفني: عملنا، عملنا.. عمل كلينا...

مَلا: كلاّ، إنَّه ليس عملي.

روفني: إنَّه عملنا المشترك... لكي نتمكن من العيش قبل كل شيء.. (يفتح العلبة التي يوجد مستيني بداخلها، يُخرج مستيني، ويبدأ بتركيبه بعناية)

مَلا: هه... مشترك.. ما هو المشترك الذّي لدينا؟ ها هل تخبرني، ما هو؟ هل هذه الأنابيب الحديديَّة، هل هذه العصيُّ المعدنيَّة؟ أم هذه الأدوات، والخيوط، والحلقات،

والإطارات؟ (تشرب) هل فشل عملك أبداً حتى الآن بسبب شربي، أنت كلمني عن هذا...

روفني: هذا هو الفارق بيننا يا مَلا؛ طيلة هذه السنوات، وكلما خرجت أمام الجمهور لأقدِّم عَرضي، يتملكني التوتر نفسه، والخوف نفسه تماماً الذي تملّكني في أوّل ظهور لي، ماذا لو أخفقت، ماذا لو لم أنجح...

مَلا: ولا تبدو هكذا أبداً...

روفني: لأنّه ليس هناك من يرى عينَيَّ... في عرض اللّيلة، عندما تتركين الحلقات وتقفزين إلى ذراعيَّ، انظري في عينيَّ إن استطعتِ... منذ ثلاثين سنة وأنا أعاني هذا الخوف. وأيُّ خوف هو، هل تدرين؟

مَلا: أعرف، أعرف... سمعت هذه الكلمات منك كثيراً... الخوف الخفي للّاعب الذي لا يخاف.. أنت مدين بنجاحاتك الباهرة لخوفك هذا.. لقد أسهبت كثيراً في شرح هذه الأمور...

روفني: ليست نجاحاتي فقط. بل إن احترامي لعملي مدين لخوفي في هذا أيضاً. أما أنت فلا تخافين قط، قط.

مَلا: أنا واثقة من نفسي إذن.

روفني: لا أبداً... أنت لا تحترمين نفسَك كي تحترمي عملك.

مَلا: لا أحبه، لا أحب هذا العمل.. أنت لديك حتى في أعماق مخاوفك حب لعملك الذي تؤديه، أما أنا فإني لا أخاف من الإخفاق. لكني أخاف من شيء آخر.

روفني: ممَّ؟

مَلا: (تشرب) منذ سنين طويلة وأنا أعاني خوفاً آخر.

روفني: لم تصرِّحي بهذا أبداً، ممَّ تخافين؟

مَلا: عندما أقفز في الهواء وأرمي بنفسي نحوك، يخيَّل إليَّ أنك ستسحب يديك إلى الخلف يوماً ما وتتركني... سنوات وأنا أعاني هذا الخوف... إني أحسُّه وأشعر به في كل

عرض لنا. (تشرب)

روفني: (كمن ضبط بالجرم المشهود. بعد توقُّف) أنتِ في الحقيقة لا تخافين مني، من أن أسحب يديَّ، أنت تخافين من نفسكِ...

مَلا: من نفسي؟ لماذا؟

روفني: لأنك، يوماً ما، لن تمدِّي يديك إليَّ، لن تمدِّيهما! وإذا لم تعطني يديك فكيف أستطيع الإمساك بك في الفراغ؟ (يُجلس مستيني مثل إنسان على القلطق، مداعباً إياها بمحبة) كان عقلي مشغولاً بما قد تصاب به من سوء في الطرقات، فيا لهم من رجال خشنين.

مَلا: (بغيرة) مَسْتينيك ثانية؟ دائماً مستيني.. لقد مللت (روفني يمسح الغبار بمنديل ويلمِّع مستيني) صار الذي صار، زيِّن حبيبتك مستيني أيضاً... (تشرب) لا شيء مشترك بيننا، لكن أنا لي شريكة فيك، مستيني... حبيبتك مستيني...

روفني: أنت بعيدة جداً عني، ولولا وجود مستيني لانفجرت. (يُخرج لانفا من علبته) ماذا أستطيع أن أفعل غير ذلك؟

مَلا: ماذا ستفعل؟ خذ مستيني في حضنك ونم معها! (روفني يسند لانفا الذي أخرجه من العلبة، بجانب الباب بلا مبالاة) ما هذا؟ ألقيت لانفا جانباً... هل مستيني حقيقية ولانفا تقليد؟ (تنهض بانفعال وتأخذ لانفا) أين احترامك لعملك؟ أم أن لانفا ليس من لوازم العمل؟ (تُجلس لانفا مثل إنسان على السَّرير، وتسند ظهره إلى الحائط. تخلع معطفها وتلبسه للانفا، وتضع قبعتها على ذراع مقود لانفا)

روفني: ها قد شابَهَ الآن تماماً. لفّيه جيداً كي لا يبرد.

مَلا: أعرف كراهيتك للانفا، وسبب كراهيتك هذه حبي له.

روفني: وأنت تكرهين مستيني..

مَلا: أجـل، أجـل... إنـي أكـرهها، ألـديك مـا تقوله؟

روفني: لماذا تغضبين إذن؟ وأنا أكره لانفالكِ.

(صمت)

مَلا: أكـاد أختنق.. (تفـتح قـبَّة قميـصها) آه لـو يأتي أحدٌ ما، لو يأتي شخص ما بسرعة...

روفني: من؟ من تريدينه أن يأتي؟

مَلا: كائناً من كان، ليأت أيُّ أحد...

روفني: ماذا سيحدث؟

مَلا: ينقذنا فترة ما...

روفني: ضيف ما؟

مَلا: شخص أعرفه، أو لا أعرفه... حتى لو كان شخصاً لا أحبه بتاتاً.. فقط ليت هذا الباب يُفتح ويدخل أحدهم..

روفني: فنفعل ما نفعله دائماً، أليس كذلك؟ أي نقوم بدور السُّعداء أمام الأغراب. ولن يعرف الآخرون أننا نكره بعضاً.

مَلا: لن يدرك أحد أننا أعداء...

روفني: وسيقولون عنا ما أسعدهما من زوجين... هيا لنلعب إن شئتِ. (يلعبان دور المحبَّين كما لو كان هناك ضيف معهما) هل ترغبين بمزيد من الشّراب يا حياتي؟

مَلا: (ترقص) تسلَم يا زوجي العزيز... لكنني سأثقل عليك... سوف تبرد هناك يا سكّرتي. هل أغلق النافذة؟

روفني: لستُ بردانًا يا روحي...

مَلا: إن شئت فلأحضر لك سترتك يا حبيبي....

روفني: يبدو أنك متعبة يا حلوتي، أنظري، لقد نسيتِ تناول الدواء.

مَلا: آ آ آ انظر لقد ملأت سلطتك ملحاً يا روحي. الطعام المالح يؤذيك.. ولقد منعك الطبيب عن الملح.

روفني: أنتِ ملاك، ملاكي الحامي (يتغير فجأة) تكفي هذه المهزلة!

مَلا: (في حالتها الطبيعية) آه لو يأتي أحدهم

الآن... لو نتخلص من هذا الاختناق فترة ما.
(ما إن تنتهي من كلامها، ينقلب لانفا من فوق السرير ويقع على الأرض بضجيج. يرتبك كلاهما، كما لو أن شخصاً ما قد حضر. ثم تسرع مَلا وتعيد لانفا إلى مكانه السَّابق). هل آلمه مكان ما يا تُرى؟

روفني: (ساخراً) استدعي طبيباً...

(صمت)

مَلا: أف ف ف...

روفني: لا تأملي بلا طائل. فنحن في بلد غريب، ولم تمضِ ساعتان على وصولنا.

مَلا: (بانفعال) ربما شخص من الفندق، ربما يأتي خادم ما فيقرع الباب ويسأل: هل تريدون شيئاً؟ ربما يتصلون بنا من النادي الذي سنقدِّم فيه عرضنا هذه الليلة.

روفني: أخبرت الاستعلامات بأننا سنرتاح ولا نريد أن يزعجنا أحد...

مَلا: طيِّب، لماذا قلت هذا؟ (صمت) ألا يمكن أن يخطئ أحد النزلاء ويفتح باب غرفتنا

على أنها غرفته؟ ألا يُقرع الباب حتَّى.. ربما أحد السُّكارى.. أَوَلا يرن جرس الهاتف أيضاً؟ ألا ينقذنا أحد؟

روفني: إن لم نعمل نحن على إنقاذ أنفسنا، فلن يتمكن أحد من إنقاذنا، هل استطاع ضيوفنا إنقاذنا طوال هذه السنين؟ المصيبة الكبرى كانت تبدأ بعد أن نودع الضيوف ونغلق باب البيت خلفهم. عندها كانت تحلُّ جهنم مخيفة أكثر من السّابق... لذلك لا أريد مجيء أحد..

مَلا: بالنسبة لي هناك جهنم أخرى مخيفة، وهي اضطراري إلى أن أنظر في وجهك وأبتسم أثناء تقديم العروض في سيرك أو في ملهى أو في ناد... وأن أوزِّع الضحكات وأنا أنظر في وجهك وفي وجه الزبائن المحترمين.. وأن أبتسم لك وللزبائن الموقرين وللمتفرجين المحترمين وأنا أتلوى معلقة من شعري إلى السقف المرتفع تسعة أمتار... الابتسام، الابتسام دوماً مع أنني أريد أن أبصق...

روفني: ولا تستطيعين إخفاء هذه الرَّغبة تماماً.. فإني ألحظ أحياناً هذه الرغبة تشعُّ في عينيك فجأة حتى أمام المتفرجين.

مَلا: عيناكَ أيضاً تشعَّان بهذه الرغبة أحياناً.

روفني: صحيح... أنا أيضاً أعاني هذه المعاناة نفسها. أنا أيضاً مضطر إلى الابتسام في وجهك، وبقرف، أثناء تقديمنا العروض...

مَلا: أأنت تبتسم؟ بوجه المهرِّج؟ الملوَّن بطبقات وطبقات من الأصباغ والألوان؟ إنه أمر سهل بالنسبة لك. فأنت نفسك لا تضحك، بل الأصباغ والخطوط الملونة في وجهك هي التي تقهقه (مشيرة بيدها) قهقهة مقرفة حمراء قانية بلون الدم المتخثِّر تصل حتى أذنيك. أما أنا فإني ألحظ نار الكراهية التي تشعُّ في عينيك والتي لم تستطع إخفاءها تحت قناعك الملوَّن بألوان وألوان.

روفني: هذا ليس شيئاً خاصاً بنا يا ملا... فلا تتأثري بلا سبب. لا يبدو ذلك واضحاً جداً على المتفرِّجين لأنهم بعيدون عنَّا. لكني

أثناء العروض في الأندية وفي الملاهي، أنظر إلى المتفرجين/أنظر إلى العشيقات المتخفيات، وإلى بنات الملهى، وإلى عمال الخدمة، أنظر إلى الزبائن... رجال وحيدون، أو أزواج وحيدون، كله وحيد.. أغلب الرِّجال الوحيدين هاربون من زوجاتهم... أنظر إلى أولئك، فأرى أنَّهم هم أيضاً يضحكون في وجوه بعض بكراهية...

مَلا: كما نفعل نحن أثناء العروض....

روفني: مثلُنا.

مَلا: لكن أولئك سوف يتركون بعضاً ويذهبون على الأقل. سوف ينقطعون ويفترقون عن بعض بعد فترة من الزَّمن. لكنْ ماذا عنَّا نحن؟

روفني: هكذا... ولن نستطيع الافتراق... (وهو يداعب مستيني ويغير شكلها) لو نكون أكثر رقيَّاً أمام مستيني ولانفا على الأقل.

مَلا: لكنهما ليسا منفصلَين عنا، إنهما قطعتان منّا... مثل يدنا ورجلنا..

روفني: صحيح، فبدونهما لا نستطيع أن نكون...

مَلا: ربما هما أيضاً يتشاجران بلا انقطاع.

روفني: حتماً... كما أنك عدوة لي، كذلك فإن لانفاك عدو لمستينيٍّ..

(يستمر في تغيير شكل مستيني).

مَلا: دعك من هذا.. يكفي! لم أعد أحتمل. أشعر كأنك ستربط جسمي إلى هذه الآلة وستمطّني... أعرف أنك تغيظني بها. (روفني يجلس على السرير الذي فيه لانفا، وينشغل بمستيني التي معه، ويعطيها أشكالاً مختلفة) لماذا تقلق راحة لانفا؟ اذهب إلى السرير الآخر... (صمت. تصرخ) أقول لك دع آلة الإغاظة هذه! كفاك لعباً بها... (فيما روفني منشغل بمستيني بلا مبالاة، تتوجه ملا بانفعال إلى الهاتف).

روفني: (حين ترفع ملا سمّاعة الهاتف) ماذا تفعلين؟

مَلا: لا شيء...

روفني: بمن ستتصلين؟

مَلا: أرغب في شرب القهوة، سأطلب قهوة لنفسي...

روفني: (آخذاً السمَّاعة من يدها) دعي هذه... (يدفع مَلا. مَلا تجلس بجانب لانفا. صمت) أصحيح أنك ترغبين في شرب القهوة؟

مَلا: كلا.. أردت سماع صوت غريب. إني متضايقة.. (تشرب).

روفني: بعد العرض سوف نلهو حتى الصباح، عندما ينتهي عملنا...

مَلا: عمل، عمل، دوماً عمل... ألا تستطيع أن تفكر بشيء آخر؟

روفني: بماذا أفكر؟

مَلا: لا تفكر بي، فكر في نفسك...

روفني: لكني لا شيء، خارج عملي، بعيداً عن عملي.. الناس يتعاملون معي بسبب عملي، ويقدِّرونني لعملي، حتى أنت كذلك...

مَلا: أنا لست كذلك مطلقاً.

روفني: أنت كذلك، لكنك لا تعرفين ذلك قط... لاعب السيِّرك الشهير، الرجل الجراد روفني. الأكروبات الرائع... ماذا يبقى مني إذا جُرِّدت من هذا كله؟ لا شيء حتى أنا لا أبقى. عندها أصبح روفني واحداً من عشرات آلاف روفني الموجودين على ظهر الأرض...

مَلا: جيِّد، وهذا ما أريده. أريد لزوجي أن يكون روفني واحداً من الرُّوفنيَّات. لكنه لي... أنا أحببتك لذاتك فقط.

روفني: (مستصغراً) روفني فقط.. رجل ما لا على التَّعيين...

مَلا: أما أنت فلم تحببني لكوني مَلا، ملا فقط. أنت لم تحببني مطلقاً. أنا كنت بالنسبة لك مجرد مَلا التي توقَّعت أن تفيدك في عملك.

روفني: ما تقولينه ليس خطأ كلُّه، لكنك مع ذلك تخطئين. كنت قد أحببتك، على أمل

أن تساعديني، وأن أقدم لك المساعدة...
كنت آمل أن ننجز سوية أعمالاً كبيرة.
كنت أظن بأننا سوياً سوف نتكامل.

مَلا: ماذا كان بإمكاني أن أقدِّم لك أكثر؟ (صمت) هو ذا!... (مشيرة إلى الملصق بتهكٍّم) أكبر ثنائي أكروباتي في العالم... الأكروبات الطائر: مَلا وروفني.. (ضاحكة بسخرية) أكبر ثنائي عدو في العالم...

روفني: لا أستطيع إفهامك بشكل من الأشكال، لأنك لا تريدين أن تفهمي، (يقف على قدميه عند مستيني، تظلم الخشبة يبقى روفني وحيداً في حزمة الضوء) نحن نستطيع العيش فقط بكوننا لاعبين، بألعاب السيرك، ولذلك علينا أن نجدِّد أنفسنا باستمرار. يجب علينا أن نتجاوز أنفسنا، وهذا من أجل ثمن رغيف الخبز أيضاً...
مَلا، ماذا يحدث، حاولي أن تفهمي.

مَلا: (صوتها يأتي من الظلام) لكنك لا تشبع من الشهرة بتاتاً .. هاقد وصلت في عملك إلى أعلى مستوى...

روفني: لا أستطيع التَّوقُّف في مستوى معين واضح... التوقُّف أسوأ حتى من الموت. فالموت خلاص للرياضي الذي لا يستطيع تجاوز نفسه وتجاوز مستواه الأخير الذي وصل إليه. أما التوقُّف فليس خلاصاً. أنت تعرفين يا ملا أنني وصلت إلى مستوى معين بجهد السنين الغدارة والمخيفة. إنه مستواي؛ ويجب رفع هذا المستوى بدون توقف، بدون توقف مطلقاً، وإلا أسقطني المتفرجون بصياحهم وصفيرهم... إن تشبُّثي وجهدي الذي أبذله كله لكيلا أسقط. أتعرفين ما معنى أن يضطر الإنسان لأن يجدِّد نفسه بلا توقف، ولأن يتجاوز نفسه، ولأن يتجاوز الأرقام القياسية التي حطمها (يشرح وهو يمثل ما يقوله على نفسه. يقبض بإحدى يديه على قبضة من شعره الطويل ويشدُّه على الأعلى. ويجاهد كمن يريد أن يرفع نفسه عن الأرض إلى الأعلى، لكنَّ جسمه يترنَّح في الأسفل) إنه أمر صعب للغاية، كمن يمسك شعره بيده ويشده إلى الأعلى محاولاً

أن يرفع نفسه عن الأرض متحدياً الجاذبية الأرضية، إنه مستحيل... هذه هي لعبة السيرك الحقيقية التي أردت أن ألعبها دون أن أخدع المتفرجين، أو أخدع نفسي. أما أنت... فكلما حاولت رفع نفسي ورفعك معي متحدياً الجاذبية الأرضية، تتعلقين برِجلي وتتشبثين بثيابي وتسحبينني إلى الأسفل، إلى الأرض، إلى القاع. النَّسيم العليل الذي تمنَّيته وانتظرته انقلب إلى عاصفة تذروني من مكان إلى مكان. من انتظرت منها المساعدة تلتفُّ برقبتي وتجرُّني إلى القاع.

مَلا: (يُسمع صوتها من الظلام) كنتُ قد ذهبتُ... وكنتَ قد تخلَّصت منِّي... لماذا لم تستطع أن تحلِّق بجناحيك أثناء غيابي؟ بذينك الجناحين القويَّين؟ لماذا لم تستطع أن تتجاوز نفسك؟ لماذا لم تستطع كسر الإطار والتخلص؟

روفني: لأني كنت أعرف بأنك ستعودين بشكل ما. لأنك لم تنقطعي عني تماماً. كنت

مازلت في داخلي لم تغادريه. (يصيح فجأة) حسناً، لماذا عدت إذن؟ أنا لم أستدعكِ لم أطلبك...

مَلا: (تدخل داخل حزمة الضوء. الضوء يتّسع قليلاً. كلاهما جنباً إلى جنب): لأنك كنت أكثر فشلاً في غيابي.

روفني: (مستصغراً، ساخراً) هكذا... إذن فكّرت في نجاحي، من أجل نجاحي...

مَلا: كلا، كلا.. وهل يهمنّي نجاحك أو فشلك!

روفني: أعرف أنكِ كذلك، أنت لا تقولين شيئاً جديداً، ولكن لماذا عدت إذن؟

مَلا: لم أحتمل أن أؤذيك.

روفني: أذى؟ هل أُصاب بالأذى في غيابك؟ أم بالعكس، وجودك هو الذي يسبب لي الأذى؟ هاااا، أنت لم تحتملي أن لا تسبّبي لي الأذى، فعدت....

مَلا: (بعصبية) أجل، هو كذلك.. لم أحتمل أن تتحمل مأساتك ببطولة وبأصالة لائقة بك، لذلك عدت.

روفني: كان يجب أن لا تعودي...

مَلا: ماذا كان بإمكاني أن أفعل غير ذلك؟ كنت تنتظرني في قرارة نفسك... عندما لم أكن موجودة، أصبحتَ أنت أيضاً لا شيء. بحثتَ كثيراً عمَّن تحل محلي، وتفاءَلت كثيراً وأنت تظن أنك عثرت عليها.

روفني: صحيح..

ملا: وسعيت لإيصالهن.. ولكنك رأيت أنك لم تفلح... فماذا لو كنَّ قدَّمن لك ما لم أستطع أن أقدِّمه...

روفني: وأنتِ حاولت الشيء نفسه... لماذا لم تتمكني من العمل في سيرك أو في ناد للألعاب البهلوانية؟

مَلا: لماذا تصفعني بهذا في وجهي؟ ألم تتسكع بلا عمل أثناء غيابي؟ مثلي تماماً...

روفني: أهذا هو ما يربطنا إلى بعض؟ ألهذا لا نستطيع أن ننقطع عن بعض...

مَلا: ما فائدة استعادة الذكريات المرَّة، والأيام الخوالي؟

روفني: نستخلص هذه النتيجة: كلانا لا نستطيع الافتراق والانقطاع عن بعضنا....

مَلا: وهذه هي المشكلة... نحن مضطران لأن نكون سويَّة، أولاً لكي نتمكن من العيش.. (يقتربان من بعضهما كلما ضاقت حزمة الضوء).

روفني: نستطيع أن نبدأ من جديد، فلنحاول مرة أخرى...

مَلا: ما جدوى أن نعود ونبدأ الماضي من جديد؟ طالما أننا سنلفُّ وندور ثم ننحشر في الفخ نفسه...

روفني: طالما أنه لا سبيل لنا للخروج، فإني أرى أن بإمكاننا أن ننسى الماضي ونبدأ من جديد.

مَلا: وهل هذا بيدنا؟ أتظن أن بإمكانك فعل ذلك؟

روفني: بأمل جديد، وبالتزام أكبر.. منذ كم سنة ونحن نقدم الاستعراضات نفسها، ونلف وندور في الإطار نفسه؟ لقد ملّنا المتفرجون، وملّوا ما نقدمه...

مَلا: هه.. المتفرجون.. أولئك لا علم لهم بروفني أو بمَلا..

روفني: هم لا يعرفون أسماءنا، لكنهم يعرفون العروض التي نقدمها.. لقد حفظوا استعراضاتنا عن ظهر قلب، لأنه لم يبقَ لديَّ شيء جديد. وبدأ اللاعبون الآخرون يقلدوننا ويقدمون عروضنا نفسها... قد لا يُعرف اسم اللاعب، ولكن ألعابه تجوب أنحاء العالم إن كانت متقنة، تماماً مثل أغاني التراث الشعبي التي لا يُعرف من كتبها ونظمها...

مَلا: هناك الكثيرون ممن لم يشاهدوا ألعابك، فالدنيا كبيرة...

روفني: من ناحية تبدو هذه الدنيا الكبيرة صغيرة جداً... فأينما ذهبنا سيقول المتفرجون "نحن

رأينا هذا العرض سابقاً في مكان ما". لو قدَّم لاعب شاب عرضاً واحداً فقط من عروضنا لنال الشهرة فوراً. لكن أن يصبح اللاعب معلماً صانع ألعاب فهذا أصعب بكثير... فقد صار المتفرجون يعتبرون ما نقدمه غير كاف...

ملا: في الحقيقة أنت من يراه غير كاف وليس المتفرجون... فأنت جائع جوعاً لا يعرف الشبع... مثل مدمني السموم والمخدرات، كلما نلت تصفيقاً أكثر تنتظر تصفيقاً أكثر وأكثر كلَّ يوم.

روفني: لأنه ضروري لحياتنا. فالسمك يعيش في الماء، والطير في الهواء، ولاعب السيرك يعيش بالتصفيق. إنَّ انقطاع هذا التصفيق مثل بقاء السمك بلا ماء، والطير بلا سماء. لماذا لا تريدين أن تفهمي؟ هذه الأيدي التي تصفق لنا اليوم تنتظر أن نَزِلَّ عن الحبال أو أن نكبو فوق الأسلاك لكي تنقلب إلى قبضات مضمومة؛ وهذه الأفواه التي تهتف لنا، تنتظر فرصة لكي تصفِّر لنا وتهيننا.

فإن كررنا أنفسنا فسوف نعطيهم تلك الفرصة.

مَلا: أنت لا تظنُّني أنا فقط عدوة لك، بل تظن المتفرجين أيضاً أعداء لك، هؤلاء المتفرجون الذين تعتبرهم أنت أعداء أنا لا أهتم بهم أبداً..

روفني: عدوٌ!.. لكنَّ هذه حقيقة. فأنا أقدِّر المتفرِّج، وأخاف من عداوته، لأنني أقدِّر نفسي. (صمت)

مَلا: أجل؟ لماذا سكتَّ؟

روفني: (يتنهَّد) كان ذلك قبل أن أعرفك بزمن طويل. جاء إلى بيتي يوماً شاب، لاعب مبتدئ، كان يرتجف من شدة توتره، ويتلعثم، ولا يستطيع الكلام. وصرَّح لي بأنه شديد الإعجاب بي. مرَّت سنوات عديدة لكني لم أنسَه بشكل من الأشكال..

مَلا: لماذا؟

روفني: لأنه صار فيما بعد لاعب سيرك مشهوراً...

مَلا: من هو؟

روفني: لا أرغب بالبوح باسمه.

مَلا: أتخفي عني؟

روفني: أجل، لأنه صار أكبر عدوٍ لي.

مَلا: طيِّب، لماذا؟

روفني: لأنه كان يعاني ألماً خفيناً لأنه أظهر إعجابه بي في وقت من الأوقات؛ وكان يصغر منسحقاً تحت وطأة إكباره لي في زمن ما. ولهذا وفي اللاوعي كان يعتبرني مذنباً. (صمت).

ملا: (تقترب من روفني، ناظرة في عينيه): أنت تكذب، إني أعرفك جيداً يا روفني... أنت فعلت هذا الذي شرحته مع غيرك، أنت صرت عدواً للآخر (صمت) أليس كذلك؟ لماذا لا تتكلم؟

روفني: (مذنباً) أجل... لبيلوتكي، لمعلمي بيلوتكي... كنت في السادسة عشرة من عمري، وكنت أشعر بحاجتي إلى مساعدة

معلم كبير كي أصل إلى الشهرة في ألعابي. وكان بيلوتكي أكبر لاعب سيرك في تلك الفترة. انتظرت أمام بابه أياماً حتى استطعت مقابلته. كان تقديري له لا يوصف. كنت أرتعش وأنا أحدثه...

مَلا: هل ساعدك؟

روفني: أجل... كأي معلم واثق من نفسه. ومرت السنون وصرت أنا معلماً في ألعاب السيرك، وانقلبت إلى عدو لدود لبيلوتكي.

مَلا: لكن لماذا؟ هل لأنك كنت صغيراً أمامه في وقت ما؟

روفني: لا أعرف السبب بالضبط... ربما كنت أعتقد أن شهرته الواسعة المنتشرة تحول دون شهرتي.

مَلا: لم أفهم...

روفني: أنا أيضاً... تقابلنا يوماً. كان قد تقدّم في السّن، لكنه كان لا يزال لاعباً كبيراً. فقلت له "يا معلم بيلوتكي، إن أكبر مساوئ حظّي أني أعيش معك في زمن

واحد" فقال: "الدنيا واسعة، وفيها أمكنة لنا جميعاً"، وكان يبتسم هادئاً واثقاً من نفسه أثناء حديثه، عندها صرت أشدَّ عداوة له.

مَلا: إني أقرف منك (تخرج من دائرة الضوء، يأتي صوتها من الظلام) بيلوتكي المسكين...

روفني: المسكين ليس بيلوتكي، المسكين الحقيقي هو أنا. كان قد تقدم في السن بحيث لم يعد قادراً على أداء العروض. فصار مساعداً في السيرك. وفي يوم من الأيام عندما سمعت بأنه سقط من الدَّرج أمام المتفرجين ونُقل إلى المستشفى أسرعت لعيادته.

ملا: هل طلبت العفو؟

روفني: لماذا؟ لم أفعل ما يستوجب طلب العفو.. لكني في أعمق أعماقي كنت أتمنى أن يسقط يوماً ما.. تماماً كما يتمنَّون اليوم لي.. وفي المستشفى أصيب بيلوتكي بالشلل

ونُقل إلى دار العَجَزَة، لكنني لم أستطع إزالة عداوته من قرارة نفسي.

مَلا: (يأتي صوتها من الظلام) لماذا؟ ولكن لماذا؟

روفني: لأنني لم أستطع التغلب عليه حتى الآن، لم أستطع أن أتجاوزه.. أراه أمامي أينما ذهبت، ،شهرته تتصدى لي مهما فعلت. حتى عندما أقدم أكبر عروضي يقول المتفرجون: "أين، كان هناك في زمن ما بيلوتكي...". صرت معلم ألعاب أمهر منه، لكنني لم أستطع التغلب عليه حتى بعد موته... كان هناك في زمن ما بيلوتكي، يا له من لاعب..." ولكن عندما كان يعيش زاحفاً على الأرض لم يهتم به أحد... هل تفهمين الآن سبب خوفي؛ ولماذا صرت عدواً له؟ أخيراً مات بيلوتكي... وصرت أنا أشهر لاعب سيرك في زماني. تكلمت فوق قبره.

مَلا: (صوتها يأتي من الظلام) ألم تستح البتة؟

روفني: تكلمت من صميم قلبي، وبكيت... إذ لم

يستطع أحد أن يعرف قدره كما عرفته أنا، ولم يستطع أحد أن يحبَّه كما أحببته أنا. (صمت) واليوم أرى أيامي السابقة في كل متفرج يصفق لنا. إنهم يصفقون لنا إكباراً. وهناك في كل إكبار تصغير خفيٌّ بالنسبة للمكبر، هناك انسحاق وندم وخجل. مشاعر خفيَّة مستقرَّة في اللا وعي... ولكي يتخلص المتفرجون المحترمون من هذا الشعور بالدُّونيَّة ولأنهم لا يستطيعون الصعود إلينا، فإنهم ينتظرون هبوطنا إليهم، أي ينتظرون سقوطنا من تلك الحلقات والحبال. بمعنى أنهم سيُدَفِّعوننا ثمن مشاعرهم الناجمة عن تصفيقهم. أتعرفين أي شعور هذا؟ إنه تماماً كما يحدث حين يعبر طفل صغير طريقاً شغَّالاً، وفي تلك اللحظة تأتي سيارة بأقصى سرعة... السيارة ستصدم الطفل... (يُسمع صوت فرامل يصمُّ الآذان ويهزُّ الأعماق، صوت حادٌّ جداً وطويل. روفني يعيش هذا الذي يشرحه، ويمثِّل كلامه على نفسه)

فرامل حادة... المارّة يتصايحون. ولكي لا نرى ذلك المسكين الجميل وهو يُسحل ويُمزّق تحت العجلات، نغطي وجوهنا بأيدينا. ولكن... (يبتسم) تبقى هناك في أعمق أعماقنا رغبة خفية لا نستطيع الاعتراف بها حتى لأنفسنا، إنها الرغبة في مشاهدة كيفية تمزق وانهراس الطفل بأدق تفاصيلها. لذلك نراقب عملية دهس الطفل من خلال أصابعنا التي نغطي بها وجوهنا. مخفين ذلك حتى عن أنفسنا.

كذلك متفرجونا، سوف يغطون وجوههم بأيديهم مُطلقين الصيحات عندما نسقط أثناء تقديم العرض. ثم بعد قليل سوف يتفرجون علينا من خلال أصابعهم ونحن ننازع الروح متخبّطين في بركة من دمائنا؛ ثم سوف يشرحون ذلك الحادث المروِّع للآخرين بتأثير وحرقة. لذلك ولكي لا يتغلب علينا التصفيق، يجب أن نجدد أنفسنا ونتجاوزها باستمرار. (بصوت حلو لطيف) ماذا يحدث، هاتي يديك يا مَلا..

(تضيء المنصَّة بالكامل، روفني يسير نحو ملا مادًّا يديه لها، لكنه لا يراها، يتلفت باحثاً عنها ملا تخلع كنزتها خلف حاجز خلع الملابس. يظن أن ملا غادرت فينادي) مَلا، مَلا..

مَلا: (تخرج من خلف حاجز خلع الملابس ببرود، وبلا اهتمام) ماذا هناك؟ لماذا تصرخ؟

روفني: (يدرك أن مَلا لم تكن تسمعه، تسقط يداه على جنبيه) لا شيء... لا يوجد شيء...

مَلا: لقد ناديتني...

روفني: كنت أكلم نفسي...

مَلا: لكنك كنت تتحدث عن أشياء...

روفني: أنا؟ هااا.. كنت أقول، أعطني يديك... لكيلا تسقطي...

مَلا: (ببرود): تأخر كل شيء جداً، لكي نبدأ من جديد... (صمت) في أيِّ شهر نحن؟

روفني: شباط...

مَلا: في أي يوم من شباط؟

روفني: الثامن عشر.

مَلا: كم الساعة؟

روفني: (ناظراً في ساعة يده) التاسعة والنصف...

مَلا: الثامن عشر من شباط.. والساعة التاسعة والنصف...

روفني: أي، وماذا في هذا؟

ملا: ألا يذكرك هذا التاريخ بأي شيء؟

روفني: (يفكر) لا أعرف... مثل ماذا؟

مَلا: مثل ماذا؟ الثامن عشر من شباط.. (تتناول كأساً أخرى، تصبُّ مشروباً في الكأسين، وتقدِّم أحدهما لروفني) هيا لنشرب.. اشرب أنت أيضاً!

روفني: (يتناول الكأس) تعرفين أنني لا أشرب قبل العرض.

مَلا: طبعاً أعرف. لكن هذه الليلة ليلة مغايرة يا روفني.

كما ترى لم يبقَ فينا شيء متَّحد، ولم تبق

لدينا ذكرى مشتركة حتى من أحلى أيامنا. لقد أضعنا ذكرياتنا. لقد سممنا أنفسنا واستهلكناها بالتراكمات السيئة... نحن عدوان لبعضنا بشكل لا نستطيع معه البدء من جديد يا روفني. كل شيء متأخر جداً. هيا لنشرب نخب هذه الليلة. لنشرب على شرف الذكريات التي نسيتها!

روفني: لم أفهم...

مَلا: وأنا كذلك.. هذه الليلة هي الذكرى الخامسة عشرة لزواجنا.. (صمت طويل) كان ذلك في مثل هذه الساعة. (صمت) أعرف أنك لم تتذكر. أنت لا تذكر شيئاً... أنت عشت لنفسك فقط. أنت مشبع بنفسك لدرجة، فكيف ستتذكر مثل هذه الأشياء الصغيرة...

روفني: خمس عشرة سنة.. وكيف مرَّت...

مَلا: كيف؟ مرَّت ونحن ننهش بعضاً...

روفني: إذن.. الذكرى الخامسة عشرة...

(يقفان برهة متقابلين والكأسان في يديهما)

مَلا: هيا، لنشرب...

(يقرعان كأسيهما ويشربان)

روفني: (بسعادة مفاجئة) إذا كان الأمر كذلك.. فسوف أقدِّم هذه الليلة... لأجلك... ولأجل الذكرى الخامسة عشرة.. شيئاً جميلاً، شيئاً خارقاً فوق العادة.

مَلا: (مسرورة جداً) حقاً يا روفني؟ لأجلي ها، لأجلي؟ لأجلي أليس كذلك؟ فرحت كثيراً. لقد أفرحتني جداً... (تحتضنه وتقبله).

روفني: أجل... لأجلك طبعاً... لماذا دُهشت بهذا الشكل؟

مَلا: (تمتلئ مشاعراً وأحاسيساً) وما أدراني.. لقد فاضت بي المشاعر والأحاسيس... منذ سنين طويلة لم تفكر في أن تفعل شيئاً من أجلي، ولذلك... والآن فجأة أدهشتني جداً...

روفني: أيمكن أن لا أفكر فيك؟

مَلا: لا أعرف... ربما.. لكنك لا تفكر بشيء غير عملك. فأنت لست معتاداً. ولا تستطيع الافتراق عني لأنني قطعة من عملك وضرورة من ضرورات عملك... لقد أفرحتني لدرجة... (تحتضنه وتقبله) ماذا ستفعل من أجلي؟ (يداها تبقيان فوق كتفيَ روفني).

روفني: (مفكّراً، ساهماً) من أجلكِ سوف أقدم هذه الليلة أكبر استعراض في حياتي، سوف أقدم استعراضاً فوق العادة..

مَلا: (وقد أصيبت بخيبة أمل كبيرة، يداها تنزلان عن كتفَيْ روفني) أهذا هو ما ستفعله لأجلي؟ كان عليَّ أن أعرف.... لقد فرحت بلا سبب.

روفني: لماذا؟

مَلا: إنه أيضاً عملك، دائماً عملك... إنه ليس من أجلي، بل من أجلك. وكيف اقتنعت مثل طفل صغير...

روفني: (لا يسمع ملا، ممتلئاً حماساً) أكبر استعراض في حياتي، سيكون استعراضاً لن يستطيع أي لاعب سيرك أن يقلّده...

مَلا: أتفكّر؟ بحركات جديدة؟ ولكن لا يمكن... فنحن لم نعمل عليها أبداً... كيف يمكن بدون تدريبات؟

روفني: كلا، كلا... ليست جديدة... إنها من عرضنا القديم لكني سأقدّمها الآن بطريقة جديدة جداً، وليرَ المتفرجون هذه الليلة الثنائي الساخر من الموت...

مَلا: إن لم تكن حركات جديدة...

روفني: كيف، ومتى استطعت أن أقدّم أشياء جديدة؟ هل تركتِني، هل ساعدتِني؟ هل صرتِ عوناً لي؟ منذ ست سنوات ولا جديد لدينا.

مَلا: وهل قيدت يديك ورجليك؟ ماذا كان يجب أن أفعل من أجلك أكثر من هذا؟ (الخشبة تظلم. تبقى ملا فقط في دائرة الضوء) فعلت ما لا تستطيع أي زوجة أن تفعله لأجل

زوجها. (تحلُّ شعرها. تلفُّ شعرها الطويل على ساعدها. وتمثِّل أقوالها على نفسها؛ وتدور كما لو كانت تتأرجح في الفضاء معلَّقة من شعرها إلى علاَّقة). هل من السهل أن تؤدي امرأة ألعاباً رياضية على الحبل، وهي معلَّقة إلى السقف من شعرها على مدى نصف ساعة؟ ثم تقفز أنت من منصتك على رجليَّ، وتتشبث بقدَمَيَّ وتتأرجح. عملت وتدربت سنتين على هذا العرض فقط. انظر، انظر إلى جلد رأسي، صار مثل النَّعل. إنَّ جلد ثور أعجف أكثر ليناً وطراوة من جلد رأسي.

روفني: (صوته يأتي من الظلام) لكنهم لم يتمكنوا من تقليد عرضنا هذا حتى الآن.

مَلا: تمكنوا، أو لم يتمكنوا.. أنا قمت بهذه الأعمال كلها من أجلك فقط.. وفي ليلة من الليالي فيما كنت أتأرجح على ارتفاع تسعة أمتار، شعرت كأن شعري سوف ينقلع من جذوره، من أجل مَن كان هذا كله؟ ألم يكن من أجلك؟ (تبكي. يتقطَّع

نفَسها. ظهرها إلى الحائط، تَلكم الحائط) خمس عشرة سنة من عمري. حرام على خمس عشرة سنة ضائعة من عمري... أجمل خمس عشرة سنة من العمر، وأكثرها شباباً، وحيوية، وأملاً... مرت هباء. ليت التصفيق لم يكن، إنه لا يلزمني، لا أريده. أنا لم أفعل هذا كله كي أكون لاعبة سيرك.

روفني: (صوته يُسمع من الظلام) لا تبكي يا مَلا.. لا أريدك أن تبكي. لم تضع خمس عشرة سنة من عمرك فقط. كلانا معاً.. أنا أيضاً أضعت خمس عشرة سنة من عمري وإيَّاك..

مَلا: (تتكوَّم عند أسفل الجدار) إني أحبُّك، ولكن ليس لكونك لاعب سيرك مشهوراً... إني أحبك لذاتك فقط. ليتك كنت موظفاً صغيراً، أو حرفيّاً، ليتك كنت عاملاً، ولكن كنت زوجي...

روفني: (صوته يأتي من الظلام) لا يمكن وجود روفني منسلخ عن شخصيته... لا يمكن مجرد التفكير بذلك. أنتِ لستِ بحاجة إلى روفني.

مَلا: وأنت لست بحاجة إلى زوجة... أنت تبحث عن شريكة لألعابك، سواء كنت أنا أو كانت واحدة غيري، لا أهمية لذلك عندك... يكفي أن لا يكون لها ما تريده لنفسها، وأن توافق على جميع رغباتك... فإن لم تكن كذلك... إنني خائفة. يكتنفني الخوف من الموت كل ليلة.

روفني: (صوته يأتي من الظلام) لا تخافي يا ملا لا تخافي... أنا موجود، أنا هنا...

مَلا: إني أخاف منك. عندما أخلّص شعري من العلاقة وأرمي بنفسي في الفراغ.. حينها، أخاف من أنك قد لا تمسك بيديَّ في إحدى الليالي. أحياناً حين أنظر من المنصَّة إلى الأسفل، أرى نفسي ساقطة على الأرض... لا تتركني يا روفني! أمسِك يدي.. (تفر من الضوء، تضاء الخشبة كلّها. تركض نحو روفني. يقفان متقابلين).

روفني: (يأخذ يديَّ ملا بين كفيه بحنان) هاتي يديك.. تماماً هكذا. أعطني يديك كي

أمسكهما.. عندها لا تخافي مطلقاً...

مَلا: (تتكلم همساً وقد أسندت رأسها إلى صدر روفني) أمسك يدي يا روفني... لا تدع يدي أبداً...

روفني: لا تخافي... فكري في هذه الليلة.. سنقدم أكبر استعراض في حياتنا.

مَلا: إن لم تكن ألعاباً جديدة، المتفرجون لن ينتبهوا...

روفني: ليس من أجل المتفرجين، من أجلنا... هذه الليلة ليلتنا.

مَلا: لم نقم بأي تدريبات... كما أننا لم نرتح من مشقة السفر...

روفني: ماذا نفعل، ليس لدينا وقت.

مَلا: كيف الصالة.

روفني: لقد ذهبت وشاهدتها، جميلة جداً. أكبر صالات المدينة. تتسع لألف شخص. ارتفاع السقف يبلغ عشرة أمتار. لقد زينت أزقة المدينة بالملصقات: أنتِ وأنا ومستيني...

مَلا: ولانفا؟ إنه موجود في الملصقات... (تذهب لعند لانفا)

روفني: (ينظر برهة إلى ملا، ثم يذهب لعند مستيني. يجلس على الأرض مداعباً مستيني) وذاك موجود لاشكّ... فأنا لم أزِل لانفاك من الملصقات...

مَلا: أتنهض من جانب هذه...

روفني: لماذا؟

مَلا: سوف تلتفّان ببعض التفافاً محكماً في الصالة على أي حال...

روفني: لا تبدئي ثانية. لقد مللت هراءك هذا. هل أتكلم أنا شيئاً عن لانفاك، افعلي ما تفعلين...

مَلا: لانفا شيء، وتلك شيء آخر... (تصرخ) كفاكَ مداعبة لهذه!

روفني: تغارين حتى من مستيني.. أنت مجنونة.

مَلا: المجنون فعلاً هو أنت، فلتنته هذه اللعبة التي بيننا. إذا كنت قد سكتُّ طيلة

السنوات الماضية فليس لعدم معرفتي، إني أعرف كل شيء..

روفني: ماذا تعرفين؟ قولي.

مَلا: أنا أعرف من هي مستيني..

روفني: (مدهوشاً جداً) من؟ من هي؟

مَلا: لا أريد العيش مع هيكل خيالي في مكان واحد. مستينيك.. هيكل من أنابيب معدنية لامرأة شابة ميتة، نعم إنها محبوبتك التي اهترأ لحمها...

روفني: لا يمكنك التكلم عنها بهذا الشكل.

مَلا: أتكلم... لماذا قتلتها إذا كنت تحبها كثيراً لهذه الدرجة؟

روفني: (تجمَّد أمام الاتهام) أنا لم أقتلها.. كان ذلك حادثاً، حادثاً مهنياً. هذا يحدث كثيراً في مهنتنا، ويمكن أن يصيب أي واحد منا.

مَلا: أنت قتلت مستيني بسبب غيرتك... ثم أطلقت اسمها على هذه الأنابيب المعدنية

البراقة. جعلت هذه محل مستيني. إني أعرف كل شيء، كل شيء.

روفني: (مذنباً) كذب، أنا لم أقتلها... سقطت عن منصة التأرجح، الناس جميعاً يعرفون ذلك.

ملا: لكن هناك شيئاً آخر أعرفه أنا. الشبكة التي تنصب كل ليلة تحت منصة التأرجح، لماذا لم تنصبها تلك الليلة... (روفني يتشبث بمستيني) التفَ بعذاب الضمير.. التف...

روفني: يكفي لهذا الحد..

مَلا: كلا، فلنتكلم، اختنقت من سكوتي طيلة هذه السنوات.

روفني: تكلمي إذا كان الأمر كذلك...

مَلا: لقد جُننتَ عندما ضبطتَ مستيني بالجرم المشهود في الفراش مع عامل التنظيفات في السيرك الذي كنت تعمل فيه. عامل تنظيفات قذر. وفوق ذلك كان رجلاً مسناً وقبيحاً... وهذا ما ضايقك أكثر. خاصة وأنك لم تكن لاعباً مشهوراً كما أنت عليه اليوم.

روفني: أقول لك إنه حادث. فعلاً لقد كان حادثاً.

مَلا: وفي تلك الليلة أيضاً أعلنت قائلاً: سأقدم الليلة أكبر عرض في حياتي، سأقدم عرضاً فوق العادة.

(صمت طويل)

روفني: كان يجب علي التخلص. كنت مضطراً للتخلص من كل ما يقيدني ويعرقل عملي. كان يجب أن تموت هي أو أموت أنا.. كنت مجبراً على الخيار بين موت واحد منّا.

مَلا: تلك كانت إحدى النساء الجميلات. هناك الكثيرات مثلها على وجه الأرض. أما أنت؟ أنت أكبر لاعب سيرك في العالم... صانع ألعاب. لو استمررت في العيش معها لتلاشت شهرتك الرياضية، أما تلك فيجب أن تموت. أهذا هو الخيار يا أناني؟

روفني: هذا الخيار لم يكن نابعاً من أنانيتي، بل بالعكس تماماً من غيريتي. تلك كانت تعيش فقط لذاتها. أما أنا فإني أعيش من أجل المتفرجين. فطالما وُجد المتفرجون فأنا موجود.

مَلا: أيها الجاني!

روفني: صحيح، لقد وضعت خططاً عديدة لقتلها. وذهبنا إلى بلد بعيد، بعيد جداً لكي نعرض عرضنا الأخير. وكنت لدى عودتي وحيداً، فقد تركتها هناك.

مَلا: طبعاً... فلن تجلب جثتها معك. (صمت) متى سنذهب إلى النادي؟ أف ف ف.. (تتناول سيجارة، روفني يشعل سيجارتها) أما زال هناك وقت طويل حتى تبدأ عروضنا؟

روفني: مازال الوقت مبكراً جداً....

مَلا: (تشرب) الوقت لا يمرُّ أبداً. كأنه متوقف... لو يأتي أحد ما...

روفني: من يمكن أن يأتي؟

نن ليس ضرورياً أن يكون إنساناً. لو كانت هرة حتَّى... شيء ذو روح...

(بفعل تيّار الهواء، يُفتح الباب بصرير، ينظر الاثنان بلهفة نحو الباب).

روفني: الرّيح... (يقفل الباب)

مَلا: (تصرخ) لا تقفله! دعه مفتوحاً...

روفني: يجب عدم نسيان قفل أبواب غرف الفنادق... (مَلا ترتمي فوق لانفا، وتجهش بالبكاء) أنتِ لديكِ لانفاكِ على الأقل، حبيبك لانفا...

مَلا: (بعينيها الدامعتين، محتدة) أجل، لديَّ لانفاي (صمت قصير، ثم تصرخ فجأة) لا، لا.. ليس لدي لانفا... مسكين...

روفني: من المسكين؟

مَلا: ولدي

روفني: ليس ولدكِ، إنه ابن حرام... محبوبك ابن الحرام. (ملا في دهشة كبيرة) لماذا تنظرين هكذا، ولماذا دهشت لهذه الدرجة.. هل لأنني أعرف؟

مَلا: ماذا تعرف؟

روفني: كل شيء ابنك الذي مات قبل أن يولد...

مَلا: (تلتفُّ بقوة بلانفا) ابني...

روفني: ابن حرام. يجب أن تدوسي على بطنه على أنّه ابن حرام.

مَلا: اسكت! لقد حرمتني من شعور الأمومة لسنوات طويلة. فجعلتني أقتلع أطفالي من بطني وأرميهم مثل أسنان نخرة. وكنت أشعر في كل عملية بأن نفسي تُقتلع من جذورها من نفسي.

روفني: ماذا يمكنني أن أفعل إن حُرمتِ من شعور الأمومة؟..

مَلا: ليس شعوراً فقط، إنه حقي، حقي!...

روفني: أنا أيضاً حرمت من شعور الأبوة.. حاولت كثيراً أن أفهمك أن الطفل قيد بالنسبة لنا معيق لعملنا.. لكنك أصررت على أنك تريدين طفلاً. كنا سنزحف مع قطيع من الأطفال أمامنا وخلفنا في خيام السيرك الجوّال، مثل هؤلاء المئات من أبناء اللاعبين السيئين... (صمت).. هـه... ضحكت في قرارة نفسي عندما ذكرت قبل قليل الذكرى الخامسة عشرة لزواجنا.

مَلا: لماذا؟

روفني: هل تحسبين المدة التي هربت فيها مني وتركتِني من أيام زواجنا؟

مَلا: أنت من أجبرني على هذا.

روفني: لكن ها قد رأيت النتيجة...

مَلا: عدتُ إليك. لماذا تضرب هذا في وجهي بين الفينة والأخرى؟ إذا كان هذا ذنباً فأنت أيضاً مذنب مثلي. لماذا كنت تنتظر عودتي؟ لأنك لم تجد شريكة لك أفضل مني، لأنك كنت بحاجة إلي.

روفني: بقدر ما أنت بحاجة إلي.

مَلا: (باكية) اسكت كفى، ماذا يصير... لقد تخلصت من ذاك. لانفا أيضاً مات قبل أن يولد، مثل بقية أطفالي.

روفني: أنا لم أجبرك على قلع ذاك ورميه. ذاك عندما أسقطته أثناء العرض الليلي، كنتِ ممددة على الأرض نصف ميتة.

مَلا: لا نفاي... (تلتفُّ بلانفا)

روفني: حتى أنك سمَّيتِه قبل أن يولد..

مَلا: مثل مستينيك..

روفني: هل فهمت الآن. لاعبو السيرك المرموقون لا يمكن أن يكون لهم أطفال، لا يمكن أن يكون لهم شيء آخر غير ألعابهم ورشاقتهم. أما الذين يظنون أنفسهم لاعبين، وكذلك غير اللاعبين، فلهم زوجاتهم، نساؤهم.. لهم منازلهم الجميلة الحلوة، حيث تصطف أصص الأزهار على حواف النوافذ... لهم هررهم، وعصافيرهم... وأولادهم قطيع فلذاتهم... حلوين حلوين . أما لاعبو السيرك فلهم ألعابهم، فقط ألعابهم.

مَلا: لكن هناك كثير من اللاعبين لديهم أولاد...

روفني: أولئك ليسوا روفني.

مَلا: روفني، روفني، روفني...

روفني: أولئك يكرِّرون ما تعلموه من غيرهم.. إنهم طفيليون يعيشون على فضلات الموائد.

مَلا: هل طاول رأسك السماوات لأنك صرت روفني؟

روفني: لا لم يطل، أجل... لكن كان بإمكانه أن يطال. من كثرة نهشنا لبعض ما عدت أعرف ما أفعله ولا ما سأفعله، وإلاّ... لكنت ربطت حبال منصَّة التأرجح إلى الغيوم. لكنك عاندتني بلا هوادة، وسحبتني إلى الدرك الأسفل. أولادا!.. مع أن... (يتوقف)

مَلا: تكلم، تكلم، إن بقي لديك ما تقوله.

روفني: نحن مجبرون على تجديد أنفسنا يومياً.

مَلا: حسناً، أنا سيئة، فلماذا لم تؤهل لنفسك شريكة أخرى غيري أثناء انفصالنا؟

روفني: أنا لا أنكر احتياجي إليك... أنا لا أستطيع أن أكون بدونك.

مَلا: أنا أيضاً هكذا للأسف... لكني لا أعرف سبب هذا.

روفني: لكني أريد منك أشياء وأشياء أخرى.

مَلا: تـريد، دائمـاً تـريد.. لـكـنك لا تعـرف مـاذا تـريد، لـو أعطيتك هـذا الشـيء الـذي تريده دون أن تعـرف، لطلـبت أشـياء أخـرى، ثـم أشياء أخرى أيضاً... طلباتك التي لا تنتهي، مـثل خـط الأفـق الـذي لا يمكـن الوصـول إلـيه، والـذي يبـتعد ويهـرب كلمـا تم الاقـتراب مـنه، والـذي لا حـدود لـه، ولا يُعـرف مـاذا يـوجد وراءه. مـع أنـني أعـرف جيداً ما أريده منذ البداية.

روفني: ماذا تـريدين؟

مَلا: أن تكـون زوجـي فقـط، هـكـذا. أنـا أفعـل كل ما تريده لأنك زوجي. (صمت) أف. إني أختنق، هيا فلنذهب... (تشرب)

روفني: مازال الوقت مبكـراً..

مَلا: ليكـن مبكـراً، فلنذهـب.. لنخرج من هنا.

روفني: ماذا سنفعل طوال هـذا الوقت؟

مَلا: نتهيأ.

روفني: لماذا تستعجلين هـذه الليلة؟

مَلا: لا أعرف...

روفني: برأيي أن حياة الإنسان لها تعرفة، مثل تعرفة القطارات والبواخر، لكننا ولجهلنا بتعرفة أنفسنا نستعجل الوصول إلى المحطة الأخيرة.

مَلا: أي محطة أخيرة؟

روفني: لا تتعجلي بلا طائل!

مَلا: (تشرب) الخوف الذي ينتابني هذه الليلة مغاير... (يرن جرس الهاتف) هه، هوذا الهاتف..

روفني: (يحول دون ذهاب ملا إلى الهاتف، ويرفع السماعة): الووو... تفضلوا.

(سوفت تسمع أصداء الصوت الصادر من الهاتف وسوف ترتفع الأصداء شيئاً فشيئاً حتى النهاية).

الصوت: سيد روفني؟

روفني: نعم، تفضلوا...

(مـلا تنتظـر بانفعـال بجانـب روفـني، أثـناء الحديث)

الصوت: إنـي أتحـدث مـن الـنادي يـا سـيد روفـني، عروضـكم سـوف تبدأ عند السـاعة الثالثة والعشرين.

روفني: تحدثنا في هذا، أعرف.

الصوت متى نرسل لكم العربة؟

مَلا: فليرسلوها فوراً.

روفني: بعد ساعة.

مَلا: فوراً.. الآن، الآن.

روفني: هـل كـلُّ شـيء جاهـز؟ هـل تمَّ وضـع كـل شيء في مكانه كما قلت؟

الصوت: أجـل تمَّ تنفـيذ كـل مـا طلبـتموه. أتـودون معاينة ذلك؟

روفني: طبعاً.. عندما نأتي. مازال لدينا وقت.

مَلا: (مرتبكة ومنفعلة) لكن لم يبق وقت..

الصوت: الإقـبال شـديد جـداً علـى عروضـكم. في

الحقيقة لم نكن نتوقع هذا كله. بيعت الأماكن جميعها منذ البارحة واضطررنا إلى رد كثير جداً من زبائننا.

روفني: أعطوا أماكن لليلة الغد.

الصوت: إننا نفعل ذلك، لكن المشاهدين جميعاً يصرون على أن يشاهدوكم هذه الليلة، لأننا أعلنَّا "سيقدم أكبر عرض في حياته"... المشاهدون يظنون أن هذا العرض الخارق لهذه الليلة فقط.. أعتقد أنكم ستبقون هنا فترة طويلة.

روفني: لا تنسوا شيئاً.

الصوت: نُفذ كله يا سيد روفني، ونُصبت الشبكة.

روفني: كلا، لا حاجة للشبكة، ارفعوا الشبكة...

مَلا: (تهجم بغتة على الهاتف، تحاول أخذ السماعة من يد روفني، تصرخ) لينصبوا الشبكة... انصبوا الشبكة... لا يمكن بدون شبكة... (روفني يحاول دفع ملا، ويحاول عدم إعطائها سماعة الهاتف).

الصوت: (لم يسمع) الوو، الوو.. لم أفهم يا سيد روفني..

روفني: ليرفعوا الشبكة، لا حاجة للشبكة...

(ملا لا تزال تحاول أخذ السماعة من روفني)

الصوت: نصبنا الشبكة على ارتفاع خمسة أمتار عن الأرض كما قلتم... (روفني يدفع مَلا بقسوة، ملا تسقط بجانب لانفا، تلتفُّ بلانفا وتجهش بالبكاء. روفني ينظر إليها ويتحدث على الهاتف بهدوء تام، وببرود أعصاب، وبثقة).

روفني: ارفعوا الشبكة... سنقدم عرضنا بدون شبكة، لهذه الليلة فقط. سيكون عرضاً كبيراً جداً... ستنقطع أنفاس المتفرجين. أوصوهم بأن يعملوا دعاية بأن "الثنائي مَلا وروفني سيقدمان هذه الليلة أكبر عرض في حياتهما...".

الفصل الثاني

غرفة الفنانين في النادي الذي سيقدم فيه روفني ومَلا عروضهما. خزانتا ملابس، وطاولتا ماكياج. ولكل من الطاولتين مرآة كبيرة ذات إطار. المرآتان بإطارين فقط، ولا زجاج لهما.

الطاولتان بمرآتيهما المؤطّرتين الخاليتين من الزجاج في مقدمة خشبة المسرح ظهراهما للصالة؛ بحيث، عندما يجلس روفني ومَلا أمام طاولتيهما ليضعا ماكياجيهما سوف يرى الجمهور وجهيهما من خلال الإطار الخالي من زجاج المرآة، وسوف يجلسان أمام الإطارين الخاليين وكأن هناك فعلاً مرآتين حقيقيتين أمامهما، ويضعان ماكياجيهما، وسوف يمسحان وينظفان بين الفينة والأخرى زجاج المرآتين المفترض وجودهما، مستيني قرب طاولة مكياج روفني، ولانفا قرب طاولة ماكياج مَلا. على الجدار المقابل ألصق الملصقان اللّذان شوهدا في الفصل

الأول. سيستعمل الفراغ فيما بين الملصقين على الجدار المقابل كشاشة عرض سينمائية، وستظهر على هذه الشاشة بين الفينة والأخرى بعض البرامج التي يقدمها النادي، واستعراضات روفني ومَلا. (يمكن أن تُسقط على الشاشة ظلال فقط، أو خطوط عامة لأشكال).
يتم الخروج من باب هذه الغرفة الوحيد إلى الكواليس. ومقدمة الكواليس هي صالة النادي. يجب ترتيب الديكور إمَّا بالأضواء، أو بتدوير غرفة الماكياج، أو بسحبها، بحيث تتوفر لدينا هنا غرفة ماكياج، وصالة النادي لعرض الألعاب البهلوانية. لأن الفصل الثاني من المسرحية سيكون في غرفة الماكياج وفي صالة النادي.
عندما يصبح الديكور على شكل صالة النادي، فإن متفرجي النادي غير المنظورين سوف يعتبرون موجودين مقابل متفرجي المسرح تماماً في الطرف الآخر من خشبة المسرح. سوف تسمع أصوات وضجيج متفرجي النادي. عندما تأخذ خشبة المسرح شكل صالة النادي، فسوف نشاهد الحبال المتدلية من السقف، والسلاسل، والحلقات الحديدية والعلاقات الحديدية. عندما تفتح الستارة تظهر غرفة الماكياج. وسوف تُسمع الأصوات المنبعثة من صالة النادي بشكل ضوضاء. الموسيقى المنبعثة تدل على أن عرضاً يقدَّم في صالة النادي. بعد

فترة قصيرة تنقطع الموسيقى، ويُسمع تصفيق. أثناء هذا التصفيق يدخل روفني أولاً ونتبعه مَلا إلى غرفة الماكياج.

طيلة استمرار التصفيق يخلعان ملابسهما دون أن يتكلما. مَلا تخلع ملابسها خلف حاجز خلع الملابس، وترمي ما تخلعه قطعة إثر قطعة على مقعد. ويخلع روفني ملابسه ويبقى بالقميص الشيَّال. في هذه الأثناء يُسمع صوت مقدِّم برامج النادي.

المقدِّم: أيها السيدات والسادة المحترمون! ... والآن يسرنا أن نقدم لكم حدث الموسم نجمة التَّعرِّي الرائعة نويرا!

(تسمع الموسيقى والتصفيق معاً. في هذه الأثناء تماماً تخرج مَلا من خلف حاجز خلع الملابس وقد ارتدت المايوه البرَّاق الذي سترتديه في العرض. روفني جالس إلى طاولة الماكياج. يبدأ بعمل ماكياج المهرِّج. مَلا تضع زجاجة المشروب والكأس على طاولة الماكياج، ثم تضع عباءة على كتفيها، وتبدأ بالماكياج).

مَلا: (تضع الماكياج) مازال لدينا وقت، أليس كذلك؟ (تشرب).

روفني: (أثناء وضعه الماكياج) نعم... لدينا وقت، بإمكانك أن تشربي إلى أن تخرجي أمام الجمهور....

مَلا: هل نحن آخر من سيخرج؟

روفني: سنخرج مرتين، كما تعرفين.. مرة في الدَّور، ومرة في الآخر، الأخيرة ستكون على منصة التأرجح... (صمت) يجب أن تكوني جميلة هذه الليلة.

مَلا: ألا يمكن أن تكون أكثر لطفاً عندما تكلم زوجتك؟

روفني: يعني، أردت أن أقول أجمل من كل الأوقات السّابقة.

(سوف تتكلم من الآن فصاعداً أفكار روفني ومَلا، لذلك سوف يُسمع صوتاهما دون أن يتكلما. أثناء سماع صوتيهما/هما يعملان الماكياج، ويدخنان. سوف يتكلمان أحياناً بين أصوات أفكارهما).

مَلا: أنت لطيف جداً مع بقية النساء. فجاجتك على زوجتك فقط.

صوت روفني: زوجتي!...

صوت مَلا: ماذا أردت أن تقول؟ ألستُ زوجتك؟

صوت روفني: طالما أنك لا تعتبرينني زوجك...

صوت مَلا: منذ متى؟

صوت روفني: منذ سنوات طويلة...

صوت مَلا: لماذا لم تقل هذا حتى الآن؟

صوت روفني: ذهبنا ذات ليلة إلى بيت المهرج رازون لتناول طعام العشاء، وكان هناك ضيوف آخرون...

صوت مَلا: (يتردد صداه من الأعماق) أي زوج كنت أفكر فيه عندما كنت شابة...

صوت روفني: لم تكوني معجبة بي....

مَلا: (تنهض وتأتي أمام روفني) أنظر حتى نرى، هل صرت جميلة؟ (روفني لا يجيب) أنا في الأصل جميلة...

روفني: طبعاً أنت جميلة... لا تقفي كل هذا الوقت عند كلمة... أنا أردت أن تظهري في هذه الليلة أجمل من أي وقت.

صوت مَلا: (مَلا تجلس إلى طاولة الماكياج): ماذا أفعل... وأنت لستَ زوجي....

صوت روفني: أعرف هذا...

صوت مَلا: (متَّهمة) لماذا كنت تحتفظ برسائل محبوباتك السابقات؟ منذ أن عثرت على الرسائل في المكان الذي تحفظها فيه.. (تصرخ) هذه ليست غيرة. لكن ذلك كان يمسُّ كرامتي.

صوت روفني: لكنَّ أولئك لم يكنَّ محبوباتي... كنَّ فقط ذكرياتي. أنا أحبُّ ذكرياتي، أي أحبُّ نفسي. كيف يتخلى المرء عن ذكرياته، كيف ينقطع؟ هل استطعتِ أنتِ أن تنسي؟

صوت مَلا: ماذا؟

صوت روفني: نفسَكِ... سنَّكِ في التاسعة عشرة... زمن

تجـوُّلِكِ عـند باعـة الكـتب القديمـة. الـرجلَ الـذي كـان معك...

مَلا: لمـاذا تريدنـي أن أكـون جمـيلة بهـذا القدر هذه الليلة؟

روفني: ليلتنا هذه لها خصوصيتها، تعرفين...

صوت مَلا: مـا الـذي اقتسمته معـي؟ مـا الـذي فيك أشـركتني فيه؟

صوت روفني: كـان يجب أن نصنع معاً الأشياء التي سنقتسمها، عـندهـا كـانـت الأشـيـاء كلها ستكون لكلينا...

صوت مَلا: هــل كــان علــي أن لا أذهــب إلى الحفــلات الموسـيقية لأنــك لا تحــب الموسيقى؟ هل كان علي أن لا أحضر حفـلات الأوبـرا لأنك لا تحـب الأوبـرا؟ هـل أنا مجبرة على أن لا أشرب لأنك لا تشرب؟ (ملا تشعل سيجارة).

صوت روفني: لاا!... لست مجبرة على ترك المشروب، ولا علـى أن تفعلـي أو لا تفعلي غير ذلك مـن الأمـور! لقـد مـنعني الأطـبـاء عـن

المشروب لأنه يضر بصحتي.

صوت مَلا: ليس ضاراً بي..

صوت روفني: جيد.. المهم هو كلمتك هذه.

صوت مَلا: لابد أن لكلمتي ما قبلها. من يدري ماذا كنت قد فعلتَ، وماذا كنت قد قلتَ قبلاً... (تشرب)

روفني: لكن يكفي لهذا الحد، لا تشربي هنا على الأقل!

مَلا: إني أشرب نخب ليلتنا هذه الخاصة فوق العادة.

روفني: أنت امرأة جبانة، جبانة وضعيفة... وتحاولين التغلب على جبنك بالمشروب.

مَلا: أجل، أنا جبانة، ضعيفة... (صوت مَلا) في العملية الرابعة أيضاً، كانوا قد أخذوا مني طفلي... نمت سبعة أيام في المستشفى... جئت خلالها مرتين فقط لزيارتي.. مرتان خلال أسبوع...

صوت روفني: لم يكن لدينا مال. كنت مضطراً للعمل. وكان العثور على عمل صعباً في تلك الأيام....

صوت مَلا: وتركُك لي أنتظرك لساعات في أماكن تواعدنا على اللقاء...

صوت روفني: كفى! كفاك اتِّهاماً لي...

صوت مَلا: أنت بدأت أولاً..

صوت روفني: كان يوماً حاراً كحرارة جهنم..

كنت أتخبط بحثاً عن برنامج في مكان أفضل أقدم فيه استعراضاً جديداً. كنت أخطط لعمل استعراض يجمع بين الألعاب البهلوانية وألعاب الخفّة. وكانت الحرارة تتضاعف ألف ضعف كلما ضغطت على نفسي في العمل. عملت ليلاً أيضاً، بلا نوم - كنت منهكاً، يائساً، وحيداً بحيث.. لشدَّ ما افتقدتك في ذلك اليوم، ولشدَّ ما أردتك فيه إلى جانبي.. كانت يداي تبحثان في الفراغ عن يد صحيحة تتمسَّك بها، كما تبحث براعم أوراق اللّبلاب عن مكان

تستند إليه. لم أكن أستطيع القيام بما أريده من عمل، بأي شكل من الأشكال. كان يخيَّل إلي أن الأمور كلها ستصبح بغتة سهلة يسيرة، حين أصبح في أجوائك وأتنشَّق عبيرك، وإذ بك تذهبين في ذلك اليوم إلى فندق الجبل للتَّزلج على الجليد. (يتردد صدى صوته من الأعماق) "لا تذهبي امكثي... تذهبين في وقت آخر".

صوت مَلا: (صوت معاند يتردد صداه من الأعماق) هل يجب علي أن لا أذهب لأنك لا تذهب؟

صوت روفني: هل تذكَّرتِ؟

صوت مَلا: كلا.

صوت روفني: مع أنني أراك أمامي الآن بأدقِّ تفاصيلك كما كنت في ذلك اليوم، كما أرى صورة فوتوغرافية مكبَّرة جداً، بكل نقاطها. لا أستطيع أن أنسى ذلك أبداً. كلما هرَّبت يديك مني، وكلما ابتعدت عني وأنتِ بجانبي، أراك كما في ذلك اليوم. تقطِّب

قسمات وجهك، وارتجاف شفتيك، ونظراتك التي تقدح شرراً.. حتى لون وشكل ثيابك، والأزهار التي عليها، وتكسيرات قماشها، أمام ناظري.. حركات أصابعك المنفعلة، كل شيء، كل شيء.. ثم تركتني وذهبتِ.. (روفني بالماكياج الذي وضعه يأخذ شكل المهرج الذي في الملصق) أنت لا تذكرين.. مع أنها ليست المرة الأولى...

مَلا: في أثناء بكائي في الفندق، نظرت فجأة في المرآة، لكم كنت قبيحة. إني أكره البكاء. (تنهض على قدميها، وتدور حول روفني ببهجة مثل عارضة أزياء) انظر! هأنذا كما تريد.. هل صرت جميلة بما يليق بعرضك غير العادي؟ (روفني لا يجيب. صمت. بانفعال مَن كُسِرَ خاطرها) مهرِّج.. (تصرخ مستخِفَّة) ما هذا التجديد، التجديد الذي لا تفتأ تتشدق به مفتراً؟ أنت لست أول مهرج على وجه الأرض، ولست أول لاعب سيرك.. ما هو إذن التجديد الذي أدخلته على الألعاب البهلوانية؟

روفني: كل جديد يَقْدُمُ. ذاك الجديد لم تبق فيه أية جدة. كان جديداً قبل ست سنوات، كان نجاحاً كبيراً. أما الآن فإن الكثير من اللاعبين يؤدون الألعاب نفسها. المهم هو تقديم العرض لأول مرة. ولكن كم من المؤسف أنك حتى أنت لا تعرفين أهمية العرض الذي نقدمه معاً على مدى ست سنوات...

مَلا: لماذا لا أعرف! أن يقدم مهرج استعراضات بهلوانية كبيرة.. هذا هو ما تدعوه بالتجديد...

روفني: ليس هكذا يا مَلا... لو كان الأمر هكذا فقط، لما استمر وانتشر بهذا القدر. طبعاً أنا لست أول مهرج على وجه الأرض، كما أنني لست أول لاعب سيرك، لكنني أول من قدَّم أضعف مهرج على أنه أقوى لاعب سيرك. لاشك أن الأمر سهل... لكن بعد أن عُرض. لماذا لم يفعله أي لاعب آخر قبلي...

مَلا: أين الجديد في هذا؟

روفني: (يشرح ممثّلاً بنفسه ما يقول): من هو المهرج؟ إنه يرمز للإنسان الأضعف والأكثر تألماً، والأكثر انسحاقاً في المجتمع، والذي يُنظَر إليه على أنه الأتفه...

دائم السقوط، دائم التدحرج، دائم التعثر، يُضحِكُ الآخرين على خيباته وفشله. لديه مكرُهُ، ولكنْ زاحفاً على الأرض دوماً، لا يمكنه الارتقاء. يُشفَق على المهرج، ولكن ليس كإنسان.. إنّما ينظر إليه على أنه مخلوق آخر على شكل إنسان. الذين يضحكون على المهرج مشفقين عليه عندما يسقط. يتباهون لأنهم لم يسقطوا، أي لأنهم أذكياء، فالحون، ناجحون، ويجدون في هذا ترويحاً أنانياً لهم. مقابل هذا، من هو لاعب الحبال؟ إنه في مخيلة المتفرج هو ذاته... ففي شخصية لاعب الحبال، يرى كل امرئ نفسه بهلواناً قوياً منفوخ العضلات مفتولها. تماماً كما يحدث في مباريات الملاكمة عندما نضمُّ ونهزُّ قبضاتنا مع الملاكم الذي نشجعه،

ونسدّد لكماتنا للملاكم الخصم الذي أمامنا... وكما يحدث في مباريات كرة القدم عندما يسدد اللاعب الذي نشجعه ركلة للكرة، كيف نطوح نحن أيضاً برجلنا في الفضاء أمامنا... أو كيف نعطي أولئك اللاعبين تعليمات افعل كذا، وافعل كذا... نحن نرى شخصيتنا التي نتخيلها في شخصية لاعب السيرك القوية.. المتفرج يطير مع اللاعب من منصة إلى منصة. بينما لا يحرك أحد ساكناً حينما يسقط المهرج المسكين على الأرض. أنا وحَّدت هاتين الشخصيتين في شخص واحد. فجعلت من المهرجِ الدائم السقوط والانزلاق والتعثر؛ بهلواناً يقدم في الأعالي أقوى الاستعراضات الرياضية.

مَلا: فهمنا. وماذا في هذا؟

روفني: هذا أمل المسحوقين. هذا تمرُّد المسحوقين على ساحقيهم. لقد رأى المسحوقون جميعاً أمنياتهم تتحقق في شخصي. طبعاً لا أحد من المتفرجين يعرف أن الأمر هكذا...

لذلك انتشر هذا الاستعراض في أنحاء العالم. (صمت) هذا الاكتشاف لم يعد اكتشافي أنا وحدي، إنه لكل اللاعبين...

مَلا: ولا أحد يعرف اكتشاف من هو حتّى...

روفني: ليكن، يكفي أنني أعرف...

مَلا: والأعمال التي عملتها بعد هذا أيضاً...

روفني: بعد هذا... (بانفعال) أشعر بِقِدَمي... وأقرف من الإنسان القديم، مثل جثة ذات روح... إني مضطر لأن أعمل أعمالاً جديدة، جديدة، لكي أشعر بأنني حي...

مَلا: وأنا هي المذنبة في هذا، أليس كذلك؟ فأنا بحقدي أشدُّك.. إلى الأسفل، إلى الأرض، إلى القاع لكي أغرقك.. هل تخبرني ماذا أفعل، ماذا تريدني أن أفعل؟

روفني: لا أعرف... هذا يجب أن تعرفيه أنت.

مَلا: حتى إنَّ ما تريده غير واضح.

روفني: لا أريد أشياء كبيرة جداً، ولكن... أحد مطالبي، ضحكك... ولكن ليس

كـضحكك أمـام متفـرجينا، ولا كـضحكك مـع ضيوفنا... مـاذا يـصير، ارمقيني بنظرات مخملية...

مَلا: (تحتسي المشروب الذي في الكأس حتى الثمالة، الكأس الفارغ في يدها): أرغب في كسر شيء، شيء ما، أشياء. أحسُّ كأني سأكسر سلاسلي وأتحرر إذا كسرت أشياء ما. كأني سأكسر قيودي غير المنظورة أيضاً... أرغب في أن أفتِّته تفتيتاً، ولكن ما هو (بضيق شديد ترمي الكأس الذي في يدها على الأرض. الكأس ينكسر، تتردّد فوراً أصداء صوت الانكسار، ثم تُسمع أصوات انكسار زجاجات كثيرة جداً. عندما تتوقف هذه الأصوات، ينفجر تصفيق. المتفرجون في صالة النادي يصفقون عند انتهاء عرض في الصالة. عندما ينقطع التصفيق يُسمع صوت المقدِّم).

المقدِّم: أيها السيدات والسادة! والآن برنامجنا المفاجأة! البرنامج المنتظر بفارغ الصبر منذ

أشهر.. برنامجنا الذي سيُقَدَّم على فقرتين يبدأ الآن فقرته الأولى... لاعبا السيرك الخارقان: ذات الجسم المطاطي مَلا، والرَّجل الجراد روفني... الثُّنائي الطَّائر...

(تصفيق شديد.... مَلا وروفني يرمقان بعضيهما بكراهية، بنظرات عدائية، ويخرجان من الباب. الخشبة تُظلم، وعندما تُضاء من جديد، مَلا وروفني يدخلان صالة النادي يداً بيد وبخطوات سريعة. التصفيق مستمر. ملا وروفني اللذان أدارا ظهريهما للجمهور في صالة المسرح، يحيِّيان متفرجي النادي غير المرئيين، فيظهر وجهاهما بين الحين والحين. وجهاهما اللذان يبتسمان لبعض أمام الجمهور، يعبسان فجأة عندما يتراجعان إلى الخلف وينظران إلى بعضيهما، ثم يبتسمان من جديد للجمهور. بتلاؤم مع إيقاع الموسيقى. يتكرَّر الموقف نفسه وهما يجهِّزان مستيني ولانفا. المنصة تظلم. الموسيقى مستمِّرة، يُسمع كلام روفني ومَلا الهامس).

روفني: تمالكي نفسك في الصالة على الأقل...

مَلا: ماذا حصل أيضاً، ماذا فعلت؟

روفني: لا تعبسي أمام المتفرجين.

مَلا: حسناً، طبعاً، ها إني أضحك...

روفني: قلت لك أن لا تكثري من الشرب بهذا القدر.

(سوف يُشاهد عرض روفني ومَلا فوق مستيني ولانفا على الشاشة البيضاء، يمكن أن يُشاهَد كفيلم، كما يمكن أن يُشاهَدَ كظلٍّ يسقط على الشاشة. أثناء هذا العرض أو الفيلم، تخفت الموسيقى، ويُسمع صوتا روفني ومَلا الداخليين).

صوت مَلا: هل ستذهب إلى البعيد البعيد؟ اذهب حيث تشاء... أنا لا أستطيع مرافقتك...

صوت روفني: كأنهم حمّلوا على ظهري هذه الدنيا التي أقف فوقها.

صوت مَلا: أنت دائماً تفكر في نفسك. فقط في نفسك...

صوت روفني: أجل، أجل.. إني أتحدى الموت، وأفعل هذا عن معرفة، فأدير ظهري لكل شيء يذكّر بالموت، ولإحساسي الداخلي المخيف بالموت. وأحاول التغلب على خوفي برمي نفسي في المخاطر المميتة.

صوت مَلا: سئمت ومللت من سماع ذكريات وقصص الحوادث التي وقعت لأصدقائك القدامى من اللاعبين المقعدين والمسنّين...

صوت روفني: إني ضعيف للغاية، للغاية... لذلك أحاول أن أظهر هكذا بمظهر القوي جداً.

صوت مَلا: كم من الرجال الأغنياء طلبوا الزواج مني.

صوت روفني: لا أحد مذنب، غيري... ولا أحد دفع ثمن خطئه باهظاً كما دفعته أنا..

صوت مَلا: (مغروراً واخزاً) ألا ليتك لا تحاول أن تعلمني الأدب يا سُكّري...

صوت روفني: أنا لا أتهم أحداً... أنا محكوم بلعنة

الـوحدة... لـيـست الآلهـة، بـل أنـا مـن حكمت على نفسي بنفسي....

صوت مَلا: ألأنَّك لا تشرب يجب علي أن لا أشرب أنا أيضاً؟

صورت روفني: سأصبح سعيداً بأشياء صغيرة، صغيرة جداً، وبسهولة ويسر.

صوت مَلا: ألم أفعل أيَّ شيء لأجلك، أيَّ شيء؟ يا حرام، يا حرام...

(الخشبة تظلم. الموسيقى تعلو. يُسمع التصفيق، ونداءات "مرحى!". عندما تضاء الخشبة تظهر غرفة الماكياج. تدخل ملا، ثم روفني. روفني تعب، يجلس على طاولة الماكياج، يُسبل يديه، ويمدُّ ساقيه).

روفني: تعبت جداً، جداً...

مَلا: آ آ آ... لكننا لم نفعل شيئاً بعد... عرضنا الفعلي الكبير الخارق سيكون بعد... (صمت) هل يمكن أن تتعبك أبداً هذه العروض الصغيرة؟

روفني: ليست تعب الآن، إنه تعب السنين...

مَلا: هذه أول مرَّة أسمعك تتكلم هكذا.

روفني: لو أنني أترك نفسي، وأسترخي وأتمدد هكذا في البرودة..

مَلا: (متهكمة) هكذا... أن تترك نفسك، أليس كذلك؟ كيف حصل هذا دفعة واحدة؟ أيُّ تغير كبير...

روفني: لكنه ليس دفعة واحدة... إني أشعر بهذا التعب منذ مدة طويلة.

مَلا: لكنك لم تكن تظهر ذلك على الأقل... انظر، لقد سررت جداً لهذا.. إذن فأنت أيضاً تتعب. طبعاً الإنسان يتعب....

روفني: تعبي هذا ليس نتيجة العمل، إنه ناجم عن عدم العمل...

مَلا: مهما كان السبب... لشدَّ ما انتقدتَ المتعبين، بحيث كدت أشك في إنسانيتك.

روفني: أليس من حقي أن أرتاح؟ أن ألهو... وأن أصفِر في الطرقات..

مَلا: (متهكمة) ماذا تقول! طيب، وألعابك الجديدة جداً، أما كنت ستتجاوز نفسك؟

روفني: هذا ما يحدث دائماً... إننا نستعمل الكلمات نفسها، لكننا نتكلمها بلغات مختلفة. من يريد القفز يرجع إلى الوراء قليلاً لكي يأخذ فرصة للتَّحمية. ربما كان تعبي هو السبب في عدم تجديد نفسي. لو أسير طويلاً بقدميَّ العاريتين فوق الأتربة الرَّطبة... لو أهيم في القفار على غير هدى... إني أفكر بمرج أخضر شديد الخضرة بلا حدود، لو أستلقي على ظهري وأراقب النجوم. ي ـيَّل إليَّ كأن تعب السنين كله سوف ينسلُّ من جسمي العاري ويذهب عني إلى التراب. أي إني أودُّ أن أجمع قواي لأجدِّد نفسي...

مَلا: هذا جيد... ومن الذي يمنعك؟ نمْ، استلقِ، اغفُ! راقب النجوم ليلاً، وراقب السُّحب نهاراً، إلْهُ كما يحلو لك...

روفني: لماذا لا نستطيع التفاهم؟

مَلا: لا أعرف...

روفني: حاولي قليلاً أن تفهمي.

مَلا: وأنت أيضاً حاول قليلاً أن تُفهمنَي...

روفني: سألتك قبل قليل "أليس من حقي أن أرتاح؟" أجيبي، أليس من حقي؟

مَلا: إنه حقٌّ للجميع.. طبعاً ومن حقك...

روفني: إنه حقٌّ للجميع... لكنه ليس من حقي. لاحق لي في أن أكون خالياً، لا حقَّ لي في أن لا أبالي...

مَلا: لا حقّ لأي لاعب سيرك في هذا عندما يكون على رأس عمله، فالألعاب البهلوانية لا تسمح بأي خطأ أو سهو...

روفني: ليس هذا فقط عندما أكون متسلّقاً الحبال في الصالة، ليس فقط عندما أقدِّم العروض، بل طوال عمري، دائماً، وفي كل مكان، أنا مضطر للتصرف وكأنني فوق الأسلاك في صالة العرض؛ حتى في فراشي، حتى أثناء نومي... أيمكن أن

تتصوري كم هو صعب ومؤلم أن يضبط الإنسان نفسه حتى أثناء نومه كأنه في صالة تقديم العروض؟ إني أمشي على الأسلاك حتى في أحلامي. وحتى في أحلامي يجب أن لا أقع، وكلما وقعت أبدأ بالطيران...

مَلا: قلت بأنك ستقدم الليلة أكبر وأعظم عرض في حياتك... لكنك متغيِّر الآن تغيُّراً محيِّراً. (متهكمة) أنت؟ لاعب السيرك الكبير روفني!... ذلك اللاعب القوي!.. ما هذا التخاذل الآن؟

روفني: لست، لست قوياً... (دائرة الضوء تضيق، يبقى في دائرة الضوء) إني ضعيف، بلا حول... لكني مجبر على أن أخفي ضعفي ومسكنتي عن كل الناس، حتى عنك... بل إني مجبر على إخفاء ذلك عنك قبل كل الناس وأكثر من كل الناس. هذا هو ما يتعبني وليس العمل... أن أخفي ضعفي وأنا ضعيف، وأن أظهر للجميع بمظهر القوي.. حتى في نومي...

مَلا: (يأتي صوتها من الظلام) لماذا في نومك؟

روفني: لكي أخفي ضعفي حتى عن نفسي... وإلا لن أستطيع الطيران، وسأسقط على الأرض وأتمزق مزقاً. سأتكوم وأبقى حيث أنا دون قدرة على النهوض... إنني أشعر في كل لحظة من لحظاتي كأنني خارج إلى خشبة المسرح لأقدم دور الرجل القوي. لقد تعبت من التمثيل، ومن الظهور منتصب القامة، ومن أن لا أكون أنا نفسي. فأنا محاط دائماً وفي كل مكان بالمتفرجين. ليسوا متفرجي السيرك، أو متفرجي الملاهي والأندية... بل الجميع، كلكم متفرجون، كلهم يصفقون لي... (يُسمع صوت تصفيق حاد صادر عن صالة النادي) لكن الحقيقة أنهم ليسوا هم الذين يصفقون لي، بل أنا الذي أجعلهم يصفقون لي. أنا مُجبرَ على أن يُصفَّق لي. إذ عندما يتوقف هذا التصفيق فسوف يمزِّقونني... ولكي لا أمزَّق فإنني مجبَر على أن أجعل وحوشي يصفقون لي. أنتم لا تدركون

سبب رغبتي الدائمة في أن يُصفق لي. تظنون ذلك هوساً لا ينتهي، وأنانية بلا حدود. مع أنه ليس كذلك.. إني بذلك أحمي نفسي، إني مجبر على أن أبدو دائماً بقوة تستحق التصفيق كي أحافظ على روحي... فأنا أرى وجوه المتفرجين الحقيقية تحت أقنعتهم، ذئاب جائعة... كلهم كلكم.. أسمع من تحت أقنعتهم زمجرة الذئاب، وأحسُّ لهاث أنفاس الذئاب النيرانية، وأرى عيون الذئاب الملتهبة، وأسنانها اللامعة الحادة كالسكاكين، كما أرى لعابهم الحار وهو يسيل من أفواههم المستعدّة لتمزيقي. أنا لا أرى الأيدي المصفقة، بل أرى القبضات، وأرى أظافر تلك القبضات التي يومض لهيبها ويخبو، ولو أحسُّوا مرَّة بتعبي وضعفي، لهجموا علي جميعاً دفعة واحدة ولمزّقوني إرباً إربا. لو أخطأت مرَّة وتركت نفسي، واسترخيت، لو سقط رأسي على صدري، ولو تراخت يداي وأسبلتا بجانبي، لو

غَمُضَت عيناي تحت وطأة النعاس، لو زَّلت قدمي وتعثرت، عندئذ سوف يزيح الذين كانوا يصيحون قبل قليل "مرحى!" أقنعتهم عن وجوههم، وسوف يهجمون علي قطعاناً قطعاناً ليسحقوني، ليمزقوني، لينهوني... لأجل هذا كله أنا مجبر على أن أقف دائماً منتصب القامة، وأن أكون يقظاً في كل مكان.. يا له من وضع مخيف وضعي هذا....

مَلا: (يُسمع صوتها من الظَّلام) تماماً كما فعلت مع المعلم بيلوتكي... سوف يهجمون عليك هكذا...

روفني: كلا.. أنا لم أستطع أن أسيء مطلقاً للمعلم بيلوتكي، لأنه لم يدع مجالاً لذلك. حتى عندما زرته في دار العجزة، عندما كانت إحدى يديه مشلولة، وكان يسحب إحدى رجليه سحباً، كان يعرف كيف يبقي رأسه مرفوعاً. كان بيلوتكي يجاهد نفسه ليبقى منتصب القامة، وكان ينظر إلي من علٍ. حتى في حالته تلك لقَّنني أكبر

درس في الألعاب البهلوانية.

مَلا: (يُسمع صوتها من الظلام) ما هو الدرس الذي أعطاه؟

روفني: كل هذا الذي شرحته قبل قليل، كان يتكلم بصعوبة وبلسان ثقيل.

صوت بيلوتكي: روفني يجب أن تقف صحيحاً

منتصب القامة! يجب أن تبدو كأقوى ما تكون حتى في أضعف لحظاتك، وفي أضعف مكان فيك، وإلا مزَّقوك إرباً إرباً! عليك أن تخفي كونك مهرجاً مسكيناً لا يستطيع أن يخطو في حياته الحقيقية عشر خطوات دون أن يتعثَّر ويسقط ويتدحرج على الأرض، يجب أن تبدو للجميع لاعباً قوياً. خاصة للأقارب، خاصة لأولئك...

روفني: عندها برقت البارقة في رأسي: أن أجعل المهرج يؤدي ألعاباً بهلوانية كبيرة. وهكذا فإن المهرج الذي تلتفُ رجلاه ببعض فيسقط ويقوم، ويسقط ثانية. المهرج الدائم السُّقوط صار لاعب سيرك قوياً يتسلق الحبال ويقفز

فوق الأسلاك، أي صار أملاً لكل المسحوقين. هو ذا اكتشافي العظيم... عملته بما استوحيته من بيلوتكي.. أي برزت إلى الميدان. فأخفيت أخطائي وعثراتي وضعفي، وظهرت وقدّمت نفسي كرجل قوي، لكي أحمي روحي.

صوت بيلوتكي: وإلا مزّقوك إرباً إربا يا روفني... وهجم عليك أولاً أقرب المقربين إليك. هجم عليك بلا رحمة، ذاك الذي كنت تأمل منه العون.

روفني: (منهكاً) مع أنني تعب جداً، وضعيف... لقد سئمت من هذا العرض الحقيقي الذي لا ينتهي، ومن تمثيل دور الرجل القوي. إني أعاني من عدم ظهوري أمام الجميع بشخصيتي الحقيقية، بكل أخطائي ونقائصي. عيونهم عليَّ ينتظرون، وعيناي عليهم أنتظر. كلنا جاهزون.. إلى متى سأستمرُّ هكذا... دون أن تزلَّ قدمي، دون أن أتعثر، دون أن أرتجف وأترنَّح، دون أن أسقط؟ إني أنظر إلى المتفرجين الذين

يحيطون بي من كل جانب (جهاز الإضاءة سوف يضيء الأماكن التي يشير إليها روفني في الصالة. روفني يشير بيده إلى المتفرجين ويتهمهم مخاطباً إياهم بانفعال شديد) هاهم الجالسون في الصف الأمامي! الأقرب إلي، الذين يرغبون بمشاهدتي من أقرب موقع!... هاهم الذين يصرِّحون بأنهم يحبونني كثيراً!.... هي ذي زوجتي!

هاهم أصدقائي، معارفي، هاهم رفاقي! هاهي ذي مَلا! وهنا مستيني ولانفا! وهأنذا هنا! الجميع مجتمعون هنا. جلسوا في الصفوف الأمامية ليشاهدوا عن قرب، وقبل أي أحد آخر، نهايتي، ليشاهدوا تعبي وسقوطي، ترنحي واهتزازي، كبوتي وتعثُّري. ولكي تطغى أصوات تصفيقهم على لهاثهم الملتهب، يصفقون أكثر وأكثر. ولأنهم جالسون في الصفوف الأمامية، سيكونون أول من يهجم علي. (جهاز الإضاءة الذي يضيء المتفرجين ينطفئ) مع أنني شديد التعب... (يتهالك على كرسي،

ويمدُّ إحدى يديه إلى مستيني) إني أريد أن أبـدو بأخطائـي، بنقائـصي، بذنوبـي، بـضعفي، أي أبـدو كمـا أنـا، وأن أعـيش كما أنا. دعوني لحالي! ساعديني يا مَلا!

مَلا: (يُسمع صوتها من الظلام. لا تجيب روفني. بل تؤنّبه في موضوع آخر مغاير جداً) لكني كنت قد نبهّتك كثيراً من قبل...

روفني: مـا فعلتِه لأجلـي، أجـل. لكـنَّ طلـبي شـيء آخر.. ساعديني يا مَلا!

مَلا: (يُسمع صوتها مـن الخـارج مؤنّـبة) هـذا لا شـيء بعـد. إن كـنت سـتركب رأسـك هكـذا، فانظـر مـاذا سـيحطُّ علـى رأسـك بعـد...

روفني: كونـي سـنداً بجـانبي الـضعيف، لكـي لا أسقط. تحمَّلي يا مَلا!

مَلا: (يُسمع صوتها من الظلام) هذه الأمور قليلة عليك... لأنـك لا تـستمع لأي كـلام... مـاذا كـان يجري لو أنك سمعت كلامي... والآن علـيك أن تقاسـي لكـي يعـود عقلـك إلى

رأسك، لكنه لن يعود...

روفني: (يصرخ بصوت باكٍ) عامل الستارة، يا عامل الستارة! أنزل الستارة، أنزلها! فقد انتهت المسرحية!

(إن كانت المسرحية تُعرض في مسرح بلا ستارة فسوف يخاطب عامل الإضاءة، وبدلاً من "أنزل الستارة" سوف يصرخ "أطفئ الأضواء!" فيما روفني يصرخ كلمته الأخيرة، تُسمع فجأة قهقهات مَلا. تضاء الخشبة كاملاً. مَلا تصفق لروفني من خلال نوبة القهقهة).

مَلا: (وهي تقهقه وتصفق) جيد جداً، جداً... مرحى... مرحى.. خارق.. (ساخرة) قمت بالدَّور جيداً أيها المهرج... مرحى.. أحسنت.. أحسـ اااانت...

(روفني ينظر إلى ملا بعينين دامعتين. مع كلمة مَلا الأخيرة يُسمع تصفيق متفرجي النادي، وصياحهم مرحى وأحسنت، كما تُسمع الموسيقى. هذه الأصوات تعلو شيئاً

فشيئاً، ثم تخفت جميعها. روفني مازال جامداً في مكانه ينظر مجفلاً إلى ملا. ملا تنظر لحظة بتأثر إلى مظهر روفني هذا، ثم تقترب منه مشفقة) مسكين.. روفني المسكين!... مهرجي المسكين!...

روفني: (ينظر بفزع إلى مَلا وكأنها ذئبة حقيقية، ويتراجع) ماذا قلتِ؟ ها قد قبضت عليك بالجرم المشهود: كنتِ تنتظرين ضعفي...

مَلا: لا أنتظر ..

روفني: تنتظرين، تنتظرين ولكن دون أن تدركي... لتنتهزي الفرصة وتهجمي علي...

مَلا: (تقاطعه) لم أرك هكذا مطلقاً.

روفني: شاهديني إذن.. شاهديني مرَّة هكذا أيضاً.

مَلا: أعصابك تعبة هذه الليلة. هل أنت مريض؟

روفني: لأنك في قرارة نفسك تريدين أن تريني مريضاً...

مَلا: (تصرخ) كفى، كفى!... أخرج ما في نفسك، قل كلَّ ما تريد أن تقوله وأنهه...

روفني: لم تعد هناك كلمة تقال...

مَلا: لأنك لم تدع كلمة لم تقلها...

روفني: بقدر ما أنسحق، بقدر ما تكونين قد أخذت بثأرك مني...

مَلا: ثأر مَن؟

روفني: انسحاقك..

(فيما تعمد مَلا إلى إلباس لانفا رويداً رويداً وبهدوء ثيابها التي خلعتها ورمتها على الكرسي، كأنها تلعب لعبة ما، يُسمع صوت روفني الداخلي. في هذه الأثناء روفني جالس يراقب ملا وقد وضع يده على خدِّه).

صوت روفني: لكن رغبتك هذه خفيَّة بشكل، حتى عليك.. أنت أيضاً لا تعرفينها. أن أمرض، وأن لا تبقى لي قدرة على الحركة. عندها ستفتحين بابي بهدوء وتدخلين إلى الداخل... وسوف تقتربين مني وتسألينني بمحبة وإشفاق: "أتريد شيئاً يا روحي؟" وسوف تضعين يدك على جبيني الملتهب. وسوف

تجلبين كأس ماء وترفعين رأسي بيدك وتسكبين بضع قطرات من الماء في شفتيَّ الملتهبتين. بل وسوف تبكين، وأنت تظنين أنك تبكين من قرارة نفسك. فأنت تقومين بآخر واجب نحو الإنسان الذي كنت تقتلينه كلَّ يوم... وضميرك مرتاح لأنك الإنسانة الوحيدة التي أسرعت لمساعدتي.

صوت مَلا: ها قد فهمتَ آخر الأمر، أنني مفيدة لك... فأنا الوحيدة التي ساعدتك أخيراً....

صوت روفني: وآخر عمل صالح سيكون منك أيضاً.. عندها ستمحين فوراً كل خطاياك وذنوبك، وديونك، وتتخلصينَ من انسحاقك...

مَلا: أنت محكوم باليأس والعزلة... لا خلاص لك، ولن تقوم بألعابك البهلوانية حتى سنِّ السبعين.. إني أرى نهايتك أمام عيني. متقدم جداً في السن، لا أحد يعرف عن اسمك وصيتك وشهرتك... أبله مجهول تتسكع في الأزقة، وتتجول في الليالي على غير هدى

مستنداً إلى عكازك الغليظ... وسوف تتسلل إلى الأماكن التي كانوا يصفقون لك فيها بجنون. وخوفاً من أن يطردوك أو يضربوك ستختبئ حتى من النَّادلين وتتسلل مثل ظل... فإذا ما وقعت ملعقة على الأرض، وإذا ما صرَّ باب ما، أو سعل أحدهم، سوف تظنُّ أنهم يصفقون لك... فأذنك ملأى بضجيج التصفيق القديم...

روفني: وهل سأمدُّ قبعتي للمتفرجين، لكي يضعوا فيها بضع قروش...

مَلا: هذه كلها ليست هي التي ستسقطك...

روفني: ماذا إذن؟

مَلا: في اللحظة التي تفتح فيها كفَّك سائلاً، سوف ترى لاعباً شاباً قوياً يقدم عرضه، وسوف تسمع التصفيق له. عندها سوف تنتهي...

روفني: سوف تخلصين مني...

مَلا: وأنت سوف تخلص مني... لأنك لن تكون حينها، بحاجة إلى شريكة، لكني

سـأكون بجانبك في ذلـك الـوقت أيـضاً... وحينها فقط ستدرك أنني الإنسانة الوحيدة التي أحبتك. سوف تستند بإحدى يديك على عكازك، وتستند بيدك الأخرى على كتفي. (تُخرج من حقيبتها علبة دواء وتقترب من روفني بمحبة) هل ترغب في دواء؟ فلأعطك دواء مهدِّئاً...

روفني: لا أريد!...

مَلا: لكن خذ قرصاً، قبل أن تخرج لتقديم هذا العرض... فتهدأ أعصابك.

روفني: لا أريد...

مَلا: قلتَ إنه عرض حياتِك...

روفني: قلت لا أريد..

مَلا: ها قد تسربلت بدروعك ثانية، فصرت مثل تمثال فارس مدرَّع في المتاحف. (تشرب) لا تنظر إلى شربي هكذا.. بصراحة أنا خائفة الليلة أكثر من أي وقت مضى. (صمت) وأعصابك أنت متوترة جداً. خذ قرصاً مهدِّئاً، ماذا يصير..

روفني: لا أريد يا روحي...

مَلا: ولكن لماذا؟

روفني: أعصابي متوترة، أجل...

مَلا: إذن؟

روفني: (يقترب من مستيني) كان ذلك في أوائل أيام تقديمنا العروض مع هذه.

مَلا: لا أريد سماع ذكريات أيامك التي قضيتها بدوني.

روفني: (كأنما لم يسمع) كنت قد بدأت أشعر بخيانتك لي... كانت أعصابي متعبة جداً، وفوق ذلك كنتُ مرهقاً جداً. جاء بيلوتكي الكبير ليلتها سرّاً ليشاهد عرضي، وجلس بين المتفرجين. فعرفه مدير السيرك وجاء إليّ وأخبرني. ارتبكت ارتباكاً شديداً، إذ خفت من الفشل والإخفاق أمام بيلوتكي. أعطاني مدير السيرك مهدِّئاً عصبيّاً. وكان نجاحي ليلتها كبيراً. ومنذ تلك الليلة لم أستعمل المهدِّئات العصبية أبداً.

مَلا: لماذا؟ (تبدأ بنزع الثياب التي ألبستها للانفا).

روفني: لأنني لم أفهم هل كان النجاح للمهدئ العصبي، أم كان نجاحاً لروفني.. كم من نسبة النجاح كانت تخصني؟ وكم نسبة ما كنت مديناً به للمهدئ العصبي؟ وهل لاعب السيِّرك روفني هو الذي سيقدِّم عرضه هنا، ويُصفَّق له، أم المهدئ العصبي؟

مَلا: تغار حتى من الدواء. ألا تقول دوماً: إن أكبر عدو للاعب السيرك أعصابه...

روفني: أجل هكذا. فاللاعب الذي يخسر أمام أعصابه، يقع خاسراً أمام المتفرجين.

(يُسمع صوت موسيقى وتصفيق من صالة النادي. ملا نزعت الثياب عن لانفا تماماً).

روفني: (ناظراً إلى لانفا) انتهت رقصة التَّعرِّي....

مَلا: هل حان دورنا الآن؟

روفني: دورنا آخر دور... أظن أنه بعد هذا.

مَلا: بهذه الأعصاب ؟ لا تنس ما حلَّ برازون. أنت لا تفتأ تردِّد بأن ذلك الحادث حدث له نتيجة فقدانه لأعصابه...

روفني: رازون المسكين. أجل. لقد خسر أمام أعصابه، أي كان قد قرَّر الموت. (صمت) لماذا ذكَّرتني برازون الآن؟

مَلا: لكي تأخذ الدَّواء

روفني: كنت قد ذهبت إلى بيته قبل ذلك الحادث المروِّع بأربع خمس ساعات. كان قد طرأ عليه تغير محيِّر. تعرفين أنَّ رازون رجل مهمل، فوضوي، غير منظَّم. لكنَّ ترتيباً وتنظيماً فائقاً كان قد نزل عليه في ذلك اليوم. إذ راح يرتِّب وينظِّم غرفة عمله، وينظف طاولته، ويصنِّف كتبه. حتى إن زوجته سألته في حيرة "ماذا جرى لك اليوم؟" فأجابها قائلاً: "لست أدري، أحسُّ بدافع داخلي يدفعني لأن أفعل هذا..." وأثناء مغادرته المنزل نبَّه الخادمة إلى أن تقوم بالتنظيف دون أن تغيِّر مكان أيِّ شيء.

مَلا: هـل كـان هـناك ضـيوف سـيزورونه في البيت؟

روفني: أنا أيضاً ظننت ذلك وسألته فأجاب: "لا ، ولكن لكي أجد البيت مرتَّباً عندما أعود" لكنَّه لم يعد ثانية إلى بيته...

مَلا: إذن... كان يجهِّز نفسه لموته...

روفني: مـن زاويـة ، فـإنَّ لاعـبي الـسيِّرك يـشبهون الفراشات.

مَلا: لـماذا ذلـك؟ كـلام شـاعريٌّ جـداً : روفـني الفراشة... مع أنك معروف بالجراد.

روفني: ما هو برأيك أبهى طور من أطوار حياة يرقة ما؟

مَلا: لا أعرف... لم أفكِّر بشيء من هذا.

روفني: عـندما يـصير لهـا أجـنحة وتطـير ، عـندما تصبح فراشة. أنَّها تحبس نفسها في شرنقة تصنعها بنفسها لنفسها ، وتتهيَّأ للتَّجنّح والطيران. ثم تثقب شرنقتها وتطير من زنزانتها إلى فضاءات الحرية. هو ذا أبهى

طور وألمع طور... لكنَّ صيرورة اليرقة فراشة وطيرانها ينبئ بقرب موتها. لاعبو السيرك هكذا أيضاً... يصنعون من العالم زنزانة لهم، ويهيئون لمتفرجيهم أبهى عرض. لكنَّ هذا الطوْر الأبهى من أطوار حياتهم ينبئ بدنو نهايتهم.

مَلا: يا لها من أفكار سوداويَّة...

(تنفجر فجأة قهقهات من صالة النادي قهقات مائعة. هذه القهقهات ستطول وهي تكبر وتتردَّد أصداؤها).

روفني: ماذا يجري؟

مَلا: لا شيء... إنهم يضحكون...

روفني: يضحكون، ها.. إنهم يضحكون كالمجانين. إنهم يقهقهون ساخرين.

مَلا: عندما تتظاهر أنت كمهرِّج بالسقوط من الحبال فإنهم يهتاجون في البداية، ثم لا يلبثون أن يضحكوا هكذا...

روفني: ليست غريبة أبداً على مسامعي.. أنظري، كل فرد منهم يضحك بمفرده، دون أن

يسعوا للتفاهم... وكيف يصرخون... وهكذا يظنُّون أنفسهم يعيشون.

مَلا: لا يا روحي، ليس هناك حتى من يفكر بمثل هذه الأمور...

روفني: إنهم يخافون، يجب عليهم أن يسمعوا أصوات أنفسهم حتى يتأكدوا من أنهم يعيشون، لذلك هم يصرخون ويطلقون القهقهات دون توقف. والحقيقة أنهم كلهم خائفون.

مَلا: ممن سيخافون؟ أولئك ليسوا لاعبي سيرك..

روفني: كلٌّ واحد لاعب مغاير... وأولئك...

مَلا: (الصراخ والقهقهات تتزايد) نعيق إثر نعيق، كأنهم عشرات آلاف الغربان... لم أسمع سابقاً ضحكاً بهذا الضجيج.

(الضجيج كله ينقطع دفعة واحدة)

روفني: إنهم يصرخون هكذا ليتغلبوا على خوفهم، مثل ذلك الإنسان الذي يغني أثناء مروره في منطقة معتمة لكي يتغلب على خوفه... وهؤلاء هكذا يتصايحون لكي ينسوا لا شيئيتَّهم، وليثبتوا وجودهم لأنفسهم.

(يُسمع صوت المقدِّم)

المقدِّم: أيها السيدات والسادة أغنى فقرة في برنامجنا، الفقرة الأخيرة... مفاجأتنا الكبرى... (مَلا تحاول مرتبكة أن ترتِّب الغرفة، وتصفّ الحقائق، وتنظِّف طاولة الماكياج) أكبر استعراض لهذا العام، وليس لهذه الليلة فقط...

روفني: هيا يا مَلا، أسرعي... (مَلا ترتب الغرفة بارتباك)

المقدِّم: أكبر ثنائي لاعب في العالم، الثُّنائي الذي يقطع أنفاس المتفرجين...

روفني: يجب أن ندخل يا روحي، دعي تلك الأمور الآن..

مَلا: انتظر، فلأرتِّب هنا قليلاً، إني قادمة...

المقدِّم: اللاعبان اللذان سيثيران عاصفة من الهيجان...

روفني: (بحدَّة) دعي تلك!..

مَلا: الآن...

(روفني يخرج من الباب)

المقدّم: المرأة المطّاطيّة ملا، والرّجل الجراد روفني...

روفني: (مادّاً رأسه من الباب) هيا يا مَلا!

مَلا: فلألملم ها هنا قليلاً... انظر كل شيء مبعثر...

المقدّم: سوف يقدمان لكم هذه الليلة أروع وأكبر استعراض لهما في حياتهما...

(يدخل روفني، ويمسك بمعصم مَلا ويسحبها رغماً عنها).

مَلا: (أثناء خروجها) تركت كل شيء مبعثراً..

(روفني ومَلا يخرجان)

المقدّم: والآن نصفق محيّين الثنائي الخارق مَلا وروفني.

(تصفيق حاد. يظهر على الشاشة البيضاء الفيلم الذي كان في بداية الفصل الأول: مَلا وروفني يقومان باستعراض على الخشبة. تُسمع بين الفينة والفينة صيحات

المتفرجين المتوتّرة. في نهاية الفيلم تحلُّ مَلا شعرها من العلاّقة، وعندما ترمي بنفسها في الفراغ باتجاه روفني يُسمع صراخها).

مَلا: (تصرخ): أمسك يدي يا روفني!.. (يتردَّد صدى هذا الصُّراخ)

روفني: (بصوت واثق وهادئ) هاتِ يديك يا مَلا...

(فيما يتعالى إيقاع صيحات المتفرجين التي كانت في بداية الفصل الأول، يسود صمت مفاجئ).

الفصل الثالث

غرفة في فندق قديم ومهمل في بلدة صغيرة. الأثاث قديم ومهلهل. الوقت ليل. يبدو روفني ومَلا متعبين جداً في هذا الفصل. لباسهما غير متناسق أبدا. ثيابهما متغيِّرة وقديمة. مرَّ زمن غير معروف بين الفصل الثاني والفصل الثالث، لكنهما مازالا في حالة يستطيعان معها القيام بألعاب السيرك. ترتيب الغرفة جميعاً وأماكن الأثاث والموجودات كلُّها بعكس ما كانت عليه في الفصل الأول تماماً. تُفتح الستارة على غرفة مظلمة، غير مضاءة. يدخل روفني وهو يحمل بجهد حقيبة سفر ثقيلة. تصدر ضجَّة تدلُّ على أنه تعثَّر في الظلام وترنَّح.

روفني: مَلا ، مَلا... أضيئي هذا المصباح أرجوك.

مَلا: (تدخل وفي يدها حقيبة) أين زرُّ الكهرباء؟ (تبحث) إني لا أراه...

روفني: ليقبره الله.. أيُّ فندق هذا! (مَلا تضيء المصباح) ليس لديهم عمال لحمل الحقائب.

(روفني يضع حقيبة السفر ويخرج. مَلا تخلع معطفها ، وتضعه على مسند الكرسي. تجلس. تخلع فردة حذائها المبلَّلة ، وفيما هي تعاينها ، يدخل روفني وهو يحمل حقيبة سفر أكبر).

روفني: حذاءاي تبلَّلا أيضاً ، وقدماي تجفَّان في الماء جفّاً. (يخرج يحضر علب الأجهزة. يخلع معطفه ويعلقه. يجلس على الفراش يمسح جبهته) أف... تعبت كثيراً (يخرج من الحقيبة زجاجة شراب) فندق قذر.. والحقائب ثقيلة جداً... (يتناول كأساً) هل ستشربين؟ (مَلا تنفجر فجأة بضحكات عصبية. ضحكات هستيرية. ضحكاتها تتزايد. روفني ينظر إليها مدهوشاً) ما هذا؟

علامَ تضحكين؟ (روفني يشرب. مَلا مستمرة في نوبة الضحك الهستيري وجسمها يهتز) ما الداعي للضحك، هل حدث شيء هزلي؟ (لا يتَّضح فيما إذا كانت مَلا تضحك أم تبكي) قولي ماذا حصل!... (القهقهات تنقلب إلى شهقات روفني يصرخ) قولي! ماذا هناك؟

مَلا: (تنهض.. عيناها مبلَّلتان) إني لا أضحك... هل أنا أضحك؟

روفني: كنت تطلقين القهقهات...

مَلا: (كأنها تهذي) كنت أضحك إذن...

روفني: لماذا ضحكت؟

مَلا: لا شيء... روفني الكبير الذي لا تسعه الدنيا!... اللاعب المعلم الذي يظن أنه يطير من قطب إلى قطب أثناء قفزه من منصة إلى منصة.. الأكروبات الذي يقطع الأنفاس.. (تجلس) هو ذا المكان الذي وقعنا فيه أخيراً.. هذا الفندق القذر في بلدة صغيرة غير معروفة الاسم... (تبكي)

روفني: ما المضحك في هذا؟

مَلا: إني أضحك، أليس كذلك؟ أريد أن أفعل شيئاً، لكني لا أعرف ما الذي أريد أن أفعله.

روفني: كما أنتِ في كل وقت...

مَلا: أنتَ كنت تعرف، فماذا حصل.. ها نحن كلانا هنا الآن.

روفني: لماذا تعتبرين هذا عبئاً ثقيلاً! نحن بقينا كثيراً في مثل هذه الأماكن.

مَلا: لا تحاول أن تخدع نفسك... (روفني يشرب) أجل، لكن تلك الأزمنة ولّت، وصارت من الماضي البعيد.

روفني: تتكلمين وكأن كل شيء قد انتهى... (صمت)

مَلا: لم نستطع مشاهدة هذه البلدة في وضح النهار.

روفني: لدينا وقت طويل.. غداً تتجوّلين فيها طوال النهار وترينها.

مَلا: ماذا فيها للتجوال والرؤية. إنها بلدة صغيرة.. متى سيبدأ العمل؟

روفني: لم ينصبوا الخيمة بعد. قالوا خلال يومين آخرين.

مَلا: (تتناول الزجاجة والفتَّاحة، وتصعد فوق كرسي، تنقر بالفتَّاحة على الزجاجة فتصدر أصواتاً، وتبدأ بالمناداة مثل المنادي): تفضلوا أيها السيدات والسادة، تفضلوا.. المرأة المطاطية مَلا، والرجل الجراد روفني في الداخل!... الأكروبات الطائر... تفضلوا، تفضلوا.. تفضلوا... أدخلوا وشاهدوا، ماذا يوجد في الدنيا، ماذا يجري... (تتكلم بشكل عادي) أنت؟ في خيمة مسرح جوال؟ وفقرة بين فاصلين...

روفني: (يصرخ) كفى!.. (يشرب)

مَلا: لماذا لا تخبرني كم سيدفعون لنا؟

روفني: مالاً؟

مَلا: نعم، مالاً.. ألم تسمع؟ كم من المال سنتقاضى؟

روفني: كم هو غريب... أنا لاعب سيرك طوال هذه السنين، ولم أفهم حتى اليوم لماذا كانوا يدفعون لي مالاً على ألعابي..

مَلا: وماذا كان سيحدث، هل كنا سنقدِّم ألعاب سيرك دون أن نتقاضى مالاً؟

روفني: لم أقصد أن أقول هذا. أنا أؤدي ألعاب سيرك، ألعاب سيرك.. أؤديها من أجل نفسي، أؤديها لأنني أحبها، لأنني أُسعَدُ بها. لأنني لا أريد أن أعمل عملاً آخر...

إني أستغرب لماذا كانوا يدفعون لي مالاً على عمل أعمله لأنني أرغب في عمله.

مَلا: أنا أسألك كم سنأخذ مالاً هنا.

روفني: وأنا أوضح لك ذلك. يجب علي أن أقدم لهم الشكر لأنهم أتاحوا لي فرصة تقديم ألعاب بهلوانية.

مَلا: لا تحزن أبداً إذن. فتلك الأيام قادمة على أي حال... الأيام التي لن يعطيك فيها أي سيرك عملاً...

روفني: أتوسل إليهم حينها. بل إني أدفع لهم مالاً إن وُجد معي. ولكن لا يمكن تسلق الأجهزة بالتوسل...

ملا: فهمت، فهمت... حسناً، ماذا سيدفعون هنا؟

روفني: كلا، أيضاً لم أستطع إفهامك... انظري، أيُّ شيء هو هذا: إنه مثل المتعة المتبادلة التي يحصل عليها الرجل والمرأة حين يمارسان الحب... ولم أفهم مطلقاً لماذا يجب على الرجل أن يدفع مالاً للمرأة مقابل ذلك. أنا أستمتع، ولأنني أستمتع أقدم ألعاباً بهلوانية. ولم أفهم طوال هذه السنوات لماذا كانوا يدفعون لي مالاً إضافة إلى متعتي.

مَلا: جيد جداً... في هذه البلدة، وفي خيمة بالية مهترئة ممزَّقة مرقَّعة... في خيمة مسرح جوَّال من الدرجة الخامسة... ولن نتقاضى مالاً... من أجل المتعة... كم من المال لديك في جيبك؟ ليس لدينا ما نسدِّد به أجرة الفندق.

روفني: كفى، كفى! يا كلبة البحر... يا كلبة بحري...

مَلا: أأنا كلبة بحر؟ (ترتدي معطفها فوراً).

روفني: (عندما تتوجه مَلا إلى الباب لتغادر) تنتظرين فشلي وخسارتي وجرحي... تريدين أن تشاهدي فشلي.

مَلا: أنت مجنون... أنتظر خسارتك أمام من؟

روفني: أمام نفسي. وكيف تثأرين مني وتتشفين بي لأني وقعت على هذه البلدة وفي خيمة مسرح جوّال... ولم يبق إلا أن تري دمائي السائلة من جراحي لكي تهجمي علي وتمزقيني... لكي تتهيّجي وتجنّي وتهجمي علي... هذا ما كنت تريدينه.

مَلا: (فيما كانت قد فتحت الباب، تغلقه وتعود): لا أريد، لا أريد شيئاً من هذا.

روفني: تريدين، لكنك لا تعرفين أنك تريدين.

مَلا: (تخلع معطفها وتعلقه على مسند أحد الكراسي): كلا، كلا... ألا ترى أنني معك في هذه الأنحاء... لا أريدك أن تفشل.

روفني: لأنك لا تستطيعين التخلص مني بطريقة

أخـرى. يـا كلـبة بحـري، لـن تـستطيعي الـتخلص مـني إلا بـأن تمـزّقيني وتأكلـيني. ولكـي تـتمكني مـن ذلـك يجـب أن أقـع خاسـراً مثخـناً بالجـراح. حـين يختلّ توازنـي أثـناء العـرض يـوماً مـا... اهجمـي علـي... بعينيك... ومزّقيني بنظراتك...

مَلا: هذا ليس صحيحاً... أنا من تخاف السقوط.

روفني: سيكون ذلك أفضل حينها... نسقط كلانا سوية ونتخلص. قد لا نموت فوراً. فنراقب دماءنا التي تسيل من حيث نستلقي. لا أريد أن أرى امتزاج دمائنا ببعض. ربما لن يكون لدينا مجال للحركة أو للكلام... عندها سوف يبصق أحدنا على الآخر بنظراته من حيث نستلقي...

مَلا: لماذا تكرهني لهذه الدرجة، لماذا؟

روفني: لـيس كـثيراً جـداً... أقـل قلـيلاً ممـا تكرهينني أنتِ.

مَلا: (ترتدي معطفها وتتجه نحو الباب) لا حاجة لأن تؤكد كراهيتك لي، فإني أعرف ذلك منذ سنوات...

روفني: إلى أين؟

مَلا: لا أعرف، إني ذاهبة...

روفني: إلى أين أنت ذاهبة؟

مَلا: قلت لك لا أعرف... إلى أي مكان كان... العيش هكذا لا يطاق. لا أستطيع تحمل هذا. أود أن أرمي بنفسي إلى ليل الأزقة لكي أتخلص من برودة عتمة وحدتي. سأسير في برودة الليل الأسود. (تفتح الباب)

روفني: لا جدوى من أن تجربي مرَّة أخرى شيئاً جربته كثيراً سابقاً. (يمسك بيد مَلا بتقدير ويعود بها، وينزع عنها معطفها) جربتِ هذا كثيراً.

مَلا: (بيأس) أجل، جربت... غير مجدٍ.

روفني: لقد رأيت عدَّة مرات أنني فقدت كل شيء وأنت بعيدة عنِّي... لا أتهرَّب من الاعتراف بهذا.

مَلا: (تجلس) وأنا هكذا أيضاً... (صمت) لم أفعل ما يزعجك... لماذا انزعجت مني؟

روفني: (بأسى) جربتك كثيراً يا ملا، ففي اللحظة التي كنت فيها في أشدّ الحاجة إليك، وبينما كنت أنتظر الدَّعم منك... كنت تضربينني في أضعف نقطة فيَّ... تصرفت هكذا دائماً، كأنك عدوة لي. وهكذا كنت أرى نفسي مجبراً على الدفاع عن حياتي كلها، وعن خمس وأربعين سنة من عمري والأصعب بكثير من الدِّفاع عن النفس... إنني لكي أحمي نفسي، لم أكن أفكر فيما أرميه وألقيه على مَن أمامي.

مَلا: ماذا فعلت لك، لكي تدافع عن حياتك؟ متى جرحتك في أضعف نقطة فيك؟

روفني: لا يمكن لأحد من اللاعبين القدامى أن يشعر بالمرارة التي أشعر بها وأنا أقدم ألعابي في خيمة مسرح جوَّال... نحن في بلدة لم نسمع باسمها... في غرفة فندق رديء... ولا مال في جيوبنا... في هذا الظرف تضحكين مقهقهة. في حين أنتظر منك الدعم والتشجيع... لماذا، لماذا؟

مَلا: (متأثرة) لكني لم أكن أضحك... كنت أبكي. ولكي لا يبدو عليَّ البكاء تظاهرت بالضحك هكذا... (صمت) لكن كراهيَّتك لي حقيقة؛ وإلا كيف كنت لتلفظ تلك الكلمات لو لم تكن تكرهني في أعماقك! إنك تكرهني.

روفني: وأنت كذلك...

مَلا: ربما كان إحساساً آخر... كيف سنتخلص؟

روفني: ممَّاذا؟

مَلا: من بعضنا، أو من هذا الشعور الغامض... هل فكرت بهذا؟

روفني: كثيراً... فكرت كثيراً فيما إذا كانت كراهيتنا المتبادلة هذه هي الوجه الآخر للحب. ربما نحن لا ندرك أننا نحب بعضاً كثيراً جداً. ربما كان هذا الشعور الذي بداخلنا هو الدليل السلبي في الطرف الآخر للحب... مثل ذلك الإنسان الذي يريد أن يعيش الحياة مليئة بكل ما فيها، فيقتل

نفسه تحت وطأة الإحساس بأنه لا يعيشها كما يجب...

مَلا: لم أكن أريد أن يحدث هكذا... لماذا صار هكذا، لماذا؟

روفني: هاقد سُررت الآن كثيراً...

مَلا: لأي شيء؟

روفني: لأنك فكرت بهذا، لأنك تساءلت لماذا...

مَلا: وهل فكرت كثيراً بهذا الموضوع؟..

روفني: كثيراً جداً، بحيث تعبت من التفكير به... إن تعاستي نابعة من محاولتي الوصول إلى السعادة... وما لم يتيسَّر هذا الجو لا أستطيع العمل، وما لم أعمل أتعب... (يشرب)

مَلا: لماذا، طيِّب، لماذا نحن لسنا سعداء؟

روفني: لأن لكل شيء مقابله، وللسعادة كذلك... فإذا ما حققنا السعادة بمقابل أكثر بكثير أو أقل بكثير مما تستحقهُ تنقلب إلى تعاسة. لقد دفعت باهظاً ثمن أقصر لحظات

السعادة التي بالكاد تقاس، وأسعى جاهداً لكي لا أضيِّعها. أما أنت؟ فلن تفهمي سعادتك ما لم تنزلق وتفلت من بين يديك، ما لم تضيِّعيها... لأنك حصلت عليها بسهولة، كأنك عثرت عليها في الطريق دون أن تدفعي مقابلها بتاتاً، أو بدفع مقابل ضئيل جداً...

مَلا: بالنسبة لي، السعادة ليست هذه... السعادة شيء يحدث تلقائياً من ذاته دون أن يكون لنا يد فيه... مثل النُّعاس وأشعة الشمس، والدفء، وفرح ما بعد هطول المطر، أو مثل خطرات النسيم...

روفني: ما تحصلين عليه تلقائياً دون عناء لا يكون لك... ما الذي كسبناه؟ إن لم أستطع أن أتجاوز نفسي بالتَّجديد في الألعاب البهلوانية، وإن وقعنا في خيام مسارح جوالة في بلدات ثانويَّة، ونحن نعيد ونكرر عروضنا القديمة...

مَلا: (مقاطعة كلامه) أنا المذنبة أيضاً، دائماً أنا المذنبة... أليس كذلك؟ أنا السبب في كل

ما هو سيء... لا تبدأ ثانية... (روفني يشرب) هل كنتَ هكذا سابقاً؟ ماذا كنتَ تفعل عندما كنا نحلُّ في مكان جديد، في فندق جديد؟

روفني: ماذا كنتُ أفعل؟

مَلا: كان تعليق إعلاناتنا على جدران غرفتنا في الفندق أول عمل تقوم به. أما الآن؟ أنت ترى، أن الذَّنب ليس ذنبي...

روفني: ولكن ليس على جدران غرف مثل هذا الفندق... ولكن ليس في مثل هذه البلدات الثانوية البعيدة... (يُخرج من الحقيبة تفاحة يضعها على الطاولة. يشرب)

مَلا: أنت تشرب كثيراً.

روفني: وأنتِ لا تشربين البتة.

مَلا: لست خائفة، إذ لا عرض لدينا اليوم؛ فلماذا أشرب...

روفني: ولذلك أنا أشرب (يربط إلى الجدار ملصقين أخرجهما من حقيبة السّفر. الملصقان قديمان وممزَّقان. يربط كذلك قطع الأوراق الممزَّقة المتدلّية من الملصقين).

مَلا: لا أعرف لماذا غادرنا تلك المدينة الجميلة، كانت كبيرة جداً، وكان عملنا جيداً... لماذا جئنا إلى هنا؟

روفني: لماذا تسألين؟

مَلا: لأنك لم تقل لي...

روفني: تسألين وأنت تعرفين أنني أخفي عنك. تريدين أن تسمعي من فمي اعترافي بخسارتي. اعرفي إذن وافرحي يا كلبة البحر، طردونا... (يشرب، صمت) كم قلت لك أن الناس يملّون وأنه يجب علينا أن نجدد، وأن نقدّم أشياء جديدة. لكني لم أستطع إفهامك. (يشرب) لماذا كنت أقول لك وأردّد بأنه يجب علينا أن نبدأ كل شيء من جديد...

(يرتدي معطفه ويتجه نحو الباب)

مَلا: ما هذا؟ هل أنت ذاهب؟

روفني: أجل...

مَلا: إلى أين؟

روفني: إلى التَّسوُّل... أما قلتِ ذلك... سأذهب إلى المدن الكبرى للتسول... سأمرُّ على الملاهي والأندية التي كانت تضيء اسمي في الأزقة بالأضواء الملونة... "صدقة صغيرة للاعب سيرك قديم!" إني ذاهب

مَلا: هباء... مازالت أمامك بضع سنوات إلى أن تسقط بهذا الشكل، (تذهب إليه) حتى في ذلك الحين لن أتركك، ولو طردتني...

روفني: لماذا نخفي ما في دخائلنا؟ ألن نفترق يوماً ما على أية حال؟

مَلا: (تملأ الكأس مشروباً وتناوله لروفني): لا تنسَ الآن ما كنت تردّده عليَّ دوماً: الهروب ليس خلاصاً!

روفني: (يشرب. ينزع معطفه ويرميه) لأنك تريدين أن تكوني أنت التي تتركين وتغادرين أولاً... لأنَّك لا تريدين أن تكوني متروكة...

مَلا: بعد الوصول إلى نقطة معينة يستطيع الجميع أن يفترقوا عن بعض. المفارقون أكثر من غير المفارقين...

روفني: لكن أولئك يستطيعون العيش بمفردهم، أو العيش مع شخص آخر، يستطيعون نسيان بعضهم بعضاً...

مَلا: وهنا تكمن الصعوبة الكبرى: نحن لا نستطيع أن ننقطع عن بعض... لو استطعت المغادرة قبل قليل، لكنت عدت بشكل ما؛ كما عدتَ أنت الآن... كل شيء يربطنا ببعض... كل شيء أو شيء واحد... لكن ليتنا نعرف ما هو؟

روفني: هناك أزواج تعساء جداً، لكنهم لا يستطيعون الانفصال لوجود أولاد لديهم.

مَلا: يستطيعون الانفصال عندما يكبر أولادهم ويستقلون عنهم... ما يربطنا ليست مشاعر الأبوَّة والأمومة.

روفني: هناك أزواج مرتبطون ببعض لمكاسب مادية يحققونها، لذلك لا يستطيعون الانفصال عن بعض.

مَلا: أولئك أيضاً يستطيعون التَّخلُّص من بعض، عندما يستطيعون تأمين هذه المكاسب بمفردهم في مكان ما.

روفني: ما الذي يربطنا نحن إذن؟ أهو الاعتياد الذي لا يمكن التَّخلي عنه؟

مَلا: لو كان كذلك لاعتاد أحدنا الآخر.

روفني: لو كان رابطاً جنسيًّاً... فإن الأحاسيس الجنسية تخبو بعد فترة من الزمن.

مَلا: هذا الإحساس الذي يزداد ويطفح يومياً!... أيمكن أن نكون مشفقين على بعض؟

روفني: كنت أشفق عليك في البداية...

مَلا: (منفعلة) لماذا؟

روفني: كنت أعرف أنك ستنفعلين من كلامي هذا. لكني قلت الحقيقة، في سنواتنا الأولى كنت أشفق عليك ..

مَلا: أقول لك لماذا؟

روفني: لأنك لم تفعلي ما فعلته من إساءات وأنت تدركين وترغبين بالإساءة إلي. كما لا تعرف النار أنها حارقة، وكما لا يعرف الماء سيلانه... لكني أدركت مع مرور الوقت أنك لا تتأثرين لي. أنتِ أردتِ قتل روفني...

مَلا: لا شيء من هذا صحيح...

روفني: يعني قتل بهلوانيَّة روفني... لكن روفني لا يستطيع العيش بدون ألعابه البهلوانية... وتنجحين بذلك... فأنت تقتلين لاعباً رياضياً شيئاً فشيئاً. لقد أوقعته أخيراً في مكان ورحت تسخرين منه، أوقعته في خيمة مسرح جوَّال يتجول لمدَّة محدَّدة. فلماذا أشفق على من قلَّلتني ومازالت تُنقص منِّي كلَّ يوم دون أن تشفق عليَّ؟ كلا، كلا، ليست الشفقة ما تربطنا إلى بعض... لا أنت تشفقين عليَّ، ولا أنا أشفق عليك... (صمت)...

مَلا: هناك خطأ ما: شخصان من جنسين مختلفين، يقاسيان إزعاجات كثيرة، لكي يزعج أحدهما الآخر، وليس بإمكانهما أن يتصرَّفا بطريقة أخرى. هذان هما الزوج والزوجة...

روفني: أجل هناك خطأ ما... إذا كانت الزوجية احتياج الجنس للجنس الآخر دون أن يكونا صديقين وحيدين، فهذا خطأ [illegible] هذه الوحدة التي لم يعرفا قيمتها! سيفتقدانها يوماً ما على أية حال...

مَلا: أسرع إذن، واذهب إلى وحدتك، لمَ أنت واقف؟...

(تتقدَّم من روفني بخطىً واثقة، وتقف عند رأسه) لماذا تريد أن تنتحر؟

روفني: (بارتباك وخوف) لم أفهم، من أين طلعتِ بهذا؟

مَلا: (بصوت مقرر) أجبْ رجاءً: لماذا تريد أن تنتحر؟ قليلاً قليلاً، وشيئاً فشيئاً كلَّ يوم... وتريد أن تستعملني سمّاً لك...

روفني: (ينهض) برأيي أن الإنسان إذا لم يستطع أن ينجز الأعمال التي وعد بإنجازها، وإذا فقد أمله في إمكانية إنجازها، فإنه يموت في كل يوم يمرُّ.

مَلا: وعد؟ لمن قطعت وعداً؟

روفني: لشخص لا أستطيع تجاهله وخداعه: لنفسي.

مَلا: كيف يمكنك أن تتكلم هكذا؟ لقد ازدانت أزقّة أكبر مدن العالم بإعلاناتك،

وأضيئت الشوارع بالأضواء التي تكتب اسمك؛ أصحاب السيركات لم يستطيعوا اقتسامك. في تلك الأزمنة أيضاً كنا زوجين...

روفني: تلك أمور كانت قبل سنوات عديدة... منذ القديم الذي يكاد ينسى. أين، هل هناك شيء جديد؟ إن اسم أيٍّ لاعب يدوم بقدر دوام صوت التصفيق. عندما تنقطع أصوات التصفيق، اسمنا أيضاً يصبح عدماً. أين هو روفني؟

مَلا: لقد فعلت بمفردك، ما يمكن أن يفعله عشرة لاعبين ناجحين طوال عمرهم، مع ذلك لم تشبع...

روفني: لأنني أعيش...

مَلا: الحقيقة أنك تعبت جداً... ارتح فترة يا روفني...

روفني: أرتاح؟ لو كان لدي أمل بفعل أشياء جديدة، لو كنت محبوباً، لارتحت لأستجمع قواي... أما الآن؟

مَلا: أنت لست فقط أحد أكبر اللاعبين في العالم، بل أنت أكبر مغفل في العالم كذلك... رغم مرور كل هذه السِّنين، لم تعرف حتى الآن كم أحببتك، كم أحببتك كثيراً...

(متضايقة، تذهب وتجلس على الكرسي الذي أمام الحائط، والذي نهضت عنه قبل قليل)

روفني: (يتناول تفاحة من فوق الطاولة، ويذهب بها إلى ملا): هل تأكلين؟(يضع التفاحة على التَّرابيزة ثـ مَلا تبعد التفاحة) أعرف أنك تحبينني، لم أشك في ذلك أبداً.

مَلا: إذن؟

روفني: أنت تفهمين الحياة والحب بشكل مغاير لما أفهمه.

مَلا: ما هو مفهومك؟ حتى أنت لا تعرفه... لماذا أنت شخص متضايق لهذا الحد؟ ماذا تريد أن تفعل؟

روفني: هل تسألين ماذا؟ شرحت لك ذلك على الدوام... أريد أن أكون جديراً بالموت. كل

إنسان يموت. لكن كم منهم من هو جدير بالموت، ساعديني كي أعيش عيشة من يستحقّ الموت عن جدارة... ودعيني أساعدك عيشي لكي تستحقي الموت بجدارة...

مَلا: وماذا يمكنني أن أفعل غير ذلك، إني لا أعرف... (صمت) حين يتهيأ المرء للنوم، وبين الصحو والغفوة، يحدث أن يشعر أحياناً بأن قدمه قد زلت وسقط في الفراغ، فيقفز فوراً كردَّة فعل. هذا الإحساس بين الصحو والغفوة لا يستغرق حتى ثانية. لكني أعيش في هذه الحالة المرعبة منذ سنوات وسنوات. ردَّة الفعل هذه مستمرة في داخلي بلا انقطاع. كأنني في طائرة ترتفع في الفضاء نحو النجوم، وإذ بالأرضية التي أدوس عليها تنزلق فجأة من تحت قدمي وتختفي. فأهوي في فراغ وحدتي بلا توقُّف إلى داخلي، إلى أعماقي المخيفة. غصن محبَّة أتمسَّك به...

روفني: غصن محبة تتمسَّكين به... تطلبين شيئاً جميلاً. وهذا ما أطلبه أنا أيضاً، وما لم تعطني إياه في أي وقت من الأوقات... تخيَّلي

أننا سوف نتقدم بعد قليل عرضَنا فوق الحبال على ارتفاع عشرة أمتار. قذفت بنفسك في الفراغ، مرتمية نحوي... لكنك لم تمدي يديك إلي لكي أمسكهما... محبة تتمسكين بها... إن لم تمدِّي يديك فكيف تتمسَّكين؟

مَلا: كأني أعيش كابوساً في الحلم... أودُّ أن أقطع وأُدمي قطعة من جسمي، أرغب في أن أحرق روحي لكي أدرك بأني أعيش ولا أحلم. أريد أن تحرق حرارة دمي برودة جلدي..

روفني: إذا لم تعطي يديك، أقول... هاتي يديك... عندها تصبحين أنتِ من أبحث عنها، وأصبح أنا من تبحثين عنه. عندها لا يبدو وجهانا وأيدينا وكلامنا غريباً عنا كما الآن...

(يقفان متباعدَين. صمت طويل)

روفني: (يشرب) فيم تفكرين؟

مَلا: لا شيء...

روفني: لا يمكن للمرء أن يفكر بمفرده... هل تفكرين في شيء لا تستطيعين البوح به لي؟

ملا: إنك تغار حتى من تفكيري وتصوُّراتي...

روفني: لأنه لا فرق لديَّ بين التَّصور والعمل. الضعفاء فقط لا ينجزون تصوُّراتهم. والخيانات كذلك. لا فرق بين التفكير في الخيانة، والقيام بفعل الخيانة. الذين يحققون أفكارهم، أية الخونة، أناس أقوياء، على الأقل... قولي، فيم تفكرين؟

مَلا: هل أهمك ذلك كثيراً؟ كنت أفكر فيك؛ أفكر في تغيُّرك الكبير... عندما كنا نأتي سابقاً إلى مكان جديد، إلى فندق ما، ماذا كنت تفعل أوَّل ما تفعل؟

روفني: كنت أعلّق الإعلانات، وهاقد علّقتها...

مَلا: وبعد؟ ماذا كنت تفعل بعد ذلك؟

روفني: ماذا كنت أفعل؟ لا شيء...

مَلا: نسيت اليوم أن هناك شخصين آخرين غيرنا موجودان في هذه الغرفة... وأن كليهما ينامان في زنزانتيهما. عندما كنا نأتي إلى فندق ما، كنت تعمد فوراً إلى تحريرهما.

روفني: فعلاً، لقد نسيت مستيني ولانفا. (مُخرجاً مستيني ولانفا من علبتيهما)

مَلا: نسيتهما... هذه أول مرة تنساهما.

روفني: (يُخرج مستيني من علبتها، مستيني مكسورة، صارت قطعتين): آآآآ!

مَلا: ماذا هناك؟

روفني: لقد كُسرت... (تسقط القطعتان على الأرض)

مَلا: واخ واخ، لقد تأثّرت... لا ريب أنك ستقيم حفلاً جنائزياً كبيراً لحبيبتك.

روفني: (يُخرج لانفا من علبته، لانفا مكسور): هَهْ... بندوقك مات كذلك...

مَلا: (مائلة على لانفا): حدث هذا في القطار. قلت لك أن لا نضعه في عربة الحمولة، وأن نتركه معنا. (العجلة الصغيرة في يدها) نصلحه.

روفني: (يضع قطعتي مستيني على الفراش) ألم يمت صغيرك المسكين؟

مَلا: لن يموت قبل أن أموت. هو لا يموت إلا بموتي، لأنه يعيش في عقلي فقط...

روفني: هذا ما قصدت قوله قبل قليل: لا فرق بين فعل الخيانة وتخيّل الخيانة...

مَلا: قل بصراحة ما تريد أن تقوله!

روفني: بندوقك لانفا هذا هو ابن الخيانة التي فكرت بها، ولم تفعليها لكونك ضعيفة...

مَلا: إنه ليس شيئاً بالنسبة لي، إنه مجرَّد لعبتي.

روفني: وذكرى حبك الكبير، وخيانتك لي...

مَلا: كذب! لكم أنت إنسان متشكّك، وكيف تقنع نفسك!

روفني: أنا لا أقنع نفسي، أنا مؤمن بهذا.

ملا: هذا مخيف أكثر! أن تؤمن بكذبة اختلقتها بنفسك...

روفني: عندما كنت أقول سابقاً إن لانفا "بندوق الخيانة!" لم تكوني تعارضين، كنت تسكتين وكأنك تقرّين بذلك، فما بك تعارضين اليوم؟

مَلا: كنت أسكت دوماً لقناعتي بأنه حتى الدفاع عن شرفي كان سيمس كرامتي. كنت أخجل من أن أثبت لزوجي كوني شريفة. أما الآن... فإني أرى أنه ربما كانت هذه الكذبة التي اختلقتها هي سبب ضيقك كله...

روفني: خنتني! ودون أن تخفي عني، أحببت دليل خيانتك لأنفا أكثر مني.

مَلا: تغار من ولدك، ولدك الذي لم يولد...

روفني: ذاك ليس ولدي...

مَلا: لكم تتكلم بشكل حاسم! حسناً، قل إذن: متى، وأين، ومع من؟ هيا اختلق اسماً، اختلق زماناً ومكاناً. لن أدافع عن نفسي أبداً. سأخرج من هنا وأغادر فوراً. ولن نرى بعضنا مرَّة أخرى، فلتنحل هذه العقدة المستعصية. قل: مع من وأين؟

روفني: قلته لك كثيراً، وضربته في وجهك دوماً...

مَلا: متى؟

روفني: ألم أقل لك أنه بالنسبة لي لا فرق لدي بين فعل الخيانة، وتخيُّل الخيانة؟ لانفا ابن الخيانة التي تخيَّلْتِها في مخيلتك...

مَلا: أنت جننت... لانفا ابنك وابني، ابننا. مات المسكين قبل أن يولد... كيف تجرؤ على مثل هذا الكلام وأنت تعرف كل هذا؟

روفني: كما أعرف أنك تفكرين بشخص آخر وأنت بين ذراعيَّ...

مَلا: اسكت، كفى! لكي يفكر الإنسان مثل هذا التفكير السَّيِّء، لابد أن يكون قد فعل بنفسه الأشياء السيئة نفسها... وإلا لا يمكن تخيُّل هذا. لتنته هذه المسألة، لنفترق...

روفني: لنفترق... (صمت) مع ذلك أريد أن أعرف.

مَلا: (أثناء ارتداء معطفها) ما الضرورة لذلك، ما الفائدة سواء عرفت بعد الآن أو لم تعرف...

روفني: أريد أن أتخلص من هذا الهم الذي يحرق جوفي مثل نار متَّقدة لا تنطفئ.

مَلا: ما الذي تودُّ معرفته؟

روفني: عندما كنت أطلب منك التخلص من الأجنَّة السابقة التي في بطنك، كنت تنامين في المستشفى وتجرين العمليَّات دون أي اعتراض. أما عندما حملت بهذا الأخير، بلانفا أصررت على إنجابه. لماذا؟ رغم أن الأطباء حذَّروك من أن في ولادتك خطراً كبيراً عليك. حتى الموت وضعتِه نصب عينيك. ما هذا الحبُّ الكبير الذي جعلك تضعين الموت نصب عينيك؟ لكن لم تستطيعي أن تلدي... عندما أسقطت جنينك أثناء العرض، حملناك إلى المستشفى، وأنقذنا حياتك بصعوبة. أنت لم ترتبطي بذكرى أيِّ واحد من أجنَّتك السابقين، فلماذا ارتبطت لهذه الدَّرجة بذكرى هذا البندوق الذي سميته لانفا قبل أن يولد.

(روفني يجلس متعباً).

مَلا: (سوف يزداد تأثُّرها كلما شرحت. وعندما تنطق جُمَلَها الأخيرة تجلس على الأرض عند

ركبتي روفني، وتستند بيديها على ركبتيه). في حمولاتي السابقة على حملي بلانفا، لم يكن يصعب عليَّ التَّخلي عن الجنين، لأني كنت أعتقد أنه سيأتي عليك يوم سوف ترغب فيه أنت أيضاً في أن تكون أباً، بقدر ما أريد أن أكون أمَّاً. بهذا الأمل كنت أذهب إلى المستشفى عندما كنت تطلب مني التخلص من الحمل.لكن عندما تخلَّصت من حملي الأخير أخبرني الأطباء بأن الحمل سيكون خطراً جداً عليَّ من الآن فصاعداً. عندها تحطَّمت آمالي كلها، ولم يبق للحياة أي معنى. ألعابك البهلوانية تربطك بالعالم، أما أنا؟ فلا شيء... إذ كانت الأمومة مستندي الوحيد في العيش. مع ذلك حملت بلانفا، الذي سمَّيته لانفا قبل أن يولد... وعندما حذَّرني الأطباء من احتمال أن أموت أثناء الوضع، تفوَّق شعور الأمومة وتقدَّم على روحي. يكفي أن يولد هو، منَّا، أردت أن يبقى في هذا العالم كائن من كلينا. لكنَّ فلذتي لم يستطع أن يولد. أنت

تعرف كيف تكوَّمتُ على الأرض في خيمة السيِّرك الكبير ليلة الأحد تلك... أطلقت اسم لانفا على هذه الدراجة: وكأن لانفا ولد، وكبر، وامتطى هذه الدراجة، وكأنها بقيت لي ذكرى منه... (تبكي) لماذا تعلَّقت بذكرى لانفا فقط؟ لأنني لم أعد أستطيع الحمل يا روفني. عندما أسقطت لانفا، تمزَّقت في المستشفى إمكانيات أمومتي، أخذوا من يدي معنى حياتي. تعلَّقت بذكرى طفلي الأخير لأنني لن أستطيع أن أكون أماً مرة أخرى... كان هو من حملته في بطني أطول فترة: كان هو أملي الذي استمر أطول مدة من الزمن. (تتكوَّم فوق لانفا وتبكي)

روفني: (مداعباً شعر مَلا) لماذا لم تقولي لي هذا حتى الآن؟

مَلا: لم أقل لك خوفاً من أن تعود عن قرارك يوماً وترغب في أن تصبح أباً، ولم يعد بالإمكان أن يكون لك أولاد منّي. (مَلا تنهض).

روفني: (ينهض) اخلعي معطفك...

مَلا: الصعوبة كلها كانت في اتخاذ قراري. إني مرتاحة الآن وقد قررت قراري الحاسم.

روفني: نستطيع التحدث الآن براحة أكبر. (يضع زجاجة الشراب على الطاولة، يسكب مشروباً في الكأسين. يسحب كرسياً آخر إلى الطاولة. يجلس). نخب الليلة الأخيرة التي سنقضيها معاً... (يرفع كأسه).

مَلا: (تجلس، ترفع كأسها) نخب ليلتنا الأخيرة...

روفني: ماذا تفكرين أن تفعلي؟ (يشعل سيجارة)

مَلا: لم أرتح بهذا الشكل منذ مدة طويلة. وكيف نتكلم بهدوء في هذا الموضوع... ماذا أفكر أن أفعل؟ لماذا سألتني؟

روفني: هذه سكينة نهاية عاصفة استمرت سنوات. سألتك لأننا نستطيع الآن التكلم بصداقة. (يضع مشروباً في الكأسين)

مَلا: لا أعرف ماذا سأفعل... لم يكن هذا قراراً متّخذاً مسبقاً... لم أفكر في ذلك قط. وأنت؟ (تشرب، صمت) لماذا تسكت؟ ماذا ستفعل أنت؟ (تشعل سيجارة)

روفني: (يشرب) أنا أيضاً لا أعرف... في فراقنا السابق أيضاً لم أستطع فعل شيء.

مَلا: وأنا كذلك...

روفني: سوف ينصبون الخيمة خلال يوم أو يومين... عندما لا تكونين...

مَلا: طالما مستيني موجودة...

روفني: وحدي...

مَلا: لكنك لست وحيداً... حتى عندما كنا معاً كانت مستيني بيننا... مستيني أيضاً موجودة، أيضاً معك. قتلتَها، لكنك لم تستطع التُّخلُّص منها.

روفني: كم مرة قلت لك بأني لم أقتلها. هل تعتقدين أني أستطيع قتل إنسان؟

مَلا: هل تظن بأني سأسلّمك على أنك قاتل؟ إني أعرف، لقد قتلتها...

روفني: كذب!

ملا: أنت لا تعرف أنني قرأت دفتر مذكراتك الذي أخفيته عني. في هذه الليلة التي قررنا فيها الانفصال، أستطيع الكشف عن ذلك. لقد كتبت في مذكراتك تفاصيل قتلك مستيني... إذ أعلنت ليلة الجريمة أنكما ستقدمان عرضاً فوق العادة، وطلبت عدم وضع الشبكة تحت الأسلاك تلك الليلة. جهّزت لارتكاب الجريمة بكلٍّ تفصيلاتها الدّقيقة. قَفَزَتْ مستيني في الفراغ وارتمت نحوك... لكنك سحبت يديك إلى الخلف...

روفني: هل يعقل أن أكتب هذا في دفتري لو كنت قتلتها فعلاً؟ (يشرح وهو يمشي) لقد كنتِ محقّة عندما قلت قبل قليل "يجب أن تكون قد فعلت الفعل السّيّئ نفسه لكي تستطيع التفكير بأنني فعلت هذا الفعل السّيّئ لهذه الدّرجة". لقد خطّطت لقتل مستيني، واستغرقت هذه الخطط لياليَ وأشهراً بحلولها. وجرّبت في خطلي مختلف الأساليب لقتلها. وسجلت في دفتري ما رأيته أنسب خطة وكأنني نفّذتها فعلاً.

مَلا: لماذا كتبت ذلك في دفترك إذا كنت لم تقتلها؟

روفني: لكي أنقذ نفسي... فخيانتها لي مع أحد السَّفلة كانت تمس كرامتي، لدرجة أنني لم أكن أستطيع العمل. لكني تركت مستيني وعدت في صباح الليلة التي كتبت فيها خطَّة قتلها بتفاصيلها وكأنني نفذتها فعلاً.

مَلا: لماذا افترقت عنها في مدينة أجنبيَّة؟

روفني: الجميع تقريباً كانوا يعرفون خيانة مستيني لي. وكان يسعدني أن أتصرَّف وكأنني ارتكبت الجريمة التي كتبتها في دفتر مذكَّراتي. وانتشرت إشاعة بهذا المعنى. الزَّوج الذي عاقب زوجته بيده على ذنبها الكبير... وكانت هذه الإشاعة ترضي كبريائي...

مَلا: هي حيَّة إذن؟

روفني: أجل... مرَّت على ذلك عشرون سنة. لم أكن أعرف فيها إذا كانت تعيش أو لا تعيش،

إلى أن جاءت في إحدى الليالي إلى بيتي، في الفترة التي تركتني فيها وغادرتني. كانت سكرانة جداً. بكت باستمرار، وتوسَّلت لكي نعود إلى أيامنا السابقة. حاولت أن أشرح لها: بأنها لم تعد مستيني السابقة، ولا أنا روفني السابق... لم تفهم كلامي. لم يبق من جمالها السابق شيء، لكن رعونتها ازدادت كثيراً.

مَلا: لكنك مازلت تحبها!

روفني كلا...

مَلا: لماذا أطلقت اسمها على هذه الأنابيب إذا كنت لا تحبُّها؟ لماذا تبدي بها اهتماماً زائداً؟

روفني: هذا الاهتمام ليس بمستيني، إنه بنفسي. هناك وقت ما قضيناه معاً. وما لم أمت لا يمكنني أن أزيل ماضيَّ مهما فعلت... أنا أحبُّ فترة ما من ماضيَّ، أي أحب نفسي. هذه الأنابيب التي ترينها هنا هي ذكرياتي التي عشتها ولا يمكن التَّخلي عنها... إنها

ليست امرأة اسمها مستيني... تلك المرأة غريبة جداً، جداً، عني. ولقد أدركت تماماً كم هي غريبة عني، في تلك الليلة التي جاءت فيها إلى بيتي. (صمت)

مَلا: لماذا لم تشرح لي هذه الأمور حتى الآن؟

روفني: لم أكن أعرف أنك قرأت دفتر مذكراتي. وكانت مقولة أنني تسبَّبت بقتل مستيني بطلبي عدم نصب الشبكة، على كلِّ لسان... ولاحظت أنك سمعت هذه الأقاويل. وكانت معرفتك بذلك تسرُّني (وهو يضع مستيني في علبتها) أنتِ أول من أخبرتها، فليس هناك ما يحول دون أن أخبرك الحقيقة في هذه الليلة التي قررنا فيها الانفصال... لكن عليك ألا تخبري الآخرين بأنني لم أقتل مستيني... أريد أن يبقى الأمر معروفاً هكذا. (بعد أن وضع مستيني في العلبة، يسند العلبة إلى الجدار) لم أعد بحاجة إلى هذه أيضاً.

مَلا: لم تقل ما الذي ستفعله.

روفني: كما قلت لك، لا أعرف... غداً صباحاً ننفصل كلانا عن هذه البلدة.

مَلا: أودُّ كثيراً معرفة فيما إذا كنت ستكتب في دفتر مذكراتك أنك قتلتني كذلك؟

روفني: كلا... (يشرب) ولن ألعب ألعاباً بهلوانية بعد الآن...

مَلا: (محتدَّة) كيف؟ ألن تقدم الألعاب البهلوانية؟ لكنك لا تستطيع التوقف... لن تستطيع العيش... (صمت)

روفني: أتدرين، أشعر الآن وكأننا لسنا لاعبي سيرك. كأننا لم نقدِّم ألعاب سيرك طيلة هذه السنين، أشعر أننا مثل لاعبَي سيرك...

مَلا: (قاطعة كلامه) أنا بعكس ذلك أشعر كأنَّ الأزواج كلُّهم لاعبو سيرك...

روفني: لماذا؟

مَلا: لأن... (توقُّف) لا أعرف... كلام هكذا... لم أفكر أبداً لماذا. لكني أشعر هكذا... ربما... (تتوقف)

روفني: ماذا؟!

مَلا: الأزواج كلُّهم يحاولون أن يقيموا توازناً دون أن يشعروا، لذلك شعرت بهذا، وكأن الجميع لاعبو سيرك... فمن يستطيعون إقامة التوازن يستطيعون العيش مع بعض. لأن إقامة شخصين توازناً يعني أنهما بحاجة إلى بعضهما. تماماً كما فوق الأسلاك... إذا سقط أحدهما، يختل توازن الآخر.

روفني: (منفعلاً ومدهوشاً) هذا الذي قلتِه شيء مدهش... أكملي شرحك!

ملا: (بلا مبالاة) أقول: توازن. إقامة التَّوازن. الحبُّ... النزاعات كلُّها تتبع من عدم استطاعة إقامة التَّوازن. تماماً مثلنا عندما نكون على المنَّصات فوق... الأزواج الذين لا يستطيعون إقامة توازن ينفصلون عن بعض، لأنهم لا يشعرون بالحاجة لبعض لإقامة توازن...

روفني: (مسروراً جداً) شيء مدهش، شيء مدهش...

مَلا: ما هو؟

روفني: هذا الذي تقولينه... إني أشعر به في داخلي منذ سنوات ولا أستطيع التعبير عنه... والأصحُّ أنني لم أفهمه بشكل من الأشكال...

مَلا: ما هو هذا؟

روفني: (ساهماً) ألم نكن نفكّر في سبب عدم قدرتنا على الانفصال عن بعض؟...

مَلا: ذاك كان قبل أن نتخذ القرار...

روفني: أجل... كنا قد فكرنا في ما الذي يربطنا إلى بعض وسط هذه المشاحنات المخيفة: ليس شعور الأبوّة والأمومة، ولا المكسب، ولا الشهوة الجنسية، ولا الاعتياد... لا شيء من هذا، ما هو إذن؟ لقد اكتشفته أنت الآن: التوازن... نحن نجد توازننا في بعض... نحسُّ بالحاجة لبعض لإقامة التوازن.

مَلا: هل هو هكذا؟ لا أعرف...

روفني: طبعاً هكذا... لماذا لم ينجح أيٌّ منّا في أيّ شيء عندما افترقنا عن بعض... لا تنكري أنك عانيت العَوَز... أما أنا فلم أجد حتى عملاً أعمله...

مَلا: (برغبة في تغيير الحديث) هل الحرارة مرتفعة هنا؟ أم أنني أنا التي أشعر بذلك؟

روفني: مازلت بالمعطف، إخلعيه...

مَلا: وأنت بمعطفك (يخلعان معطفيهما).

روفني: غداً صباحاً باكراً سوف أصلح لانفا.

مَلا: لماذا؟

روفني: ألن تأخذيه معك عندما تذهبين؟ فلأصلحه وتأخذينه هكذا...

مَلا: كلا، لا أريده. لم أعد بحاجة إلى لانفا أيضاً... لقد فقد كلُّ شيء سحره بعد أن شرحته لك... وذاك أيضاً فقد جاذبيته.

روفني: كنت تقولين التوازن قبل قليل... صحيح جداً... جرَّبت ذلك أثناء غيابك. كنت أحسُّ فوق الحبال كأن نصفي الآخر غير موجود، فيختلُّ توازني.

مَلا: وأنا كذلك...

روفني: بعد أن فهمنا هذا...

مَلا: فهمناه تماماً ليلة فراقنا. لماذا لم نفكر بهذا سابقاً... لقد انقضت سنواتنا هباء.

روفني: ليست هباء البتة. لولا تلك السنوات لما فهمنا لماذا سنفترق. (صمت كلاهما متأثران جداً) في أي شهر نحن؟

مَلا: لا أعرف... ربما في شهر نيسان...

روفني: في أي يوم من الشهر؟

مَلا: لابد أنه الثاني والعشرون...

روفني: الثاني والعشرون، الثالث والعشرون... ربما الخامس والعشرون... كم الساعة؟

مَلا: (ناظرة إلى ساعة يدها) العاشرة والنصف... لكن ساعتي تؤخِّر.

روفني: (يقترب من مَلا مبتسماً) الثاني والعشرون أو الخامس والثلاثون من نيسان، والساعة العاشرة والنصف أو الحادية عشرة... هيا نشرب إذن...

(يقرعان الكأسين ويشربان)

مَلا: إذا جاء أحدهم إلى هنا الآن؟...

روفني: من سيأتي في هذه الساعة؟

مَلا: إذا طلَبنا أحدهم بالهاتف؟

روفني: من سيطلبنا في هذه الساعة؟

مَلا: لا أريد رؤية أحد... لن يدخل الغرفة أحد السُّكارى بالخطأ على أنها غرفته، أليس كذلك؟ انظر، لقد نسيتَ قفلَ الباب. (روفني يقفل الباب. مَلا تذهب وترفع سمّاعة الهاتف).

روفني: بمن تتّصلين؟ هل ستطلبين قهوة؟

مَلا: (لموظف الاستعلامات) آلو... إذا طلبنا أحد ما، أرجو أن تبلغوه بأننا مشغولان... أو أننا لسنا هنا... شكراً.

(تضع سماعة الهاتف) ولا أريد أن أكلم أحداً... (ملا تشرب باكية. تتناول التفاحة التي على الطاولة وتقضمها. روفني يشرب ويقضم التفاحة).

روفني: لماذا تبكين؟

مَلا: (محاولةً الابتسام) أنا لا أبكي... هل أبكي؟ إني أضحك، هاأنذا أضحك...

روفني: هاتي يديك...

مَلا: (مرتمية على روفني) أمسك يدي يا روفني، أمسك يدي... (يتعانقان. أثناء إسدال الستارة تتردَّد مراراً أصداء جملة "أمسك يدي يا روفني").

تمت الترجمة في حلب

مساء الجمعة 24 شعبان 1425

8 تشرين الأول 2004

هيّا اقتلني يا روحي!

مسرحيّة "فصلان"

الشخصيات

سيان: امرأة في الـ 68 من عمرها. لكن مظهرها يدلُّ على أنها أكبر من ذلك. مفلوجة. تمشي وهي تجرُّ رِجلها اليسرى. نادراً ما تستعمل يدها اليسرى بصعوبة. صغيرة الحجم، ناحلة لكنها محبَّبة، شهوانيَّة، تغلي. تتزيَّن وتصطبغ كثيراً.

ديها: جارة سيان. تسكنان في البناية نفسها في شقّتين متجاورتين في الطّابق الأرضي. في الـ 72 من عمرها. صغيرة الحجم مثل سيان. احدودب ظهرها من كبر السِّن. ضحوكة الوجه. قنوعة، نشيطة، متفائلة.

موظف الغاز: بين الـ 65 ـ 70 من عمره. منهك، مريض، يشكو من آلام في ساقيه. ثيابه عتيقة جداً. ناحل، صغير الحجم، طويل شعر الذَّقن، بلا حلاقة، إحدى زجاجتي نظّارته مكسورة، يحمل حقيبة عتيقة تحت إبطه.

الفصل الأول

غرفة في الطابق الأرضي، في إحدى بنايات حيٍ متطرِّف من أحياء إحدى المدن الكبرى. على اليمين القسم المؤدي من مدخل البيت إلى الغرفة. هذا القسم يقسم الغرفة إلى قسمين. الباب في الجدار المقابل من هذا القسم، على اليمين. بجانب الباب في الطرف الأيسر منه طاولة وكراسٍ. وعلى ترابيزة بجانب الطاولة جهاز هاتف. على الجدار فوق الطاولة علِّقت صورة مؤطّرة لوجه امرأة فائقة الجمال.

القسم الأيسر من المنصة، مدخل الغرفة الممتد فوق الزقاق. النافذة في الجدار المقابل لهذا المدخل الممتد فوق الزُّقاق. بما أن هذه الشقة في الطابق الأرضي، ولأن أرضيَّتها أخفض قليلاً من مستوى الأرض، لذلك فالنافذة مرتفعة عن الأرض ارتفاعاً لا بأس به. تحت النافذة هناك أريكة تستعمل كسرير عند الحاجة. وعلى الجدار فوق الأريكة علِّقت صورة زيتيَّة لوجه الجنرال زوج سيان المتوفى.

بجانب الأريكة في المواجهة، هناك حاجز رخيص قديم لخلع الملابس. وعلى الجدار الأيسر هناك مرآة ومنصّة زينة. وعلى الجدار الأيمن خزانة قديمة للأواني، فوقها جهاز راديو، وتستند إليها مظلّة.

يبدو واضحاً أن هذه الأشياء المتنافرة وغير المتجانسة اشتريت من هنا وهناك بثمن زهيد.

الوقت صباح.

سيان: (تجلس أمام المرآة تتزيّن فترة وهي تترنّم بأغنية ما. تنهض. تمشي وتقترب من الجدار الأيسر وهي تجرُّ رجلها. تضرب على الجدار وتنادي): سيدة ديها!... ديها!! (تتوقف. تضرب على الجدار ثانية وتنادي) ديها!!... ديها!!... (تكلم نفسها) هل ذهبت إلى السوق يا تُرى؟ ألا يُعطي الإنسان علماً عندما يذهب إلى السوق... أنا لا أذهب حتى إلى المطبخ ما لم أعلمها. (تدور وتلف أمام المرآة وهي تنظر إلى نفسها. ترقص وهي تغني. فجأة تقع عينها على صورة زوجها المعلقة على الجدار. بعد أن تحدجها بنظراتها فترة، تتشاجر مع الصورة) ما الداعي لهذا الموت المبكِّر؟ ها؟ لماذا متَّ

مبكّراً؟ (ترفع صوتها شيئاً فشيئاً) لم تفكر أبداً، ماذا تفعل هذه المرأة بمفردها على مدى ثلاث وعشرين سنة. تركتني في صباي ورحلت... امرأة أرملة... (كأن الجنرال الذي في الصورة قال شيئاً لم تفهمه) ماذا؟ كيف؟ معاشك الشهري التقاعدي؟ (تضحك مستهزئة) المرأة لا تحتاج المال فقط. ثم لا تتباهى بين الحين والحين وتقول "تركت لك معاش أرملة، تركت معاش أرملة!" ما قيمة هذا المعاش الشهري المتبقّي منك!... نقود؟ هاأنذا أتجرجر في هذا الطابق الأرضي الرَّطب. هل هذه عيشة؟ (كأن الجنرال قال شيئاً) ماذا؟ أنا زوجة جنرال؟ هه! (تتأثر وتجيش عواطفها دفعة واحدة) ليتك كنت حيّاً ولم تكن جنرالاً، بل عريفاً، أو حتى جنديّاً... ولم تكن لدينا عشر ليرات...

ديها: (تضرب على الجدار من الناحية الأخرى، يُسمع صوتها من الخارج) سيدة سيان! سياااان...

سيان: أنا هنا. أين كنت؟ ضربت على الجدار كثيراً قبل قليل، لم أستطع إسماعك.

ديها: كنت في الحمَّام، لم أسمع. ماذا تفعلين؟

سيان: لا شيء...

ديها: كيف لا شيء؟ منذ برهة وأنت تصرخين، وصل صوتك إلى المطبخ.

سيان: لماذا أصرخ؟ إني أتشاجر...

ديها: هل تتشاجرين مع نفسك؟

سيان: لم أجن بعد...

ديها: ماذا؟

سيان: أقول لك، لم أُجن بعد.

ديها: مع من تتشاجرين إذن؟

سيان: مع من سيكون، تعالي وشاهدي!

ديها: آي، أهمَّني الأمر جداً، إني قادمة.

سيان: تعالي، تعالي... (لصورة زوجها) هاقد فضحتني للجيران أيضاً. إنكَ تثيرني وتثيرني وتضطرني للصُّراخ... ما الداعي لأن تجعلني

أنفعل بهذا الشكل؟ (يرنُّ جرس الباب) إني قادمة سيدة ديها... (تخرج. تعود مع ديها).

ديها: ماذا حصل، شغلتني جداً، أفهميني بسرعة.

سيان: ماذا سيحصل، تشاجرنا ثانية.

ديها: مع من، أقول لك قولي مع من!

سيان: مع من سيكون... (مشيرة إلى صورة الجنرال) مَن هناك غيره في هذا البيت؟ تشاجرت معه مرة أخرى!

ديها: وفي الذكرى السنوية لزواجكما... وأنا كنت أجهِّز الأطعمة للعشاء للاحتفال بذكرى زواجكما.

سيان: لقد مللت، مللت... كل يوم شجار، كل يوم شجار...

ديها: (مبتسمة) الوحدة أثَّرت على عقلك. هل يمكن التشاجر مع صورة؟

سيان: لماذا لا يمكن؟ أليس زوجي، لابدَّ أن أشاجره، ماذا أفعل؟ لو لم يمت. طالما هو غير موجود، فإني أتشاجر مع صورته...

ديها: ولكن لا طعم للشجار بطرف واحد... طالما أنه لا يستطيع أن يقول لك شيئاً، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً...

سيان: ذاك فعل لي ما فعله، وماذا سيفعل أكثر من ذلك! الزوج العاقل، المحب لزوجته، لا يترك زوجته أرملة في الخامسة والأربعين من عمرها، ويموت.

ديها: لكن ماذا يفعل المسكين، أما قلتِ بأنه مات في الحرب... سقط شهيداً دفاعاً عن وطنه...

سيان: (باستهزاء) أجل، في الحرب...

ديها: من يدري أية بطولات اجترح... كيف مات؟ هل أصيب؟

سيان: لا يا عزيزتي، أية إصابة! غرق وهو يسبح في البحيرة.

ديها: ألم تقولي بأنه مات في الحرب؟

سيان: أجل في الحرب... كان يوماً حاراً أثناء الحرب، لم يتحمل الحرّ، فنزل إلى البحيرة.

(لصورة الجنرال) لا تعرف السباحة، وتنزل إلى البحيرة...

ديها: لا تنفعلي بلا جدوى. صار الذي صار...

سيان: لكنني أرملة منذ ثلاث وعشرين سنة، أنا فقط أعرف ما أقاسيه بمفردي. هل من السَّهل معاناة الوحدة على مدى ثلاث وعشرين سنة، وأنا أنظر إلى صورة جنرال غرق في بحيرة؟

ديها: ماذا أفعل أنا إذن؟ أنتِ لديك مال على الأقل.

سيان: لديَّ مال؟ نحن هنا جارتان منذ خمس عشرة سنة وتعرفين كل شيء عني: فأين مالي؟

ديها: يعني، قصدت أن أقول بالنسبة لي فإن وضعك أحسن من وضعي.

سيان: لولا المعونات الصغيرة التي يقدمها لي ابني بين الفينة والفينة، لما تمكنت من دفع إيجار هذا القبو.

ديها: أنا ليس لدي ذلك أيضاً. لحسن حظي أنه بقي لي ذلك البيت الصغير إرثاً من أبي، أجَّرته، وبالإيجار الذي يردني من هناك أدبِّر

معيشتي، وأدفع إيجار هذا القبو.

سيان: أنا لم يبق لي ميراث من زوجي.

ديها: ماذا سيبقى لك أكثر من ذلك، لقد بقي لك المعاش الشهري التقاعدي لأرملة الجنرال المرحوم...

سيان: جنرال سابق... والمعاش التقاعدي الذي يدفعونه للأرملة قليل بشكل...

ديها: أنا لم يبق لي شيء من زوجي... زوجك جنرال على الأقل، وأنت اليوم أرملة جنرال شهيد... أما أنا؟ أرملة كاتب من الدَّرجة الخامسة...

سيان: زوجك كان شاباً على الأقل...

ديها: كان شاباً!... بعد أن مات، سيَّان لدي أكان شاباً أم مسنّاً... لقد مات شاباً.

سيان: مهما كان فالزوج الشاب مختلف.

ديها: زواجنا كلُّه استمرَّ ثلاثة أشهر. ولا تحسبي شهراً من تلك.

سيان: لماذا؟

ديها: كان يناوب ليلة كل ثلاثة أيام في مكان عمله. أي شهران من ثلاثة أشهر... هذا هو عمر زواجنا. أما أنتم...

سيان: (قاطعة كلامها) وكم استمر زواجي أنا... كنت في الثامنة عشرة من عمري عندما تزوجت، وترمّلت في الخامسة والأربعين. أي أن زواجنا استمر سبعاً وعشرين سنة، هذا هو كله...

ديها: صار لكما ابن على الأقل.

سيان: ألم يصر لكما ولد؟

ديها: لم نجد وقتاً لنصنع ولداً...

سيان: هل ذلك بسبب المناوبات الليلية؟

ديها: لا يا عزيزتي، عندما مات في حادث الاصطدام...

سيان: كم مضى على موته؟

ديها: مضت اليوم سبع وعشرون سنة، وشهران، وأسبوع، وثلاثة أيام بالضبط.

سيان: (متنهدة) وزوجي، بقيت أربعة أشهر ونصف، وخمسة أيام حتى تنقضي ثلاث وعشرون سنة على موته.

ديها: لكني لم أنسَه يوماً واحداً.

سيان: أنا كذلك... لم يغب عن بالي ولو ساعة واحدة. إنها سهلة على اللسان، ثلاث وعشرون سنة... (مشيرة إلى صورتها المعلّقة على الجدار) انظري إلى وضعي في ذلك الزّمن، وإلى وضعي الآن...

ديها: آآآ، ما بك، مازلت جميلة...

سيان: التقطت لي هذه الصورة في الأيام الأولى لزواجنا، كنت في الثامنة عشرة من عمري... أنا الآن في الثامنة والستين.

ديها: كنت حينها جميلة في الثامنة عشرة، والآن أنت جميلة في الثامنة والستين...

سيان: (مسرورة) أحقيقة؟ (لصورة الجنرال) إنك تسمع ولا شك... (تتنهّد) منذ أن مات ذاك، لم أدخل رجلاً إلى حياتي.

ديها: تعرفين، أنني أنا أيضاً هكذا ...

سيان: لكني، لم أتخذ بعده أي رجل صديقاً.

ديها: كأنني أنا التي لي رجل صديق...

سيان: لا، ولكن... كيفما كان... أنت تتراسلين مع الرجال على الأقل.

ديها: آآآ، وماذا بعد... انظري لم أكن أتوقع منك هذا أبداً..

سيان: ألا تستلمين رسائل... رسائل الغرام التي تقرئينها علي دائماً...

ديها: وهل يقال عن هذا مراسلة! استلام رسائل شيء، والمراسلة شيء آخر... أو أُووو، إني أتلقى رسائل كثيرة من الرجال، لكني لم أجب علي أي منهم... وقد تلقيت البارحة رسالة.

سيان: (باهتمام) هل هي رسالة غرام أيضاً؟

ديها: (متظاهرة باللامبالاة) وماذا يمكن أن تكون غير ذلك. طبعاً إنها رسالة غرام.

سيان: (بغبطة وحميميَّة) آه يا إلهي! أيُّ امرأة محظوظة أنت يا ديها... أنا لم أستلم رسالة غرام حتى هذا اليوم.. (ناظرة إلى صورة الجنرال) حتى ذاك لم يرسل لي.

ديها: لا أعرف، إني أتلقى دائماً... (متباهية) لكني أرفضها جميعاً.

سيان: لماذا؟ إني لا أفهم.

ديها: ما الذي لا يفهم في هذا؟ لأنهم ليسوا ذوي نوايا جدِّيَّة. غايتهم التسلية.

سيان: هل كلهم كذلك؟

ديها: لا أستطيع أن أقول كلهم... إذ فيهم الذين عرضوا عروضاً جدِّيَّة.

سيان: إذن؟

ديها: (بدلال) لكن أولئك لا يناسبونني. منهم من ليس كما أريده، ومنهم من ليس موازياً لي، ومنهم من ليس على شاكلتي...

سيان: أيُّ حظٍّ هذا، أيُّ حظٍّ... إذن فقد تلقيت البارحة رسالة أخرى؟

ديها: أجل، فأنا أتلقى كما تعرفين رسالة أو رسالتي غرام على الأقل في الأسبوع.

سيان: ومن رجال مختلفين...

ديها: طبيعي جداً... وهل يمكن تحمل رسائل غرام من رجل واحد؟ فالعشق يعني التغيير.

سيان: هيا اقرئيه...

ديها: (رغم أنها تود القراءة وهي جاهزة لذلك منذ زمن، إلا أنها وكما تفعل في كل مرة، تتمنَّع لكي تكرر عليها سيان طلبها وتوسلها.) أماناً هل هذا وقته؟

سيان: هيا، هيا، اقرئي أرجوك!

ديها: أنت تلحِّين هكذا دائماً... وماذا سيحدث إذا قرأت... إنها رسالة غرام...

سيان: لكم كانت ملتهبة رسالة الغرام التي وردتك منذ مدَّة من بروفسور متقاعد...

ديها: (تشمخ كشابة مغرورة) أماناً دعيك منه، لقد رفضته.

سيان: لماذا؟

ديها: إنَّه هرِم... مسنٌّ جداً... ماذا أفعل بعجوز خرف.

سيان: لكنه أصغر سنّاً منك، حسبما أذكر...

ديها: ماذا يعني؟ (منفعلة) لا يمكن لأيٍّ رجل أن يكون أصغر من المرأة التي سيتزوجها.

سيان: ولماذا رفضت الخيّاط؟ ألأنه شاب؟

ديها: لا يا عزيزتي، ذاك ليست له مكانة اجتماعية.

سيان: والقبطان؟ ما أجمل رسالته!

ديها: آآآآ، لا أرغب أبداً في زوج قبطان. فالزوج يجب أن يكون بجانب زوجته. هو يجوب البحار، وأنا في البيت، مالي ولهذا الزواج...

سيان: هيا اقرئي تلك الرسالة الجديدة.

ديها: (تتدلّل) حاضر، أقرؤها لاحقاً.

سيان: لا يمكن، لا يمكن، هيا إقرئيها الآن...

ديها: لكنها ليست معي... أقرؤها حين تأتين إلينا.

سيان: لا أصدق مطلقاً. فأنت دائماً تقولين ليست معي ثم تخرجينها من صدرك... هيا، هيا أخرجيها واقرئي...

ديها: حسناً فلأقرأ... (تُخرج من صدرها رسالة بلا مغلف. تضع نظارتها، وتنظر إلى الرسالة) آ آ، ليست هذه... وهذه أخرى...

سيان: أيُّها هذه؟

ديها: هذه كنت قد استلمتها قبلاً.

سيان: إقرئي هذه أيضاً، أرجوك...

ديها: (تقرأ): "ملاكي!"

سيان: من يخاطب بقوله، ملاكي؟

ديها: من يخاطب، يخاطبني طبعاً...

سيان: إقرئي، إقرئي...

ديها: (تقرأ): ملاكي! بأمل كبير في أنكم ستجدونني جديراً بعفوكم إذ بدأت رسالتي بهذه العبارة، أرجو إذنكم الرّفيع في أن أتجرّأ وأعبِّر لكم عن مشاعري الصَّميميَّة جداً".

سيان: آه كم هو راقٍ، كم هو أسلوب راقٍ، كما في الروايات تماماً...

ديها: (تقرأ): "روحي، أدركت منذ اللحظة الأولى التي رأيتكم فيها أن طريق حياتي سيتغير، ولن أتردّد في الاعتراف بأني سجلت في تلك الليلة في دفتر مذكراتي، على الصفحة التي تحمل تاريخ ذلك اليوم، عبارة "القدر يغزل شباكه".

سيان: آه، كم هو إنسان حسَّاس. ثم؟ ماذا كتب أيضاً؟

ديها: هذا رسالته لاشيء لو سمعت الرسالة الأخرى لأغمي عليك.

سيان: أسرعي بقراءتها.

ديها: (تقرأ الرسالة الأخرى التي أخرجتها من صدرها): "السيدة المحترمة جداً ديها، خلت نفسي شاباً في العشرين، وبانفعالات تلك السن تبعتكم البارحة حتى منزلكم فعرفت عنوانكم، وحصلت على اسمكم من جيرانكم. وفي صبيحة ليلة قضيتها ساهراً أفكر فيكم، قررت أخيراً أن أستمع إلى صوت قلبي وأكتب لكم هذه الرسالة".

سيان: آه، يا للرومانسيَّة! وصلت إلى الثامنة والستين من العمر ولم أستلم رسالة كهذه من أي رجل.

ديها: (محتدَّة): أرجوك رجاء حاراً، لا تقولي بين الفينة والفينة، أنا في الثامنة والستين، في الثامنة والستين! فهمنا، عرفنا، لم يبقَ أحد

لم يسمع ويعرف أنك في الثامنة والستين من عمرك...

سيان: لكني لن أخفي عمري...

ديها: هل هناك من يقول اخفي عمركِ؟ ولكن لا تعلني عن عمرك للجميع بلا مناسبة! اتركي أناس حيِّناً. حتى الباعة في السوق لم يبق منهم من لا يعرف عمرك. حتى وأنتِ تشترين مئتي غراماً جبنة، ماذا تفعلين وتفعلين، وتوجدين مبرِّراً تخبرين به البقال عن عمرك...

سيان: أنا لا أخفي عمري مثل الأخريات.

ديها: يعني ماذا تريدين أن تقولي؟ أأنا أخفي عمري؟

سيان: لا ... لم أقل شيئاً كهذا.

ديها: أنا في السَّبعين من عمري ولكن...

سيان: (قاطعة كلامها): سبعين؟ آ آ آ... (تضحك).

ديها: ماذا حدث؟ علامَ ضحكت؟

سيان: لا شيء... .

ديها: كلا، قولي، قولي...

سيان: ألست في الثالثة والسَّبعين؟ رأيت بطاقتكِ الشخصيَّة، في الثالثة والسبعين...

ديها: لا تأبهي لبطاقتي الشخصيَّة... فقد كبَّرني والدي ثلاث سنوات في سجلات النفوس، لكي يزوِّجني باكراً.

سيان: وفي بطاقتك الانتخابية سجِّلت عمرك تسعاً وستين. في بطاقتك الشخصيَّة ثلاثة وسبعون، والآن قلت سبعين. أنت تصرِّحين للناس عن أعمار مختلفة.

ديها: ماذا حدث يعني... وأنت تخبرين كل من تصادفينه أمامك عن عمرك، حتى قبل السلام عليه، وذلك في غير وقته، وفي غير مكانه. فالمرأة فيما عدا الأماكن التي تكون فيها مجبرة على قول الحقيقة كالمحكمة وما شابهها، لا تصرِّح عن عمرها قط في أي مكان.

سيان: ماذا أفعل، إني أبدو أكبر من عمري؛ فلا أحد يصدِّق أنني في الثامنة والستين لذلك أصرِّح به. لكأنني كبرت عشر سنوات دفعة

واحـدة بعـد أن أصـبت بالفـالج قـبل أربـع سنوات.

ديها: ليس كذلك بتاتاً...

سيان: عـندما أقـول إنـني في الثامـنة والـستين، لا يـصدِّقون، يقلـبون شـفاههم مـستهزئين، فأتضايق جداً.

ديها: آ آ آ آ ... أنت تبدين أصبى كثيراً من عمرك..

سيان: (بفرح واهتمام): حقاً؟ في أي سنٍّ أبدو؟

ديها: أما قلت أصبى كثيراً... بل إنك تبدين أصبى مني، خاصة عندما تتزينين...

سيان: لكنك تعرفين أنني في الثامنة والستين من عمري...

ديها: طـبعاً يـا عزيزتـي... فـنحن نحـتفل الـيوم بالذكـرى الخمـسين لـزواجك، وبمـا أنـك تـزوجت في الثامـنة عـشرة، فأنـت طـبعاً في الثامنة والستين الآن...

سيان: يا للعجب... لم نحتفل يوماً بذكرى زواجنا، عندما كنا متزوجين. لكني أحتفل به منذ

ثلاث وعشرين سنة (ناظرة إلى صورة الجنرال) ومن أجل هذا كنا نتشاجر قبل قليل... ما هو الدَّاعي لأن تموت مبكِّراً جداً هكذا؟

ديها: عند المساء نملأ الرؤوس... آه، كدت أنسى أن أخبرك بأنني أعدُّ أصنافاً منَ الأطعمة اللذيذة لاحتفال المساء... (بخاطر خطر فجأة ببالها تركض مسرعة. تصرخ ويداها على رأسها) آ آ آ آ!.. أوَّااه!...

سيان: ماذا حدث؟

ديها: أرأيت ما حلَّ على رأسي!... (تتجه نحو الباب)

سيان: ماذا هناك يا عزيزتي...

ديها: كنت قد وضعت طعاماً على الموقد من أجل العشاء، وعندما سمعت شجارك تركت القدر على النار وجئت إليك.

سيان: واخ واخ واخ... (أثناء مغادرة ديها تنادي من خلفها) لكن عودي فوراً...

ديها: (صوتها من الخارج) فلألقِ نظرة على الطعام، وأعرف ماذا حدث له...

(سـيان تفـتح المـذياع، فتنـبعث مـنه أغنـية راقـصة. تجلـس أمـام منـصَّة الـزينة وتتـزيَّن. الجدار يُضرب. تُخفض صوت المذياع لتسمع)

ديها: (تـضرب الجـدار، يُـسمع صـوتها مـن خلـف الجدار) سيان، سيدة سيان!...

سيان: ماذا حدث للطعام؟ هل احترق؟

ديها: (صوتها مـن خلـف الجـدار) وصلـت في الـوقت المناسب تماماً. لم يحترق، إنمـا التـصق قليل منه بقاع القِدر...

سيان: هيا تعالي إذن...

ديها: (صوتها من خلف الجدار) لديَّ بعض العمل، سآتي بعد قليل

سيان: إني أنتظرك، فلا تتأخري، أليس كذلك...

(تـرفع صـوت المـذياع. الأغنـية المنبعـثة مـنه راقصة جداً. سيان تواكب الأغنية والموسيقى فتغني وترقص وهي تجرُّ رِجلها المشلولة. فجأة تـنقطع الموسـيقى، ويـبدأ المذيـع بـالكلام. سـيان واقفـة تـصغي بانتـباه، اضـطرابها وخوفها يزدادان شيئاً فشيئاً).

المذيع: "أيها المستمعون المحترمون، بحسب خبر تلقيناه للتوّ، فإن المجرم ذي السَّوابق الذي يتنكّر منذ أسبوعين بزيٍّ موظف غاز فيقتل النساء في مدينتنا، قد ارتكب جريمة أخرى في الساعات الأولى من صباح هذا اليوم، وتمكّن أيضاً من الهرب دون أن يخلّف وراءه أي أثر، وتؤكد الطريقة نفسها المتّبعة في كافة هذه الجرائم، أن القاتل مرتكب هذه الجرائم هو الشخص نفسه. إذ يدخل هذا المجرم بيوت النساء اللواتي يعشن بمفردهنّ، أو يتواجدن في تلك الآونة بمفردهنّ، بحجة مراقبة ساعة الغاز، أو موقد الغاز، وبتهديد المسدَّس يغتصب المرأة الوحيدة في البيت ثم يقتلها خنقاً. وبجريمة هذا الصباح، يكون المجرم قد ارتكب جريمته التاسعة. وقد تمكنت سيدتان فقط حتى اليوم من الإفلات من يد هذا المجرم. وبحسب شهادة هاتين السيدتين فإن المجرم شاب في حوالي الثلاثين من العمر، عريض المنكبين، أسمر الوجه، أسود الشعر، أخضر العينين، وسيم المظهر،

أجش الصوت ولتحذير المواطنين فقد نشرت في الصحف الصورة التي رسمها الرسامون المختصُّون وفقاً لشهادة الشاهدتين والآن نتابع برنامجنا الموسيقي".

(المذياع يصدح بالموسيقى. سيان تطفئ المذياع وقد غمرها الخوف. يرنُّ جرس الباب فجأة تخطو خطوتين باتجاه الباب بخوف أولاً ثم بأمل. تتوقف، تتقدم ثانية. يرن جرس الباب مرة أخرى، تتجه إلى المرآة، تدهن وجهها وعنقها بالمساحيق على عجل، وتصبغ شفتيها بأحمر الشفاه. يرنُّ جرس الباب مرة أخرى، تنظر إلى نفسها في المرآة. تخرج مسرعة. تدخل ديها في المقدمة وخلفها سيان. ديها بيدها جريدة).

سيان: (مرتبكة محطَّمة الآمال): أهذه أنت؟ إيه يا الله...

ديها: أكنت تنتظرين أحداً آخر؟

سيان: لاااا...

ديها: حالتك توحي بذلك.

سيان: ظننت أنه هذا...

ديها: من؟

سيان: لا شيء... ظننته موزع الجرائد.

ديها: ألم يأت موزعك بعد؟

سيان: لم يأتِ...

ديها: إذن فأنت لم تري بعدُ... (تفتح الجريدة وتريها) انظري ما يحطّ على رؤوسنا... أرأيت لقد نشروا صورة الوحش أيضاً...

سيان: (تزدرد ريقها مغتبطة). وأذيع في المذياع قبل قليل. إنه يأتي إلى بيوت النساء اللواتي يعشن وحيدات.

ديها: (راغبة، لكنها تحاول أن لا تبدي ذلك): حذار من أن يأتي إلينا أيضاً...

سيان: (راغبة) ليحمنا الله...

ديها: وإذا ما جاء إلينا؟

سيان: ماذا نفعل؟ (تتناول الجريدة وتدقق في الصورة) وهو رجل وسيم...

ديها: وشابٌ فتيٌّ جداً...

سيان: واخ واخ...

ديها: حرام، حرام جداً...

سيان: واللّه تأثرت عليه. ماذا يفعل للنساء؟

ديها: الجرائد تكتب عن ذلك منذ عدَّة أيام، ألم تقرئي أبداً؟ لقد قرأت ما كُتب البارحة...

سيان: (باهتمام) إي ي ي؟

ديها: إنه يقول "أُرسلتُ من الإدارة لفحص موقدكم" أو يقول: جئت لمراقبة ساعة الغاز...

سيان: ثم؟

ديها: ثم، يدخل إلى البيت...

سيان: إي ي؟

ديها: وعندما يتأكد من عدم وجود أحد سوى المرأة في البيت... يهجم على المرأة... ويغتصبها...

سيان: (بفرح من تلقّت بشرى) ماذا تقولين!

ديها: لكنه يخنقها بعد ذلك...

سيان: لا ، هذا سيئ...

ديها: آه، يا من تُبلى بالعمى، هيًا فعلت ما فعلت، ولكن لماذا تخنق بعد ذلك، أليس حراماً؟...

سيان: الحقيقة إني لا أصدق.

ديها: ما الذي لا تصدقينه؟

سيان: قصة خنقه. لماذا سيخنق...

ديها: يخنق، يخنق.

سيان: لا تصدقي، إنه كذب الجرائد.

ديها: لماذا تلاحقه الشرطة لو لم يخنق؟

سيان: ربما خنق، لكن أولئك استحققن الخنق. من يدري كيف تمنعن وماذا فعلن لذلك المسكين.

ديها: صحيح ها... وعندها يضطر المسكين إلى الخنق.

سيان: المسكين يضطر...

ديها: ألا يقال: هل الذّنب ذنب القاتل أم القتيل؟ ونحن معشر النساء عنيدات يعني...

سيان: ربما يخنقهن خوفاً من أن يخبرن عنه فيما بعد.

ديها: الإخبار! أيُّ قلّة وجدان... أيجوز الإخبار أبداً؟ لو حدث معي شيء من هذا فإني لا أخبر أحداً...

سيان: يااا ، أوَلا تخبرينني؟

ديها: أنت مختلفة ، أنت أخبرك...

سيان: إني خائفة بشكل... (بخوف مصطنع ، برغبة أكبر) وإذا جاء إلى بيتي؟

ديها: (تتصنّع) وأنا خائفة جداً إذ لم أستطع البقاء في البيت بمفردي ، بعد أن قرأت الجريدة ، فهرعت إليك.

سيان: (برغبة) وإذا جاء؟

ديها: ماذا نفعل؟

سيان: لا شيء... ماذا سنفعل... أفضل شيء... (تتوقف فجأة)

ديها: نعم؟ لماذا سكتِّ؟ ما هو أفضل شيء برأيك؟

سيان: أفضل شيء ، أن لا نفعل شيئاً...

ديها: يعني؟

سيان: يقولون "حتى الحيَّة لا يجوز مسها بأذى أثناء شربها الماء" فليفعل ما يشاء، لا يجوز مسّه بأذى...

ديها: أجل هكذا... فليفعل ما يشاء... هو لن يأكل...

سيان: هل هو أفضل من روحي؟

ديها: إذا أتى...

سيان: لا يمكن معرفة ذلك.. قد يأتي...

ديها: لماذا لن يأتي؟

سيان: اجلسي يا عزيزتي، اجلسي لنفكر فيما سنفعله.

ديها: (تجلس) هذه مصيبة...

سيان: أإذا لم يأت...

ديها: إذا أتى، وإذا لم يأت...

سيان: أجل، أجل، ما من سبيل أمامنا سوى التعامل بلطف عندها قد لا يقتل.

ديها: الجرائد لم تكتب لماذا يقتلهنَّ، ماذا يريد من النساء يا ترى؟

سيان: (تتغنَّج) أماناً منك، ما يريده منهنَّ واضح...

ديها: صار من الماضي البعيد... مثل ذكرى بعيدة...

سيان: ما هو؟

ديها: مضت سبع وعشرون سنة، نسيت كلَّ شيء...

سيان: المرء يشعر كأنه نسي ولكن...

ديها: هناك من يحنُّون إلى الماضي ولا يتحملون الغربة فينتحرون، إنه مرض صعب. لكن عندما يعود هذا الذي يعاني إلى وطنه الذي يحنُّ إليه... يشفى من مرضه خلال خمس دقائق على الأكثر.

سيان: لم أفهم.

ديها: يعني، الحقُّ معك، إذ يمكن تذكر كل شيء بسرعة... (تتناول الجريدة، وتنظر إلى صورة المجرم. تتنهَّد). ذو طول وقوام، رجل كالأسد، زوجي كان قصير القامة بالنسبة

لي... هذا أسمر، زوجي كان أشقراً بعينين زرقاوين.

سيان: (ناظرة بشوق إلى صورة الجنرال) أمَّا زوجي فكان متوسِّط القامة، كان جنرالاً قاسياً. لم يكن يصيح ويصرخ هكذا، كان يسعل فقط. لكن سعاله كان قوياً. كان كل من يسمع سعاله يخاف منه. كذلك كان الجنود يرتعدون خوفاً عندما كان يسعل في الثكنة، حتى إنهم لقبوه بـ "الجنرال اوحو". ورغم مرور ثلاث وعشرين سنة فإني مازلت أسمع صوت سعاله في بعض الليالي، فتصوري كيف كان يسعل.

ديها: لا أذكر الآن هل كان زوجي يسعل أو لا يسعل، لكنه كان أشقر اللون قصير القامة بديناً...

سيان: ينتابني شعور... بأنه يوماً ما... عند المساءات على الأغلب... سوف يسعل ذلك الأسمر خلف هذا الباب عند إحدى ساعات المساء... سوف يُفتح الباب بسرعة فجأة... (ناظرة إلى صورة الجنرال) وسوف يدخل هو... (تنهض. تُخرج

من خزانة الملابس ألبسة الجنرال المعلَّقة على مشجب عمودي، وتضعها وسط الغرفة. علَّقت على المشجب سترة الجنرال وبنطاله الكيلوت الذي يظهر منه شريطه الأحمر. سوف يدخل هكذا، ويقف أمامي... (تخرج من الخزانة عَمرة الجنرال وحذاءيه. تضع العَمرة فوق السُّترة، والحذاءين تحت البنطال. وهكذا تصبح الألبسة المعلَّقة على المشجب أشبه بجنرال واقف).

كأنه سيسعل هنا... (تداعب قبَّة السُّترة، تقبِّل الأزرار، تسند رأسها إلى صدر السترة، تتغنج أمام الجنرال). أين جنرالي الكبير، أين هو... (تضع ذراعي السُّترة على كتفيها كأنما الجنرال بها). التف بمحبوبتك، هيا التف...

(ديها يعتريها الحياء من هذا المنظر. تُخفي وجهها بكلتا يديها في البداية، ثم تستدير برأسها إلى الجدار، لكن ولأنها لا تستطيع التغلب على فضولها، تلتفت برأسها نحوهما ثانية، وتراقب ما يجري من خلال أصابعها).

سيان: (متغنِّجة): هيا... قبِّل حبيبتك، قبِّلها... لفَّ ذراعيك، عانق حبيبتك...

ديها : (مازالت في تلك الوضعيَّة) شيششششت!...

سيان: ماذا هناك؟

ديها : فلأذهب، وهكذا افعلوا ما تفعلون...

سيان: آ آ آ، هل أنت غريبة؟

ديها : لست كذلك ولكن... مهما يكن... قد يخجل الجنرال...

سيان: ما الذي يُخجل في هذا... (تترك ألبسة الجنرال، تجلس) لن أخفي عنكِ، في بعض ليالي الوحدة الخانقة أضمُّها إلى صدري وأنام.

ديها : ماذا تقولين!... أَوَحذاءيه أيضاً؟

سيان: حذاءيه، وألبسته... لم يدخل حياتي رجل آخر غيره.

ديها : إي ي، وكبرت طبعاً...

سيان: للّه أنتِ... هل أُعتبر كبيرة في السِّن؟

ديها : لااا... لم أقصد هذا. يعني الإنسان يكبر على مرِّ السِّنين. ولا شك أن عمرنا يزداد...

سيان: نفسي خضراء...

ديها: ونفسي كذلك...

سيان: كان يعصرني عصراً عندما يأخذني بين ذراعيه...

ديها: هل تشتاقين إليه؟

سيان: كثيراً... (بشوق) أيمكن أن لا أشتاق؟

ديها: (متنهدة) وأنا بقيت مرتبطة بذكرى زوجي على الدوام.

سيان: أجل ولكن لا يمكن العيش على مجرد الذكريات طوال العمر.

ديها: هو هكذا... إذ لا يمكن الموت مع الميت.

سيان: رجل آخر؟

ديها: كلا، لم يدخل حياتي أي رجل آخر.

سيان: وتقدَّم بك العمر طبعاً...

ديها: من؟ أنا؟ الرجال يركضون خلفي، تعرفين رسائل الغرام التي يرسلونها لي. لكنهم كلهم...

سيان: (قاطعة كلامها) رفضتهِم كلّهِم، أعرف.

ديها: طبعاً رفضتُهم...

سيان: (بأداء فتاة شابة) أنا أيضاً يدور حولي رجال كثر، لكنني لا ألتفت لأيٍّ منهم...

ديها: طبعاً صار لدي أصدقاء...

سيان: الصديق يختلف... أنا أيضاً صار لدي أصدقاء كثر، حتى إن أحدهم... (تتوقف عندما يرن جرس الباب فجأة. المرأتان مرتبكتان جداً ظنّاً منهما بأن موظف الغاز قد حضر. تحومان في الغرفة على غير هدى. حائرتان) أوّاه... وإن كان هو... ولم أتمكّن من ترتيب البيت... (تبدأ بالتّرتيب كأن ضيفاً كبيراً سيحضر).

ديها: هل هو ذاك يا تُرى؟

سيان: أتقولين بأنه أتى؟

ديها: ربما أتى. لابد أنه أتى... أيمكنني استعمال أحمر شفاهك قليلاً؟

سيان: لكن يجب أن لا يرانا كلينا هنا، فيخشى.

ديها: (وهي تتزيَّن أمام المرآة) عندها لا يخنق أليس كذلك؟ وماذا هناك ليخشاه.

سيان: لسبب ما، يكون الرجال أكثر حياء... (متضايقة) إذا سمحت لي، سأتزيَّن أنا أيضاً قليلاً.

ديها: طالما سيخشى، فإني سأقف وأنتظر في الممر أو في المطبخ إذا أردت...

سيان: (تتثنَّى) آ آ آ، وماذا سأسمع بعد... لا أريد مطلقاً...

ديها: أتقولين بأنه يخنق؟

سيان: يقولون بأنه يخنق... علينا أن لا نفتح الباب إذن.

ديها: (محتدَّة) لا تفتحين الباب لأنني موجودة هنا، لكن لو كنت بمفردك لفتحت...

سيان: لكني خائفة لدرجة...

ديها: أيمكن عدم الخوف! انظري إلي، يداي ورجلاي ترتجف (يرن جرس الباب) هيا

افتحي الباب... لا تدعي الرجل ينتظر، فذاك عيب.

سيان: لكنك هنا...

ديها: عندما يدخل ذاك إلى الداخل، أقف أنا هنا، وأخرج دون أن أُرى...

سيان: (كفتاة شابة) قلبي يرتعش كعصفور...

ديها: إذا كان هو، اضربي على الجدار، فأسمع فوراً وأفتح النافذة وأصرخ "النجدة".

سيان: اسكتي إياك أن تصرخي... تُجفلين الرجل...

ديها: كيف سيصير لي علم... اضربي على الجدار كي آتي أنا أيضاً.

سيان: حسناً حسناً... لكن لا تأتي فوراً عندما أضرب على الجدار. تمهّلي قليلاً.

ديها: حسناً. لكن أنتِ أيضاً لا تدعيه يغادر قبل أن أحضر، إلْهيه بالحديث قليلاً.

سيان: قد لا يغادر بتاتاً، فيمكث هنا... (جرس الباب)

ديها: هيا افتحي!...

(المرأتان تتوجهان إلى المدخل حيث الباب)

سيان: (تصرخ خائفة): من هذا؟

صوت: (من الخارج): موزِّع الجرائد... جرائد...

ديها: (بخيبة أمل) إيه يا الله... هو موزِّع الجرائد!

(تخرج سيان، وتترك الباب مفتوحاً).

سيان: (صوتها من الخارج) أماناً منك، أوصلت روحي إلى حلقي...

(ديها تذهب مسرعة إلى حيث ملابس الجنرال المعلَّقة على المشجب، وكما فعلت سيان، تداعب بيديها قبَّة السترة، تقبِّل أزرارها، وتسند رأسها إلى صدر السترة، وتسرح هكذا. وعندما تدخل سيان من الباب المفتوح وبيدها جريدة، ترى ديها بهذه الوضعية، فترمقها فترة بصمت وبغيرة، ثم تسعل سعالاً ذا مغزى. تضع الجريدة على الكرسي. ديها تقفز وقد ضبطت متلبِّسة).

سيان: ما كنت أتوقع هذا منك قط.

ديها: (مذنبة) ماذا هناك، ماذا حدث يعني...

سيان: وتسألين أيضاً، أسفي عليك...

ديها: ماذا فعلت؟

سيان: ماذا ستفعلين بعد؟ ألا تكفيك رسائل الغرام التي تستلمينها؟ أشبع الله عينيك...

ديها: آ آ آ... وماذا بعد... محض افتراء... تووو! امرأة غيورة! ها إني ذاهبة...

سيان: مذنبة وجريئة، هذا ينطبق عليك... ستذهبين اذهبي!

ديها: فلتكسر رجلي إن خطوت خطوة داخل بيتك مرّة أخرى.

سيان: لا تأتي إلى بيتي مرة أخرى، لا أريدك!

ديها: كأنني كنت متيَّمة جداً بك.. ابقي بمفردك هنا وليعترك الجنون. التفيّ بملابس الجنرال القديمة التي أكلها العث، احضني حذاءَي الجنرال ونامي...

سيان: أنتِ ليس لديك هذا أيضاً...

ديها: هو هوو... لو أردت لكان لدي الكثير، لكني لا أريد... إني ذاهبة.

سيان: ماذا تنتظرين؟

(ديها تخرج، يسمع صوت صفق الباب الخارجي. سيان تذهب إلى حيث ملابس الجنرال، ترمقها بانفعال).

سيان: (للملابس الجنرال) وأنت جاهز فوراً... (تتكلم فيما هي تضع مشجب الملابس والقبعة والحذاءين في الخزانة) هل يمكن أن يتخلى ذو الطبيعة عن طبيعته! لو كنت حيّاً، لكنت الآن في الخامسة والتسعين. اخجل من سنِّك، مازالت عينك على النساء الأخريات... (ناظرة إلى صورة الجنرال) ألا تخجل؟ انظر، بسببك كسرت قلب صديقتي التي تمتد صداقتها لي لسنوات، وليس لي أحد سواها... (تذهب إلى الجدار، وتضرب عليه وتنادي) ديها!... ديها!!!... سيدة ديها!!! ردِّي علي يا عزيزتي... (تلصق أذنها بالجدار وتتصت) إنك هناك، بل إني أسمع وقع قدميك، والله أنت هناك... لا تحاولي بلا جدوى، لا يمكنك خداعي بالتظاهر بأنك لست في البيت. (تتوسَّل) ديها!... ديها!.. كأنني قلت لك شيئاً

مزعجاً... هيا تعالي، ماذا يحدث... إذا كنت قد كسرت قلبك، فقد حدث ذلك دون إرادتي... أرجو عفوك هيا تعالي لن أفعلها ثانية... ثم أي ذنب لك أنت... الذنب الأصلي ذنب زوجي الجنرال ذي الخامسة والتسعين سنة... لم تشبع عيناه من النساء بشكل من الأشكال... كان في حياته هكذا أيضاً. لم أستطع الاحتفاظ بخادمة في البيت. كان يحشر الفتيات بين الأبواب. أقول لك هيّا تعالي... لا تحاولي خداعي فأنت هناك، إني أعرف أنك تسمعينني... (تهدّد) انظري إذا لم تأتي إليّ فلن أذهب إليك أنا أيضاً، فتنفجرين من الوحدة هناك...نحن من لنا غير بعضنا يا ديها... (تحتدّ دفعة واحدة) أقول لك تعالي كفى، آ آ آ (تتصنّع الإغماء) هاقد ساءت حالتي... إن لم تأتي فلا تأتي، وأنا أموت هنا وحيدة... أماناً!.. يكاد يغمى علي.. النجدة... يغمى علي يا ديها، ألا تسمعين؟ الحقيني... إني أموت... أماناً... (تنتقل فجأة من حالة الإغماء إلى حالتها الطبيعية، وتضع أذنها على الجدار).

ديها: (صوتها من خلف الجدار) تمهّلي، تمهّلي، إني قادمة... هل أغمي عليك فعلاً!...

سيان: يغمى علي... آي، أماناً... النجدة...

ديها: (صوتها من خلف الجدار) انظري، إذا كنت تخدعينني وتدّعين الإغماء كما في كل مرة، فلن آتي إليك مطلقاً بعد الآن...

سيان: لا والله... هذه المرة يغمى علي فعلاً...

ديها: (صوتها من خلف الجدار) انتظري، أماناً انتظري، لا يغمى عليك!... انتظري إني قادمة.

(سيان تضع زجاجة كولونيا، وزجاجة دواء وكأس ماء عند رأسها، ثم تتمدّد على الأريكة. يرن جرس الباب. تذهب لفتح الباب. تدخل المرأتان معاً. سيان تتمدّد على الأريكة وهي تئن، تمسح وجهها وذراعيها بالكولونيا).

ديها: ماذا حدث لك فجأة؟

سيان: لا أعرف...

ديها: هل انزعجت من شيء ما؟

سيان: لا يا عزيزتي، لم يحدث ما يزعجني...

ديها: نحن هنا جارتان منذ خمس عشرة سنة، ما الداعي لأن نغضب بعضاً...

سيان: لكني لم أغضب... أنت تعرفين أنني انتقلت إلى هذا البيت لأنك تسكنين بجواري ملاصقة لي. دخلت هذا القبو الرطب لكي أصبح جارة لك، ثم صرنا صديقتين حميمتين.

ديها: إني أشعر بنقص في اليوم الذي لا أراك أو لا أسمع صوتك فيه.

سيان: هل كنت لأنتقل إلى هذا المكان الرطب لولاك!

ديها: من حيث أنه رطب فهو رطب، لكنه مع مستوى الأرض... فكلانا لا نستطيع صعود السلالم، ولا نستطيع السكن في الطوابق العليا.

سيان: (تنهض) لم أستطع تصفُّح الجريدة من شدة اضطرابي (تنظر إلى صورة المجرم في الجريدة) آ آ ـ آ آ آ!..

ديها: ماذا هناك؟

سيان: إنّه يشبهه بشكل... تماماً شباب زوجي... لو لبس لباس جنرال لصار زوجي...

ديها: (ناظرة في صورة المجرم) ما أغرب ذلك إنه يشبه زوجي أيضاً. إنه تماماً زوجي! إه فلأذهب أنا، فقد يأتي إلى بيتي... وإذا لم أكن في البيت فقد يطرق الباب ويطرقه، ثم يغادر، فيصير عيباً...

سيان: لماذا يصير عيباً؟

ديها: قد يظن أني خفت فلم أفتح... ماذا تفعلين إذا جاء؟ اضربي على الجدار، ألا يمكن؟ فأتصل هاتفياً بالمخفر فوراً.

سيان: لا، لا تهتفي فوراً...

ديها: طبعاً ليس فوراً...

سيان: إني خائفة لدرجة...

ديها: وإذا لم تجدي وقتاً للضرب على الجدار؟ فالرجل وحش يخنق فوراً...

سيان: (تعطيها مفتاحاً أخرجته من درج الطاولة) خذي، فليبق مفتاحي الثاني هذا معك. فإذا صرخت تسرعين وتأتين فوراً... فلتكن أذنك هنا.

ديها: وأذنك أيضاً... (تأخذ الجريدة من يد سيان وتنظر فيها) هل قرأت هذا الخبر؟

سيان: أيُّ خبر؟

ديها: (تقرأ) "خطف البارحة سائق سيارة في مدينتنا امرأة شابة استقلَّت سيارته، وهرب بها إلى الغابة وقام باغتصابها".

سيان: لا تصدُّقي، كذب...

ديها: آ آ آ، هي ذي الجريدة تكتب ذلك... وكم رقم هذه الحادثة! السائقون يخطفون فقط النساء اللواتي يركبن سياراتهم.

سيان: من أين... كذب، كله تلفيق جرائد... إنهم يفترون على السائقين المساكين. فكم من ليلة استقليت السيارة بمفردي وقصدت أماكن بعيدة، مع ذلك لم يفعلوا شيئاً. إنهم لا يخطفون.

ديها: صحيح، صحيح... أنا أيضاً جرَّبت ذلك عدة مرات، إنهم لا يخطفون. الحقيقة أن سائقينا شرفاء جداً.

سيان: (تذهب وتقف أمام مرآة طاولة الزينة، فتتزيَّن وتتحدث): لاا!، لكن لهذه الدرجة، هذا شيء زائد عن حدّه... فالسائق يجب أن يكون قليلاً...

ديها: أي ي؟

سيان: يجب أن يعرف أنه سائق...

ديها: أنت مغرمة جداً بالتَّزيُّن والاصطباغ.

سيان: أنا هكذا منذ القديم، هذه خصلتي... ولكن لا اهتمام لي بالسير والتجوال.

ديها: وكيف تتجوَّلين بهذه الحالة يعني...

سيان: لو أردت التجوُّل لتجوَّلت هكذا أيضاً... لكني لا أريد ذلك. سابقاً أيضاً لم أكن أتجول كثيراً، ألا تعرفين؟ حتى قبل الشَّلل الذي أصابني منذ أربع سنوات، هل كنت أتجول؟

ديها: فعلاً لا تتجوّلين لكنك تتزيّنين دائماً.

سيان: كان بيتنا مكتظاً جداً، وكان كبيراً جداً. وكأن كثرتنا لا تكفي كان يفد إلى بيتنا عدد كبير من الزوار، وكنا نعيش كل يوم في جو يوم عرس أو عيد. كان بيتنا ممتلئاً بهجة وصخباً وموسيقى... ولم نكن نعرف كيف يمضي اليوم. تزوجت، وكان بيت زوجي أكثر اكتظاظاً وأكثر صخباً وبهجة. كان بيتي هو دنياي كلها. كنا نلبس ونرتّب أنفسنا ونتزيّن ونغني ونضحك ونتسلى. ثم عندما مات زوجي بقيت وحيدة. لكنني لم أعتد الوحدة رغم مرور هذه السنين كلها. يخيّل إلي دائماً أن تلك الموسيقى القديمة سوف تصدح من جديد فوراً بعد لحظة... لذلك فإني مازلت أتزيّن وأضحك وأتسلى كما في السابق. إني أعيش الأمس والغد معاً بأمل.

ديها: آه، لتعيشي طويلاً يا سيان... وأنا مثلك طبق الأصل. فأنا لم أحبذ أبداً التّأفف من الوحدة. والجلوس ساكتة صامتة عابسة متنهّدة.

سيان: إني أعيش وكأن عدة أشخاص يعيشون معي في هذه الغرفة.

ديها: أنا أيضاً أحسُّ بأنني سأعيش بعد قليل تلك الأيام البهيجة السابقة ، لذلك فإني أتمتع بكل دقيقة من حياتي.

سيان: لماذا إذن تقولين لي إني أتزين وأصطبغ كثيراً؟

ديها: لكن... مع ذلك فإن تزيُّنك بهذا الشكل في هذه السن ليس مناسباً.

سيان: لماذا! بل نحن في هذا العمر بحاجة أكثر إلى الزينة والاصطباغ.

ديها: أنت محقّة على الأغلب، خاصة بالنسبة لنا نحن الأرامل، أليس كذلك؟ لكني ولسبب ما، لا أحب التزيّن...

سيان: أأنت لا تحبين التزيُّن؟ ذلك ليس بسبب عدم محبتك للتَّزيُّن، إنما لكونك مقتصدة جداً. فلم أرك يوماً تشترين طلاء أظافر أو أحمر شفاه.

ديها: ليس لكوني مقتصدة، تعرفين أنه ليس لدي مال وهذا هو السبب... (بجانب سيان التي تتزيَّن) لكني أصبغ شفتيَّ ووجنتيَّ بغلاف الشوكولاته الأحمر، وأستعمل البندق المحروق بدلاً من "الريميل".

سيان: تقولين بأنك لا تحبين التزيُّن ولكن، عندما تأتين إلى هنا تطلبين مني أحمر الشفاه "والريميل" والمساحيق وطلاء الأظافر وغير ذلك.

ديها: (مكسورة الخاطر) آه، هكذا؟ حسناً، لن أطلب ثانية...

سيان: لا يا سكَّرتي، لم أقصد هذا... لكنك قلت لا أحب التزيُّن، ولذلك...

ديها: أيمكن لامرأة قط أن لا تحب التزيُّن!... وخاصة في أعمارنا هذه كما قلت...

سيان: (تتنهّد) خاصة عندما تكون أرملة... (ناظرة إلى صورتها المعلّقة على الجدار) لا جدوى مهما اصطبغت بعد الآن... انظري إلى صورتي تلك، وانظري إلى حالتي هذه الآن...

ديها: ما بكِ، أنت مازلت جميلة.

سيان: كالسابق؟ أين حالتي السابقة، وأين حالتي الآن...

ديها: (ناظرة إلى صورة سيان) آ آ آ عينها... لم تتغيَّري مطلقاً... صدقيني طبق الأصل... هيا إني ذاهبة. وسترين عند المساء أنواع الأطعمة التي جهزتها لك للاحتفال بالذكرى السنوية لزواجك

سيان: دمت لي... ونملأ الرؤوس بشكل جميل...

ديها: وإذا جاء ذاك!...

سيان: موظف الغاز... فليأت، جيد، إنه وقته تماماً... لا تنسي، اضربي على الجدار إذا جاءك...

ديها: وأنت أيضاً... مفتاحك معي، آتي مسرعة.

(ديها تذهب. سيان تفتح المذياع، وفيما هي تتمايل وتتثنّى وترقص مع الموسيقى المنبعثة من المذياع وهي تجرُّ رجلها جراً، يرن جرس الباب. تتوقف فوراً مرتبكة في خضم من الخوف والأمل، تخطو خطوة نحو الباب، وترجع خطوة إلى الوراء... تركض نحو

المـرآة، وفـيمـا هـي تجـدّد زينـتها علـى عجـل، يـرنّ جـرس الـباب ثانـية. تـتجه بحـذر نحـو الباب، تميل عليه، وتنادي بصوت مرتفع).

سيان: (تنادي) من هذا!!!؟

موظف الغاز: (بصوت متعب مصاب بالزُّكام): موظف الغاز...

سيان: (تترنّح، تضع إحدى يديها على قلبها، وتضع الثانية على رأسها. تكاد تقع. تستند إلى الجدار. لا تصدق أذنيها. تسأل ثانية): من هذا!!!؟

موظف الغاز: (صوته من الخارج): موظف الغاز...

سيان: من قلتم، من قلتم؟

موظف الغاز: موظف الغاز، الغاز...

(سيان تتجه بخوف نحو الجدار لتضرب عليه وتنادي ديها. تهمُّ بالضرب، ثم تعدل... يلمع في عينيها بريق، تبتسم. فيما تجدّد زينتها أمام المرآة يرن جرس الباب مرة أخرى، تسرع وهي تجر رجلها وتخرج لفتح الباب).

الفصل الثاني

(المكان نفسه. استمرار لنهاية الفصل الأول)

سيان: (صوتها من الخارج) تفضلوا يا سيدي، تفضلوا... تفضلوا أرجوكم.

موظف الغاز: (أثناء دخوله): أنا... من أجل شيء... يعني... لكي لا نفعل شيئاً... فقط... ألقي نظرة... لكي لا أزعجك... (سيان تدفع موظف الغاز من خلفه وتدخله إلى الداخل) سأرى موقد الغاز وساعة غازكم يا سيدتي...

سيان: (بعد أن تفحص الموظف بعينيها): هكذاا!..

الموظف: هكذا!..

سيان: إذن، أنتم!

الموظف: أجل، أنا!... (سيان تقلب شفتيها حائرة) لمَ حرتم هكذا؟

سيان: يعني، هل موظف الغاز ذاك هو أنتم الآن؟

الموظف: أما قلت لك، أنا يا سيدتي... ما الذي في هذا يدعو للحيرة لهذه الدرجة؟

سيان: لا أعرف... لقد جرت فجأة... لا، لا!! لم أحَر... لماذا أحار، الإنسان لا يعرف أبداً بمظهره الخارجي... أليس كذلك؟

الموظف: طبعاً...

سيان: كيف أوضح لك...

الموظف: لكن هذا ليس المطبخ...

سيان: المطبخ؟ ماذا سيحدث في المطبخ؟ أم أنكم في المطبخ...

الموظف: (قاطعاً كلامها) موقد الغاز يا سيدة...

سيان: (مجبرة الموظف على الجلوس) تفضلوا، تفضلوا... تفضلوا بالجلوس! (تخطو خطوتين أمام موظف الغاز لكي تريه مكاناً للجلوس، تتوقف. موظف الغاز المهزوز الذي

يسير حائراً يصطدم بظهر سيان المنحنية، سيان تظن أن موظف الغاز سيهجم عليها ليخنقها، فتقفز إلى الخلف دفعة واحدة، وتستند إلى الجدار بكلتا يديها، وتولول. موظف الغاز يخاف أكثر من سيان وقد سمع هذه الولولة، فيقفز إلى الطرف الآخر. وفيما هما يحدِّقان ببعضيهما بخوف يسمع صوت ديها).

ديها: (من خلف الجدار) سيدة سيااان!... ماذا حدث، لماذا صرخت هكذا؟

سيان: (مشيرة لموظف الغاز الممتلئ خوفاً إشارة اسكت): شيششششت!... (لديها) أنا؟ أنا صرخت... آه، هذا... تذكرت فجأة الأيام الماضية... ويبدو أنني تنهَّدت...

ديها: (من خلف الجدار) أيكون قد جاء؟

سيان: (ترتبك) لا، لا... (عيناها على موظف الغاز) ليس هناك قادم أو ذاهب... لم يأتِ، ثم لماذا يأتي! ألم يجد في هذه البلدة الكبيرة غير بيتي ليأتي إليه...

ديها: (من خلف الجدار) حسناً، حسناً، إذن... إذا حدث شيء فاصرخي فوراً... أليس كذلك؟

سيان: حسناً، حسناً...

(سيان تنظر إلى موظف الغاز وهي تبتسم. موظف الغاز الخائف عينه على الباب. ينظر إلى الباب تارة، وإلى سيان تارة أخرى. وهو وإن حاول الهرب من الباب مرة أو مرّتين، إلا أن تصرفات وتحركات سيان تحول بينه وبين الهرب).

سيان: (محاولة الابتسام للتغلب على خوفها): هل فعلاً أنتم هو؟

الموظف: من هو؟

سيان: هو... موظف الغاز

الموظف: أما قلت لك يا سيدة، أنا طبعاً... إن كنت لا تصدقين فلأريك بطاقتي.

سيان: آ آ آ... إذن، أنتم. طالما أنتم، إه ماذا نفعل، فليكن كذلك... (ترمقه بنظراتها من شعره حتى أظافره).

الموظف: (ينظـر إلى نفسه وإلى ثيابه، يتلمس أزرار بنطاله علّها بقيت مفتوحة. ينسحق ويذوب) هل هناك شيء؟ (يسعل).

سيان: لا شيء... كنت أظنك طويل القامة...

الموظف: لماذا؟ ليس من الضروري أن يكون المرء طويل القامة ليصير موظف غاز.

سيان: و، ثم... عفواً ولكن، كنت أظنك أكثر شباباً.

الموظف: موظف الغاز... (يسعل).

سيان: (قاطعة كلامه بانفعال) ربما ليس ضرورياً أن يكون المرء شاباً ليصير موظف غاز، ولكن...

الموظف: لا لاا!.. يجب أن يكون شاباً لهذا العمل...

سيان: طبعاً، أليس كذلك...

الموظف: يجب أن يكون ذا قوة وعزم.

سيان: حتماً... حسناً، ولكن أنتم كيف تستطيعون القيام بهذا العمل؟..

الموظف: (يتكلم وهو يسعل) إه هكذا... نتدبَّر الأمر يا سيدتي... ثم هناك الاعتياد...

سيان: حتى الآن ألم...

الموظف: (مقاطعاً كلامها) كلا، لم أتركه ناقصاً أبداً. لكن الحقيقة أنني صرت أتعب كثيراً، لست كالسابق...

سيان: يا حرام!

الموظف: رؤسائي راضون عني جداً.

سيان: (حائرة جداً) رؤساؤك؟ ألك رؤساء أيضاً؟

الموظف: طبعاً، أيمكن أن لا يكون! وكلهم راضون عن عملي...

سيان: أمدك الله بالقوة، ليس سهلاً...

الموظف: إنه يتطلب قوة... التجوُّل في الشوارع طوال اليوم، صيفاً شتاء، والدوران على البيوت، وصعود السلالم...

سيان: لكن هذا طابق أرضي، مستوٍ...

الموظف: هكذا منذ سنوات... أنا في الأصل موظف غاز قديم. وقد أحلت إلى التقاعد منذ أربع سنوات.

سيان: (حائرة) هل لعملك هذا تقاعد؟

الموظف: طبعاً... أنا مؤمَّن. بعد أن أحلت إلى التقاعد... ولأن رؤسائي راضون عني جداً عيَّنوني بالأجرة في عملي نفسه...

سيان: في عملك نفسه إذن؟

الموظف: أجل... ماذا أفعل، فالمعاش التقاعدي ضئيل بشكل... في هذا العمر، ومازلت مضطراً للقيام بالعمل نفسه.

سيان: (مشمئزة) يعني، أنتم تعملون من أجل المال؟

الموظف: حتماً يا سيدتي... أعرف أنه عمل متعب وقذر وسيءٌ... وبدون مالٍ، هل كنت لأعمله إكراماً للعشق...

سيان: (بخيبة أمل كبيرة) حرام جداً... بلا رغبة...

الموظف: هذا العمل نفسه منذ سنوات طويلة، لقد مللت، ولكن ماذا أفعل...

سيان: جرائم منذ مدة طويلة.. (تتوقف فوراً)

الموظف: (لم يفهم) ماذا؟

سيان: لا شيء... قلت منذ مدة طويلة.

الموظف: أجل، منذ مدة طويلة... كما قلت، إني ذو تجربة... (يسعل طويلاً)

سيان: اجلس، اجلس هكذا أرجوك. لماذا تقف على قدميك؟

الموظف: أشكرك. سأمر على أماكن كثيرة... أين موقد غازكم؟ فلأره ولأذهب فوراً... (يسعل).

سيان: (تتغنَّج كفتاة شابة) آ آ آ، أيمكن أبداً... لقد جئت للتو... وأنت تسعل... اجلس وارتح قليلاً...

الموظف: أدامك الله... (يجلس) في الحقيقة لقد تعبت كثيراً. فلأرتح قليلاً... أين المطبخ؟

سيان: أليس المكان هنا مريحاً أكثر؟

الموظف: مريح، جيد جداً...

سيان: (تجلب وسادة صغيرة من الأريكة) فلأضعها خلف ظهرك كي ترتاح.

الموظف: أشكرك... (في كل حركة من حركاته يتلفّظ بكلمات "آه، أوف..." كإنسان متعب ومريض)

سيان: ما بك؟ هل أنت مريض؟

الموظف: الروماتيزم... أعاني منه منذ سنوات. ها إن رِجليَّ وركبتيَّ تؤلمني ثانية...

سيان: أوّاه أوّاه... معافى... أنت في هذه الحالة ومع ذلك...

الموظف: أجل... (يسعل) بالرغم من حالتي هذه، فإني أنجز مهمتي دون أي تقصير... (يبحث في جيوبه عن علبة سجائره).

سيان: هل تبحث عن شيء ما؟

الموظف: (باحثاً) يا إلهي... أين وضعتها... لا بد أنني نسيتها في مكان ما...

سيان: هل تبحث عن سجائر؟

الموظف: أجل، لقد نسيت علبة سجائري في مكان ما... (ينهض) فلأذهب و...

سيان: توقّف، توقّف... سجائر أليس كذلك؟ حسناً... سجائر... أنا أعثر عليها الآن... (تدور في الغرفة بارتباك لكي لا يذهب الموظف) سجائر... اجلس، أنت اجلس... (فيما هي تفتح الخزانات والأدراج وتبحث، تكلمه) سأعثر

لك على سجائر... الآن... يا إلهي، كنت قد رفعتها في مكان ما، ولكن أين وضعتها يا ترى... أنا أعرف ماذا يعني إدمان التدخين... أنا لم أدخِّن لكن الجنرال كان يدخن... لكن الجنرال كان يدخن الغليون. هَـهْ تماماً... غليون الجنرال...

الموظف: فلأذهب أنا و...

سيان: آ آ آ، وماذا بعد... لا أدعك أبداً... هل يعقل أبداً أن تذهب دون أن تدخِّن ولو غليوناً واحداً! (تعثر في الدرج السفلي لخزانة الملابس على الغليون وتبغه) هَـهْ، كنت قد وضعته هنا... غليون الجنرال... تفضل، ويوجد تبغ أيضاً...

الموظف: (بخوف) هل قلتم غليون الجنرال؟

سيان: أجل، غليون الجنرال... خذه، خذه... لا تخف يا عزيزي ليس من الجنرالات الحاليين، إنه من الجنرالات السابقين...

الموظف: ليكن، ليكن، لا أريد... دمت سالمة، لا أريد...

سيان: لقد مات، ومضت مدة طويلة على موته... هيا دخِّن...

الموظف: لا أستطيع... لم أدخِّن غليوناً أبداً حتى الآن...

سيان: سجائر أو غليون... ما الفرق! إملأ هذا التَّبغ فيه.

الموظف: أوأوأو... هذا التَّبغ قد صار شيئاً... هل هو معفِن أم ماذا...

سيان: المكان هنا رطب لدرجة، حتى أنا صرت نوعاً ما شيئاً...

الموظف: تبغ جاف، جاف...

(موظف الغاز يملأ الغليون تبغاً بمساعدة سيان، سيان تجلب كبريتاً، وتشعله. موظف الغاز يسعل طويلاً كأنه يكاد يختنق من دخان الغليون. يسعل طويلاً بحيث ترتمي حقيبته في طرف، ويرتمي الغليون في طرف، وهو يكاد يقع فتمسك به سيان. سيان المرتبكة تحضر كأس ماء).

سيان: اشرب رشفتين، اشرب، اشرب!

الموظف: (من خلال سعاله يظنه الغليون) لا أشرب!...

سيان: ماء يا عزيزي هذا ماء... هيا اشرب! (الموظف يشرب) يا إلهي، ماذا حدث لك هكذا... هل التَّبغ ثقيل عليك...

الموظف: أي ثقيل يا سيدتي، لقد استحال باروداً، بارود... ليس تبغاً، إنه بارود معفن...

سيان: إذن هو قاس كالبارود... والجنرال كان هكذا أيضاً، بل كان أقسى من البارود.

الموظف: إه، فلأرى موقد غازكم ولأذهب أنا...

سيان: آ آ آ... ما عجلتكم؟ مازال... لم يحدث شيء حتى... يعني... (تضحك بلا سبب) هيا، هيا اجلس... (الموظف يسعل) وأنت مريض، لا يمكنني مطلقاً أن أدعك وأنت بهذه الحالة... أيّ وجدان يسمح بذلك!

الموظف: إنه الروماتيزم... (يسعل)

سيان: ليس روماتيزماً فقط، أنت تسعل أيضاً... فلأحضر لك شراب سعال...

(تخرج من خزانة الأواني زجاجة شراب سعال وتجلبها مع ملعقة وكأس من الماء. موظف

الغاز ينهض ببطء وتمهل، وعندما يمدّ كلتا يديه بالبطء نفسه، ليتناول العلاج، يخيَّل لسيان أن موظف الغاز سينقضُّ عليها ليخنقها. تتراجع إلى الخلف وتصرخ).

الموظف: (خائفاً) ماذا يحدث لـ لك؟ لماذا تصرخين هكذا بين الفينة والفينة؟

سيان: لا شيء، لا شيء... لا يوجد شيء... حدث شيء هكذا فجأة ولذا...

الموظف: (يتناول ملعقة من شراب السُّعال، ويشرب فوقها كأساً من الماء) أشكرك، أنت لطيفة جداً جداً يا سيدتي...

سيان: لا يستوجب الشُّكر...

الموظف: إه، فلأذهب إذا سمحت لي ولأفحص موقد غازكم و...

سيان: ولكن مازال... ألن تفعل شيئاً؟ والطقس شيء كثير... هذا الطقس سوف يزيد من آلام روماتيزمك... والمطر غزير، إنها تمطر بغزارة... فليخفَّ المطر قليلاً، وعندها تذهب.

الموظف: أيُّ مطر!... ليس هناك مطر... والجو صحو، ومشمس...

سيان: أهكذا... يخيَّل لك ذلك. الجو صحو الآن، لكنَّها ستمطر بعد قليل، وستمطر بغزارة كأنها تنسكب من الكؤوس... فأنا أفهم في الأحوال الجوية... (الموظف يسعل) لا يمكن، لا أستطيع أن أتركك وأنت تسعل هكذا... هل ماتت الإنسانية، كيف يمكن... توقّف، توقّف، سوف أغلي لك زهورات...

الموظف: (ينهض) سوف أتأخر...

سيان: آآآآ! وحذاؤك مثقوب... إنه يُدخل الماء، يا حرام.

الموظف: إنه يُدخل الماء، ويُدخل التراب... انثقب منذ زمن بعيد.

سيان: سأعطيك جزمة تلبسها في الثَّلج وفي المطر فتحسُّ بالدُّفء...

الموظف: آه، ما ألطفك... لو كانت النساء كلهنَّ طيِّبات القلب مثلك...

سيان: اخنقهن عندئذ... (تقطع كلامها دفعة واحدة، وتغلق فمها بيدها. وتسرع فتخرج من خزانة الملابس جزمة الجنرال). هي ذي... انظرا... قديمة لكنها جديدة!...

الموظف: ماذا؟

سيان: يعني، إنها جديدة وإن كانت موجودة منذ مدة طويلة...

الموظف: هذه الجزمة؟

سيان: إنها لك، البسها هيا البسها...

الموظف: (بفرح) لي؟ ماذا تقولين؟

سيان: أجل، البسها. جزمة الجنرال.

الموظف: (خاف وقد سمع كلمة الجنرال، ساءت حالته) ماذا؟ هل لحضرة الجنرال؟ أستغفر الله... لا أستطيع لبسها! (بخوف شديد) جزمة حضرة الجنرال... مستحيل...

سيان: البسها يا عزيزي، أنا أعطيك إيَّاها، البسها...

الموظف: (يرتبك ويضطرب أثناء حديثه من شدة الخوف) جزمة حضرة الجنرال... لا أستطيع لبسها!!!.. جنرال حضرة الجزمة... لا يمكن! جنرال حضرات الجزمات... مستحيل!

سيان: لا شيء في هذا يدعو للخوف لهذه الدرجة...

الموظف: لكنك قلت قبل قليل بأنه قاسٍ كالبارود... أنا أخاف من الجنرالات... أنا (يعدل عن الشَّرح) هكذا إني أخاف...

سيان: أنا أعطيك هذه الجزمة.

الموظف: وإذا رأى الجنرال الجزمة في قدمي؟

سيان: الجنرال مات...

الموظف: ليكن، مع ذلك يراها... يراها أحد الذين يعرفون الجزمة...

سيان: الجنرال مات منذ مدة طويلة، منذ ثلاث وعشرين سنة...

الموظف: إني خائف...

سيان: لا تخف، البسها، هيا البسها!...

الموظف: (يدير ظهره ويخلع حذاءيه القديمين) لا يبدو عليها أنها من ثلاث وعشرين سنة، إنها جديدة كل الجدَّة...

(يضع ساق بنطاله الطويل داخل إحدى فردتي الجزمة ويلبسها. قدمه الثانية بالجورب).

سيان: أجل هكذا. لأنني منذ ثلاث وعشرين سنة وأنا أنظفها كل أسبوع وأفرشيها بالفرشاة وأصبغها بالصِّباغ وألمعها، لذلك مازالت جديدة. كيف هل صارت على قدميك؟

الموظف: قليلاً...

سيان: هل هي ضيقة؟

الموظف: ليست ضيقة، بل هي كبيرة جداً و... لكن كم هي قاسية...

سيان: قاسية... الجنرال كان قاسياً أيضاً...

الموظف: (خائفاً مرة أخرى) دعي الجنرال الآن، تبغه قاسٍ، جزمته قاسية، هو قاسٍ... إنها تضرب قدمي!...

سيان: قاسية و... هذا... يعني... لقد يبست لأنها لم تلبس لكنها ستلين وتفتح مع تكرار اللبس...

الموظف: (وهو يلبس فردة الجزمة الأخرى) أجل، أجل، الجزمة تلين قليلاً، وقدمي تلين قليلاً فيعتادان بعضاً... دمت سالمة جداً (الجزمة كبيرة جداً على قدمه) ربما هي كبيرة قليلاً ولكن...

سيان: لا، لاااا... ليست كبيرة البتة... إنها على مقاس قدميك تماماً...

الموظف: (بخيلاء) الجزمة تليق بي دائماً.

سيان: هل كنت تلبس جزمة سابقاً؟

الموظف: لااا، يعني لو كنت لبست، قصدت أن أقول. لو لبستها للاقت بي. مهما شكرتكم يبدو قليلاً... إه، لو سمحت لي فلأشاهد موقد غازكم...

سيان: (ولكي تحول دون ذهاب الموظف، تقول باضطراب وكأنه خطر ببالها فجأة) هه، تماماً... الإفطار... أجل، الإفطار أفضل شيء... أنا أيضاً لم أفطر بعد، نتناول

الإفطار سوية، آ آ آ، حذار من أن تقول لا، أزعل والله... أيّ إزعاج يا عزيزي، لماذا سيكون هناك إزعاج، كل شيء جاهز في المطبخ ينتظر، والشاي على الموقد... أذهب مسرعة، وأجلبه فوراً.

(سيان تخرج مسرعة وهي تجرُّ قدمها. الموظف يتناول بسرعة من الأرض حذاءيه القديمين اللذين خلعهما ويدسُّهما في حقيبته. عيناه على الجزمة، يشبك يديه خلف ظهره، ويمشي متبختراً بخيلاء. يأخذ عدَّة وضعيَّات، ينتفخ، ينظر إلى نفسه في المرآة. يصفر مسروراً، سيان تدخل وهي تحمل بيديها صينية عليها أواني إفطار لشخصين).

سيان: هُوَذاااا... كل شيء جاهز. (تضع الصِّينيَّة على الطاولة) تفضل، هيا تفضل... (تقترب من الموظف بغنج) والله أزعل... إنه شيء عبارة عن لقمتين...

(موظف الغاز يقترب من الطاولة خجلاً خجلاً، ويجلس. سيان تسكب الشاي من الإبريق في الكأسين. تجلس بمقابلة الموظف.

تُسمع جلبة من الخارج. يُفتح قفل باب البيت بمفتاح. يفتح الباب الخارجي بصرير. وقع أقدام صاخبة ينقلبان آذاناً صاغية. الموظف خائف جداً).

سيان: أوّاه!...

الموظف: (مرتجفاً خائفاً) أيكون... حضرة الجنرال الجزمة قد جاء؟ (يحاول خلع الجزمة باضطراب، لا يستطيع. بارتباك) أنا لم أطلبها... أنا ما أردت الجزمة... أنت ألبستني رغماً عني... حضرة الجنرال الجزمة... طيِّب، ماذا سيحدث الآن؟...

ديها: (صوتها من الخارج) سيدة سيان... سيدة سيان!...

سيان: (تقفل فوراً باب الغرفة بالمفتاح الموجود على القفل، وتهمس للموظف) أسرع، وادخل تحت هذه الأريكة، أسرع! هيا اختبئ... (فيما ديها تحاول فتح الباب من الخارج، سيان تدفع موظف الغاز تحت الأريكة).

الموظف: (يهمس خائفاً) هل حضر الجنرال؟

سيان: (هامسة) أيُّ جنرال يا عزيزي... أقول لك ادخل تحت هذه.

ديها: (تهزُّ الباب محاولة فتحه) سيان... افتحي الباب يا عزيزتي...

الموظف: لماذا يا سيدتي؟ دعيني أذهب، أرجوك...

سيان: شيششششت... نسيت أن أخبرك: أنا امرأة أعيش بمفردي، حضرت جارتي، فإذا رأتك هنا... وهي امرأة ثرثارة... (وفيما هي تردُّ على ديها، تدفع موظَّف الغاز المرتبك، بعنف قليلاً تحت الأريكة) انتظري، انتظري يا سيدة ديها... دقيقة واحدة!... إني أفتح... (لموظف الغاز) هيا هيا... (موظف الغاز يدخل تحت الأريكة. الجزمة بادية من تحت الأريكة).

ديها: (من الخارج) ماذا حدث يا عزيزتي؟ هل حدث شيء... هل حضر هل هو في الداخل؟ آه يا ربي!... أيكون قد خنقك... لماذا لم تخبريني؟ هيا اشرحي لي كيف خنقك... أكاد أنفجر توقاً لمعرفة ذلك...

سيان: (تتكلم) لا يوجد شيء. لا يوجد شيء... إني أفتح...

(تفتح الباب، ندخل ديها).

ديها: (تندفع إلى الداخل كأنها ستلقي القبض على أحد ما. تفتح ذراعيها باحثة في كل مكان، وهي تتكلم) آه، وصلت روحي إلى حلقي.. خفت بشكل عندما سمعت صرخة صادرة من هنا... ومرّتين...

سيان: ألم أقل لك لا يوجد شيء...

ديها: هل فعلاً لا يوجد شيء؟ ألم يأت؟ وتلك الصرخة الثانية عندما سمعت تلك الثانية قلت في نفسي، تمام، لقد جاء الرجل وهو يخنق سياني المسكينة... جيد جداً أني أخذت منك مفتاح باب البيت...

سيان: (منفعلة وساخرة) طبعاً، جيد أنك أخذته...

ديها: تنصت فترة من خلف الجدار، ولكن... لا تدرين كيف أسرعت... خاصة عندما رأيت الباب مقفلاً... (لشكّها بسيان تستمرُّ في البحث، وتتكلم بريبة) حسناً ولكن إذا لم

يحضر الرجل، وإذا لم يخنقك، فلماذا أقفلتِ الباب؟

سيان: هذا... هَهْ، كنت أغيِّر ملابسي الداخلية... ألا تحلُّ اليوم الذكرى الخمسون لزواجي... هكذا أقفلته... ربما أحدهم...

(يرنُّ جرس الهاتف، سيان تذهب إلى الهاتف)

سيان: (على الهاتف) آلو... نعم... آ آ آ، أهذا أنت؟ (تضع يدها على مرسل قبضة الهاتف وتخاطب ديها) ابني... (على الهاتف) أنا بحالة جيدة يا ولدي، أشكرك، كيف حالك أنت؟ حسناً فعلت إذ اتصلت بي... أتدري، اليوم يوم مميز... كيف؟ سأشرح لك، اسمع: اليوم تحل الذكرى الخمسون لزواجنا أنا وأبوك... طبعاااان!.. (ولكي تحول دون ديها التي تبحث بشك وريبة في أرجاء الغرفة ودون أن ترى موظف الغاز القابع تحت الأريكة، تمشي هنا وهناك وهي تتكلم بالهاتف محاولة قطع الطريق على ديها وعرقلة وصولها إلى حيث الأريكة). من؟ من قلت؟ موظف الغاز؟ أجل، لقد حضر، إنه هنا... (تشعر

فوراً بأنها أخطأت وتحاول تغيير الحديث) أماناً أي موظف غاز يا عزيزي... لماذا سيكون هنا!... يعني عندما قلت إنه هنا قصدت أن أقول إنه في هذه المدينة؛ الصحف تقول ذلك... لماذا يا روحي؟ لا، لا... أجل، يقال إنه قاتل... (تسحب شريط الهاتف بقدر المستطاع وتقف أمام ديها) إنه يخنق)... لماذا يأتي موظف الغاز إلى بيتي يا روحي... طالما إنه ليس في بيتنا... لا تبالي مطلقاً. طبعاً الباب مقفل. حاضر، حاضر، سوف أزلجه بالمزلاج أيضاً... الباب الخارجي؟ له مزلاج، وله ذراع حديدية أيضاً... أجل وهناك سلاسل... لا تهتم! الراديو؟ هل يذيع الآن... حاضر، سأفتح الراديو... أشكرك. مع السلامة يا ولدي... (تغلق قبضة الهاتف) هناك أخبار مرة أخرى في الراديو...

ديها: (تفتح الراديو) هل عن موظف الغاز؟

سيان: لا تفتحي هذا الراديو، لقد مللت من قصة موظف الغاز هذا...

المذيع: أيها المستمعون الكرام! نتلو عليكم فيما يلي بيان الولاية حول هذا الموضوع: "إلى مواطنينا الكرام: بالرغم من عدم التأكد من شخصية سفاح النساء الذي يرتكب جرائمه المتلاحقة في ولايتنا منذ أسبوعين وحتى الآن، إلا أن رجال الشرطة يقتفون أثر المجرم. ويعمد سفاح النساء الذي ارتكب حتى الآن جريمته العاشرة، إلى التَّنكُّر بزيٍّ موظف غاز، ودخول البيوت بحجة فحص ساعات ومواقد الغاز، فإذا ما وجد في البيت الذي يدخله امرأة تعيش بمفردها فإنه يغتصب تلك المرأة ثم يخنقها".

(فيما يستمرُّ المذيع في تلاوة البيان، يفهم موظف الغاز القابع تحت الأريكة الموقف عند هذه النقطة من كلام المذيع، فيمتلئ رعباً ويخرج رأسه من تحت الأريكة، ويتحيَّن فرصة ليفر ويهرب من الباب. عندما ترى سيان رأس موظف الغاز وقد امتد وخرج من تحت الأريكة تعمد فتخطو أمام ديها يميناً ويساراً من ناحية، ومن ناحية ثانية تدفع

بقدمها رأس موظف الغاز إلى تحت الأريكة مما يضطر موظف الغاز إلى سحب رأسه).

المذيع: "يرجى من السيدات عدم البقاء في البيوت بمفردهنَّ في هذه الأيام، وعلى السيدات المضطرات للعيش بمفردهنَّ أن يحكمن إقفال أبواب بيوتهن، وأن يزلجنها بالمزلاج، وينصبن الأذرع الحديدية خلفها. وكتدبير احترازي يُطلب إليهنَّ عدم إدخال موظفي الغاز إلى بيوتهن عندما يكن بمفردهن". (تعزف الموسيقى. ديها تقفل الراديو).

ديها: أرى جزمة تحت الأريكة.

سيان: إنها جزمة المرحوم زوجي... جزمة الجنرال...

ديها: لم يحضر موظف الغاز إذن...

سيان: ألم أقل لك لم... لم يأت؟

ديها: ولم يأت إلي كذلك... إنه لا يكفُّ عن خنق النساء، اسمعي ما يقوله الراديو...

سيان: وأنت كامرأة تعرفين جيداً، أن هناك كثيرات جداً من النساء في هذا العالم يستحققن الخنق، أليس كذلك؟

ديها: هو كذلك... فالأمر يختلف من امرأة لأخرى، هناك امرأة تستحق الخنق، وهناك امرأة لا تستحق الخنق...

سيان: (ناظرة إلى تحت الأريكة) أنت إذا استسلمتِ بشكل جميل، ولم تخرجي صوتك، فلماذا سيخنقك، أليس كذلك... هو أيضاً ذو قلب، هو أيضاً ذو وجدان... (صمت) أغلب الظن أنك تركت أشغالك وأعمالك وجئت من أجلي.

ديها: أجل هكذا...

سيان: اذهبي الآن إذا أردت، وأنجزي أعمالك ثم عودي... وأنا أرتّب المكان حتى ذلك الوقت... ثم...

ديها: سنحتفل بذكرى زواجك. حسناً فلأذهب و... (أثناء مغادرتها ترى على الطاولة إفطاراً لشخصين، وكأسين مليئين شاياً، ترتاب، تتوقّف). ما هذا؟ لقد جهّزتِ إفطاراً لشخصين، وملأتِ كأسين شاياً... أكنت تنتظرين أحداً؟

سيان: لا يا عزيزتي، من الذي سأنتظره... (فجأة) ها، كدت أنسى؛ كنت سأناديك للإفطار، جئت في الوقت المناسب... انظري، حتى أنّي سكبت شايك أيضاً... هيا اجلسي، لنفطر ثم تذهبين...

ديها: (تجلس) وأنا لم أفطر بعد...

سيان: هل برد الشاي؟

ديها: (تتناول كأس الشاي بيدها) لاااا، جيد...

(تتحدّثان أثناء تناولهما الإفطار)

سيان: أشعر بنفسي اليوم خفيفة كالطّير. لا أدري لماذا أحسُّ في داخلي بفرح، بفرح...

ديها: أيمكن أن لا تعرفي السبب، السبب معروف: لأنك سوف تحتفلين بالذكرى الخمسين لزواجك...

سيان: (ناظرة إلى صورة الجنرال) كيف تحمّلت خمسين سنة...

ديها: لكن زواجك لم يدم خمسين سنة...

سيان: لماذا لم يدم؟ الجنرال مات، لكن شجاراتنا لم تنقطع، تشاجرنا يومياً على مدى خمسين سنة.

ديها: لذلك أنت خفيفة كالطير...

سيان: (ناظرة إلى صورتها) يا للعجب... مازلت حتى الآن أشعر كأنني في نفس عمري وأنا في هذه الصورة في الثامنة عشرة من عمري.

ديها: صدقيني، وأنا كذلك... أشعر كأنني في الحادية والعشرين من عمري.

سيان: لا، أنت تبدين في الثالثة والعشرين...

ديها: لماذا؟

سيان: إي بما أنك أكبر مني بخمس سنين، وعندما أكون أنا في الثامنة عشرة...

ديها: الحادية والعشرون، والثالثة والعشرون... يعني أن داخلي شاب...

سيان: داخلنا شباب... لكن مظهرنا الخارجي؟ إني أنظر إلى صورتي هذه و...

ديها: (ناظرة إلى صورة سيان) ماذا هناك؟ لم تتغيَّري أبداً... أنت كما أنت... الحاجبان نفسهما، العينان نفسهما الفم نفسه، الأنف نفسه...

سيان: إني أعرف.

ديها: اعرضي هذه الصورة على من تشائين، سيعرف فوراً أنها صورتك... الجميلة جميلة دائماً... (تتصرف كمن تذكرت شيئاً فجأة) هاا، صحيح لقد نسيت، بعد أن خرجت من هنا...

سيان: (ساخرة) هل جاء موزع البريد مرَّة أخرى؟

ديها: أجل، كيف عرفت؟

سيان: (ساخرة) لأن هذا ما يحدث دائماً...

ديها: (منفعلة) كيف يعني؟

سيان: كلما قلت أنني مازلت أشبه صورتي القديمة... (تتوقَّف)

ديها: (منفعلة) أجل، أكملي!

سيان: تقولين أن موزع البريد أحضر رسالة، رسالة غرام... تخرجين الرسالة من صدرك.. إنه ليس صدراً، إنه صندوق بريد... تقرئين رسالة الغرام... وترفضينها دوماً. (تقلّد ديها) رفضتها...

ديها: يعني أنت الآن لا تصدّقين؟

سيان: ماذا؟

ديها: أنّني رفضتها... (سيان تضحك مقهقهة طويلاً وكأنها سمعت نكتة مضحكة جداً) علام تضحكين هكذا، ماذا هناك؟

سيان: عزيزتي، لأنه لا وجود لمرسل يرسل رسائل غرام لكي يحضرها موزع البريد، ولكي ترفضيها... رسائل الغرام تلك كلها مكتوبة في كتاب. ولقد قرأتها في الكتاب مئة مرّة على الأقل... كأنني لا أعرف أنك نقلتها حرفياً من كتاب "رسائل العشاق" وأرسلتها لنفسك... لكنني لم أواجهك بذلك...

ديها: (تنهض منفعلة) ليس كذلك البتة! كذب!...

سيان: كذب؟ حسناً إذن (تخرج كتاباً من درج الخزانة، تقلّبه، تقرأ) ها هو!... "رسائل العشاق"... الصفحة الخامسة والأربعون... "نموذج رسالة غرام ترسلها إلى سيدة راقية تعرفت عليها في حفل ما: ملاكي! بأمل كبير في أنكم ستجدونني جديراً بعفوكم إذ بدأت رسالتي بهذه العبارة، أرجو إذنكم الرّفيع في أن أتجرّأ وأعبر لكم عن مشاعري الصميمية جداً".

ديها: (تصرخ) كفى!...

سيان: (مقهقهة) توقّفي... من الصفحة الرابعة والثمانين...

"نموذج رسالة غرام تكتبها لسيدة تعرّفت عليها في الطريق أو في السينما أو في المركب، ووقعت في غرامها من النظرة الأولى... "روحي، أدركت منذ اللحظة الأولى التي رأيتكم فيها أن مجرى حياتي سيتغير، ولن أتردد في الاعتراف بأنني سجلت في تلك الليلة في دفتر مذكراتي، على الصفحة التي

تحمل تاريخ ذلك اليوم، عبارة "القدر يغزل شباكه"..."

ديها: (تصرخ) اسكتي ي ي! (بينما تنهمر الدموع من عيني ديها تقهقه سيان ضاحكة. يبقيان هكذا فترة). ماذا هناك يعني، ماذا حدث؟... أنا أيضاً أعرف أن هذه الصورة ليست صورتك (مشيرة إلى الصورة المعلقة على الجدار) هل هذه الصورة صورتك؟

سيان: (تتجمَّد الضِّحكة في وجهها) صورة من هي، قولي صورة من؟

ديها: (تطلق القهقهات) تعالي إلى بيتي لأريَكِ صورة من هي إنها صورة الفنانة بياتوبي، كانت نجمة مشهورة في زمانها...

سيان: (تصرخ) كذب، كذب... إنها صورتي...

ديها: (تقهقه ضاحكة) لدي كثير من المجلات السينمائية القديمة وبينما كنت أقلِّب المجلات التي تعود لخمسين عاماً مضت، رأيتها، وهي نجمة مشهورة جداً... إنها الصورة نفسها، الوضعية نفسها... اقتطعتها

من المجلة السينمائية ووضعتها ضمن إطار، ووضعت عليها لوحاً بلورياً وعلقتها هناك... ورحت تقفين أمامها وتتحسَّرين قائلة "آه يا للشباب"... هل كنت تظنين أنني أصدقك؟

سيان: (تصرخ) اسكتي ي ي!..

ديها: كنت أعرف ولكن، كنت حتى اليوم أتظاهر بعدم المعرفة، ولم أزعجك...

سيان: كفى!...

ديها: (بتعالٍ) كيف رأيت؟...

سيان: اذهبي من هنا بسرعة...

ديها: إني ذاهبة، ذاهبة... ولن أعود ثانية... حتى لو أغمي عليك فعلاً لا تظاهراً لن آتي إلى هنا... حتى لو جاء موظف الغاز لن آتي، فليأتِ وليخنقك.

سيان: إن خنق فليخنق، لا تتدخَّلي أنت...

ديها: (أثناء مغادرتها) إذا جاء اضربي على الجدار فوراً، لا تنسي!...

(ديها تخرج. سيان تنحني فوق الطاولة وتجهش في البكاء. فيما يحاول موظف الغاز الخروج من تحت الأريكة ينحسر بنطاله حتى الفخذين. ينهض، يرتِّب نفسه يذهب إلى حيث سيان تبكي).

الموظف: (مرتبكاً) سيدتي، سيدتي... سيدتي المحترمة... إنك تتضايقين بلا مبرر... لا تبكي يا عزيزتي... برأيي أن تلك المرأة ليست محقَّة... لم تقل الحقيقة... إني أفهم جيداً في الصور. إنهم يسألونني دوماً فيما إذا كانت الصورة تشبه صاحبها أم لا... هذه الصورة صورتك... وتشبهك كثيراً... أقسم على ذلك... (يجلس على كرسي، ويحاول خلع الجزمة) أنا... أنا ذاهب يا سيدتي... (يسعل، يئن، يتأوه، يتأفف).

سيان: (ترفع رأسها، عيناها مبللتان بالدموع) ولكن لماذا؟! لماذا تذهب؟ لم أستطع إكرامك بشيء...

الموظف: كيف يمكنني البقاء بعد يا سيدتي؟ لقد سمعت ما أذاعته الإذاعة قبل قليل...

سيان: أهي المرَّة الأولى التي تسمع فيها هذا الخبر؟

الموظف: أجل إني أسمعه للمرة الأولى...

سيان: مع أنهم يذيعونه في الراديو مرة أو مرتين في اليوم، منذ أسبوع... والصحف تكتب عنه كذلك.

الموظف: شيء معيب، لكن ليس لديّ راديو في بيتي... ولا أقرأ الصحف... ولم أسمع به من أحدٍ ما. (خلع الجزمة. ينهض على قدميه ذي الجوربين). إه، فلأذهب... أفحص ساعتكم في وقت آخر... (يسعل).

سيان: (تعترض طريقه) لا أدعك مطلقاً وأنت بهذه الحالة... في هذا البرد، كيف يمكن...

الموظف: الطقس حار يا سيدتي...

سيان: حسناً، كيف يمكن في هذه الحرارة... دقيقة واحدة، دقيقة واحدة... (تُخرج من خزانة الملابس المشجب العمودي الذي علقت

عليه ملابس الجنرال). هيا البس هذه... (ودون أن تبالي باعتراضات موظف الغاز تخلع عنه سترته وترميها) هذا زي جنرال، ولكن بما أنه طراز قديم، فليس ممنوعاً أن ترتديه الآن... البس، البس... (تُلبس موظف الغاز سترة الجنرال) إذا شئت أعطيك معطفاً مدنياً ترتديه فوقه. (تتناول من المشجب بنطال الجنرال ذي الشريط الأحمر على الجانبين). هيا لأرى، والآن البس هذا... (تمدُّ يدها بالبنطال) البس يا عزيزي، البس... هذه كلها لك الآن... (موظف الغاز يدير ظهره لسيان، ويهم بارتداء بنطال الجنرال فوق بنطاله الذي يرتديه) لاا، لا يصير... اقلع ذاك الآخر، اقلعه والبس هذا... (تدير ظهرها لموظف الغاز) لا تخف يا عزيزي، لا تخف البسه بتمهل وبارتياح... يدفئ سَاقيك، ويخفف آلام الروماتيزم...

(موظف الغاز ينظر بطرف عينه إلى سيان ليرى فيما إذا كانت تراقبه، ويقلع بنطاله القديم، .ويرتدي بنطال الجنرال).

الموظف: لبست...

سيان: والآن الجزمة... (موظف الغاز يرتدي الجزمة) تمام، الآن صار... قف أمامي الآن لأراك. (موظف الغاز يبدو مثل قزم داخل الملابس الواسعة، والجزمة الكبيرة. أكمام السترة أطول من ذراعَي موظف الغاز. السترة طويلة كالمعطف). أماناً يا ربي، إنها مناسبة لك تماماً... وكيف توضّعت عليك، لو فصّلتها تفصيلاً لما كانت هكذا. ثم لقد لاقت بك كثيراً...

الموظف: أصحيح أنها لاقت بي؟

سيان: جداً... (موظف الغاز يسعل بشدة وباستمرار) بالضبط زوجي، بالضبط.. أوَيكون الشّبه بهذا القدر... ثم سعالك، إنه سعال الجنرال عينه... اجلس هنا، اجلس... (موظف الغاز يجلس وهو يئن) فلأحضر لك الآن شراب السعال... (تتناول زجاجة الخمر من فوق الخزانة، وتنزع عنها ورقتها الاسمية خِفية عن موظف الغاز، تضع الزجاجة فوق

الطاولة،وتجلب كأسين). وهذا صار... ها هو شراب الروماتيزم... (تسكب الخمر في الكأسين).

الموظّف: هل هو شراب الروماتيزم؟ قلت قبل قليل أنه شراب السعال...

سيان: هل قلت ذلك؟ هذا الشراب نافع للسعال وللروماتيزم، إنه نافع لكلٍّ شيء... أنا أيضاً أشكو من الروماتيزم، نشرب سوية...

الموظف: رأسي يؤلمني كذلك يا سيدتي، أغلب الظن أني بردت...

سيان: ينفع لذلك أيضاً... (ترفع كأسها) هيا لنشرب... (موظف الغاز وقد احتسى نصف الخمرة التي في كأسه) لاا، كلُه، كلّه... حتى الثمالة. لن يكون له تأثير إن لم تشربه كله... (يشربان ما في كأسيهما. سيان تملأ الكأسين مجدَّداً). غليون؟

الموظف: إه، فلأشرب ذاك أيضاً... (سيان تعطيه الغليون).

سيان: (فيما هي تشعل الغليون) لكم أصبحت تشبهه الآن، تماماً مثل جنرال حقيقي...

الموظف: (ينهض، يتبختر مفرِّجاً ما بين ساقيه، يتَّخذ وضعية) أشبهه ها؟

سيان: (ترفع كأسها) هيا ولكن، لنشرب...

الموظف: رأسي تدور قليلاً...

سيان: جيد، هذا يعني أن العلاج بدأ يؤثر... حتى الثمالة...

(يشربان. سيان تملأ الكأسين)

الموظف: عفواً، ولكن هذه الملابس، لمن؟

سيان: أية ملابس؟

الموظف: التي عليَّ...

سيان: (بدأت تسكر، تضحك) طالما هي عليك، فهي لك إذن...

الموظف: يجب أن تكون كذلك. ولكن لمن كانت قبل ذلك؟

سيان: لزوجي...

الموظف: هل أنت متزوجة؟ (سيان تتنهَّد بعمق وبحسرة) واخ، واخ...

سيان: أجل... ولقد انقضت ثلاث وعشرون سنة على وفاة زوجي. أنا وحيدة منذ ذلك الوقت... هل فهمت، إني وحيدة... أقول إني وحيدة... يعني أنا أعيش بمفردي في هذا البيت...

الموظف: فهمت، فهمت...

سيان: لا يبدو أبداً أنك فهمت...

الموظف: فهمت...

سيان: إذا كنت فهمت فهذا جيد... أنا وحيدة في هذا البيت... لا أحد يأتي إلى هنا، لا تخف مطلقاً... ليس هناك ما يخيف... ثم، ماذا كنت أقول... ها، ولا أنجب أطفالاً.. هل هذا جيد؟ (ترفع كأسها) هيا... لنشرب... (يرفع موظف الغاز كأسه أيضاً. يشربان ما في الكأسين حتى الثمالة) إني أراك الآن وكأن زوجي جالس أمامي. فأنت تشبهه لدرجة كبيرة... كان يجب أن تكون جنرالاً...

الموظف: (وقد سكر. ينهض واقفاً، ينظر إلى نفسه في المرآة وهو يترنح) كان يمكن أن أكون... أنا لدي مواصفات جنرال منذ الولادة... الجنرالية تسري في دمي... (يمشي مترنحاً) إن كنت لاحظت فذلك يظهر عليَّ من مشيتي... (يمشي بقسوة مشية البطّة) انظري إني أمشي كجنرال...

سيان: (تصفق) مرحى... أيمكن أن لا ألاحظ... منذ النَّظرة الأولى قلت هناك جنراليَّة في هذا الرجل، ولكن تنقصه الملابس فقط... ماذا كانت رتبتك في الجيش؟

الموظف: لم يَدَعوني أخدم في الجيش...

سيان: لماذا؟

الموظف: كله حسد... من غيرتهم مني فرزوني مع المعاقين... لا أطلب الكثير، أطلب أسبوعاً فقط، آه لو صرت جنرالاً لأسبوع فقط...

سيان: ماذا كنت تفعل؟

الموظف: آ آ آ ه، آه... أسبوع فقط... لكنت فتحت كامل الشمال والجنوب والشرق والغرب... لكنهم لم يعيِّنوني جنرالاً...

سيان: لا تتضايق... لقد فتحت قلبي...

الموظف: هذا أكثر أهمية...

سيان: ها ، ماذا كنت أقول... نعم... إني أعيش وحيدة في هذا البيت. ولا يأتي أحد إلى هنا... وزوجي توفي قبل ثلاث وعشرين سنة...

الموظف: أعرف، أعرف، ولا تنجبين أطفالاً... ولكن...

سيان: ماذا هناك؟ هل أنت متزوج؟

الموظف: أجل، لديَّ زوجة سليطة... وغيورة بشكل... (يضحك) لا أعرف علامَ تغار عليَّ... ماذا بقي فيَّ لتغار عليه؟

سيان: آ آ آ، لستَ كذلك أبداً، لا تقل هذا... أنت تتجنَّى على نفسك... (تملأ الكأسين) لنشرب...

الموظف: لنشرب...

(يرفعان الكأسين، يقرعانهما، ثم يشربان).

سيان: كيف حالك الآن؟

الموظف: إني في حالة جيدة، الدواء ناسبني جداً... (يسعل) مازلت أسعل ولكن بشكل آخر، ليس كالسابق...

سيان: هـذا واضـح... هـاا، كـنـت أقـول... هـنـاك جـارة بجـواري، لـكـن أذنـيـهـا ثقيلـتـان، لا تـسـمـع شيئاً... فلا تخشَ شيئاً! ...

الموظف: (يخـور) ممـن سأخـشى... إذا جـاءت فـهـنـاك ماستراه...

(كلاهما ثملان جداً)

سيان: فزوجتك إذن...

الموظف: دعـي زوجـتي... تلك عندما أتذكرها... (ينظر إلى زجاجة الخمر) الدواء نفد...

سيان: لـديَّ الكثير منه... (تجلب زجاجة خمر أخرى من خزانة الأواني. تملأ الكأسين) إذن...

الموظف: ماذا إذن؟

سيان: لاشك أنك تحت زوجتك؟

الموظف: كيف؟

سيان: هل تحبها كثيراً؟

الموظف: وما أدراني أنا؟

سيان: أفي الغرفة نفسها؟

الموظف: ماذا في الغرفة نفسها؟

سيان: تنامان؟

الموظف: طبعاً...

سيان: (بضيق وغيرة) أنتما تنامان في الغرفة نفسها إذن...

الموظف: وأين ننام يا سيدتي؟ بيتنا المخالف كله عبارة عن غرفة، ومرحاض... وفي تلك الغرفة الوحيدة ننام سوية إلى أن يموت أحدنا...

سيان: (بغيرة) على وسادة واحدة...

الموظف أجل...

سيان: (بغيرة شديدة، تكاد تبكي) ويقول أجل...

الموظف: ماذا أقول غير ذلك يا سيدتي، فنحن كل ما لدينا غرفة واحدة، ووسادة واحدة... دعي زوجتي... فعندما يكون الحديث عنها... تمام... تتجمَّع الجنُّ فوق رأسي... هيا لنشرب على الأقل...

سيان: لنشرب... (يرفعان الكأسين ويقرعانهما) نخب الشّرف!

الموظف: نخب شرفك... حتى الثمالة...

سيان: من يدري أيّ نساء في البيوت التي تزورها... (تمسك نفسها)

الموظف: ما بهن النساء؟

سيان: أيَّ نساء صادفت ورأيت...

الموظف: النساء؟ لا أنظر إليهنَّ...

سيان: (بغنج) أنت؟ هيا، هيا، لا تشرح لي... عيناك تكشفان أيَّ رجل غاوٍ أنت... ما تلك النظرات...

الموظف: (ينكمش فجأة ويضحك) أنا قصير النَّظر...

سيان: إني أفهمكم من نظرة واحدة... ألستم أنتم معشر الرجال...

الموظف: (ضاحكاً) نحن الرجال...

سيان: أنتم تقتلون الإنسان، والله تقتلونه. من يدري كم امرأة قتلت حتى الآن...

الموظف: (ضاحكاً ساخراً) هو هووو، كثيرات جداً، لا حصر لهن... (من شدة الضحك يبدأ بالسعال حتى ليكاد يختنق) ظهري... ظهري يؤلمني...

سيان: واخ واخ... ظهرك يؤلمك ها... كله من البرد... واضح أن برداً قد أصابك... (تنهض، ترتبك) فلأعمل لك كاسات هواء فوراً... الآن... عندما كان الجنرال يبرد، كنت أعمل له كاسات هواء... (تمسك بيدي موظف الغاز وتنهضه، كلاهما سكرانان، يترنّحان يحضنان بعضهما لفترة كأنّهما يرقصان. ثم تُجلس موظف الغاز على الأريكة). اقلع ملابسك، اقلع...

الموظف: ماذا؟

سيان: أقول لك اقلع، ولأجلب الكاسات...

الموظف: هل أقلع؟

سيان: طبعاً، فلا يمكن بدون قلع...

الموظف: لا يمكن ها؟

سيان: اقلع، اقلع... (تجبره قليلاً) كلها، كلها...

الموظف: (يضحك متدغدغاً) أماناً... لا تلمسيني... أنا أقلعها كلها... لا تفعلي يا سيدتي... أتدغدغ كثيراً، جداً...

(سيان تمدِّد موظف الغاز الذي قلع سترته وقميصه، على بطنه على الأريكة. في هذه الأثناء يُسمع من الخارج صوت قفل الباب يُفتح، وصرير الباب، وضجيج ووقع أقدام).

سيان: حذار أن تتحرك... (تغطي موظف الغاز بغطاء، وترتِّبه على أنه غطاء الأريكة، وتصفُّ فوقه الوسائد). جاءت تلك المرأة نفسها... حذار أن تتحرك... (فيما تذهب سيان لقفل باب الغرفة، تدخل ديها فجأة إلى الغرفة).

ديها: هل جاء؟

سيان: مَن؟

ديها: من كان سيأتي يا عزيزتي، إنه ذاك...

سيان: ليس هناك مَن جاء ولا مَن ذهب...

ديها: سمعت قهقهات، ولذلك...

سيان: لا شيء... كنت أضحك لنفسي، إذ تذكرت الأيام الخوالي...

ديها: لكني سمعت صوت رجل.

سيان: لا يا عزيزتي، خيل إليك ذلك... ثم أين يا عزيزتي، أما كنت لن تخطي خطوة واحدة هنا...

ديها: لم أتحمَّل تركك وحيدة... ثم إن لم نكن نحن عوناً لبعض...

(موظف الغاز الذي يتضايق تحت الغطاء يتحرك ويسعل. ولكي لا يُسمع سعاله، تبدأ سيان بالسعال أيضاً؛ تسعل وتضحك، تفتح الراديو، ترتبك. تنبعث الموسيقى من الراديو)

ديها: (تشاهد كأسي الخمر) ما هذا؟ هل كنت تحتسين الخمر؟

سيان: (ثملة) أجل كنت أشرب، ماذا سيحدث؟

ديها: أما كنا سنشرب سوية احتفالاً بعيد زواجك...

سيان: بدأت بالاحتفال باكراً...

ديها: هناك كأسان. وفي كليها خمر... هل كنت تشربين الخمر في الكأسين معاً؟

سيان: أجل... فأنت لست ممن يجهلن معنى الوحدة...

ديها: (مرتابة) همم م...

سيان: أحدهما كأسي والآخر كأس الجنرال... (تمثّل ما تقوله) أقف مرة في هذا الطرف وأصبح سيان... وأرفع كأسي... "نخب شرفك يا جنرال..." (تنتقل إلى الكرسي المقابل، وترفع الكأس، وبصوت الجنرال الأجش) "نخب شرفك يا حبيبتي..." (تقرع الكأسين اللذين تحمل كلاً منهما بيد، ببعضهما). هكذا... الوحدة، جنون... كأنك لا تلعبين مثل هذه الألعاب... (فيما سيان تلعب هذه اللعبة، تتجه ديها نحو الأريكة لتجلس عليها، فتقفز سيان بارتباك لتمنع ديها من الجلوس، لكنها لا تتمكن من إدراكها لكونها مفلوجة، فتصرخ) ليس هناك، ليس هناك... لا تجلسي!.. توقفي...

(ديها جلست على الأريكة. موظف الغاز يقفز خائفاً ليتخلص من الثقل الذي حط عليه).

ديها: (تصرخ فزعة) ما هذا!... أماناً يا إلهي، ماذا أرى؟

سيان: ماذا هناك، ماذا ترين؟

ديها: رجلاً عارياً تماماً...

سيان: أبداً ليس عارياً تماماً... إنه عاري الصَّدر وما فوق، لكنه مرتد ما تحت الصدر... (للموظف) أرها ما تحت صدرك لتصدِّق...

ديها: من هذا الرجل يا سيان؟

سيان: جنرال...

(موظف الغاز، يرتدي سترة الجنرال فوق ظهره العاري لكي يستر نفسه).

ديها: من أنت؟

الموظف: (يتأتئ) جنرال... الغاز...

سيان: ألم أقل لك؟

ديها: يا!!!... إذن هذا هو... (لموظف الغاز) جئت إذن (لسيان) ألم يكن الجنرال؟

سيان: إنه جنرال... جنرال الغاز...

ديها: (تتناول الجريدة بيدها، تجلس على القلطق، تنظر إلى صورة المجرم في الجريدة تارة، وإلى موظف الغاز تارة أخرى) إنك تشبهه جداً.

الموظف: مَن

ديها: موظف الغاز...

الموظف: طبعاً يا سيدتي... فأنا أعمل موظف غاز على مدى ثمان وأربعين سنة. فمن يمكنني أن أشبه إلا نفسي؟ لن أشبه رئيس الجمهورية على أية حال... من يراني كائناً من كان، يعرف للوهلة الأولى أنني موظف غاز حتى لو كنت عارياً...

ديها: سأخبر عنك... الآن، فوراً... (تنهض)

سيان: (تعترضها) لا يمكنك فعل هذا يا ديها... لا يليق بك البتة.

ديها: أما قلت أنه لم يحضر؟ إني ذاهبة لأبلغ عنه...

سيان: ألم نتفق سوية على أن نتصرف معه بلطف، وأن نلبي جميع رغباته؟

ديها: لكنَّك كنت ستناديني...

سيان: كنت سأناديك، ولكن لم يبق هناك وقت...

ديها: وماذا لو كان خنقك... ألا تخافين؟

سيان: إن خنق فليخنق... ألن نموت كيفما كان، سواء متنا هكذا أو هكذا...

ديها: هو كذلك... بل هكذا أجمل... إن خنق فليخنق.

سيان: تعيشي يا ديها... نحن الآن ثلاثتنا سوية... (للموظف الغاز) لا تتضايق أرجوك... السيدة ديها جارتي...

ديها: لسنا جارتين فقط، بل وصديقتيْ الروح أيضاً...

سيان: أجل هكذا... هيا لنشرب. انتظري لأحضر لك كأساً... (تجلب كأساً من خزانة الأواني. تملأ الكؤوس خمراً) آآآ والخمر قد نفد.

ديها: هل أجلب من البيت؟

سيان: لنشرب هذا...

ديها: (ترفع كأسها) نخب شرفكم...

الموظف: نخب شرفكم...

سيان: نخب شرفكم...

الموظف: حتى الثُّمالة...

ديها: لكنه يؤثر هكذا...

سيان: دعيه يؤثّر... انظري لقد شربنا زجاجتين قبل أن تحضري...

الموظف: فليؤثّر... إنه نافع للروماتيزم، ونافع للسعال، ولوجع الرأس.

سيان: لكل شيء...

(يقرعون الكؤوس ويشربون)

ديها: فلأذهب ولأحضر الأطعمة. آه أية أطعمة جهّزتها لأجلك...

(تخرج)

سيان: لقد خجلت جداً منك، إني أعتذر...

الموظف: لماذا يعني؟

سيان: بسبب هذه المرأة...

الموظف: لا تبدوا امرأة سيئة أبداً...

سيان: (بغيرة) كيف ليست سيئة؟

الموظف: يعني... هذا...

سيان: أنتم الرجال جميعاً تتشابهون... لكني فهمت منذ الوهلة الأولى التي رأيتك فيها كم أنت رجل غوي...

الموظف: (أعجبته هذه الكلمة، يقهقه ضاحكاً) أنا؟ غَوي.. أنا؟ رجل غوي... (يحاول أن يملأ كأسه خمراً).

سيان: لم يبق... سوف تجلب ديها الآن...

الموظف: غَوي... أنت يا غوي أنت... هذا هو أنا... رجل غوي...

(أثناء قهقهة موظف الغاز، تدخل ديها وهي تحمل بيديها كيساً أبيض فيه الأطعمة، وزجاجتي خمر. تتهيج من قهقهات موظف الغاز)

ديها: (تضع الكيس وتسأل باهتياج) هل حدث شيء؟

سيان: لا، ليس هناك ما حدث...

ديها: (تهمس) هل كان يخنقك أثناء غيابي...

سيان: لا أستطيع اتهامه...

ديها: لكنه كان عارياً عندما حضرت أول مرة... (لموظف الغاز) ماذا كنت تفعل على الأريكة قبل قليل؟ كنت عارياً...

(سيان تخرج الأطعمة من الكيس وتضعها على الطاولة مع الأطباق التي تخرجها من خزانة الأواني).

الموظف: نحن؟ نحن ماذا كنا نفعل؟ (لسيان) صحيح ماذا كنا نفعل قبل قليل...

ديها: كنت عارياً...

الموظف: كنا عاريين...

سيان: كلا، أنت فقط كنت عارياً...

الموظف: أجل... أنا فقط كنت عاريين... (يضحكون) ها، لقد تذكرت... كان ظهري يؤلمني... وكانت السيدة أدامها الله ستضع لي كاسات الهواء...

ديها: هل وضعتموها؟

سيان: لم نكن قد بدأنا، وفيما كنا على وشك البدء بذلك حضرت أنت...

ديها: جيد إذن... فأنا أعرف جيداً وضع كاسات الهواء...

سيان: (تملأ الكؤوس خمراً) هيا، بصحّتكم...

ديها: نخب شرف الذكرى الخمسين...

الموظف: فلنشرب، فلنشرب...

(يقرعون الكؤوس ويشربون)

ديها: يخيّل إلي أني أعرفك، ولكن من أين يا ترى؟

الموظف: لا أعرف... إني أدخل البيوت بحكم عملي... ربما جئت إلى بيتكم.

ديها: كلا، ليس كذلك، إني أعرفك من قريب، من قريب جداً... ولكن من أين، لا أذكر كيف تعارفنا... لكنك لا تشرب (تملأ الكؤوس خمراً).

الموظف: دمت سالمة... لنشرب... لم أشرب في حياتي كما شربت اليوم... وزالت أوجاع الروماتيزم...

سيان: نخب شرفكم...

ديها : نخبنا جميعاً...

(يشربون)

سيان: كيف تشعر بحالك؟

الموظف: مثل القنبلة...

ديها : وأنـا أسـتجمع ذاكرتـي رويـداً رويـداً... هـا ، تمام، لقد تذكرتك الآن هل تدري من أنت؟

الموظف: لاا... من أكون أنا؟

ديها : إني أعـرفك مـن مكـان مـا ، أعـرفك، ولكـن من أين... أنت تشبه زوجي...

سيان: آآآ ، وماذا بعد...

ديها : ماذا هناك...

سيان: ألم تخبريني بأن زوجك طويل القامة؟

ديها : أجـل، جـيد ، هـاهـو... (تمـلأ كأسـها خمـراً وتشرب) انهض لأرى... (موظف الغاز ينهض، ويمشي متبختراً) هَهْ... إنه طويل القامة...

سيان: كم يبلغ طول قامتك؟

الموظف: (مترنِّحاً) والله... لا أعرف... هل مترين، أم ثلاثة أمتار يا ترى... (يقف على رؤوس أصابع قدميه، ويتطاول في الهواء).

سيان: ألم تقولي أن زوجك أشقر؟...

ديها: تماماً... هاهو أشقر...

سيان: عزيزي، هل أنت أشقر؟

الموظف: إه... إذا نظرتم إليَّ على أني أشقر، فيمكن أن أعتبر أشقر.

سيان: كنت تقولين أن زوجك بدين...

ديها: (منفعلة) آآآ، إنه يشبهه، هل تجبرينني؟

سيان: هو، يشبه الجنرال... انظري إلى صورة الجنرال، وتأكّدي كم يشبهه...

الموظف: أجل... أنا أشبه الجنرال دائماً... كل الجنرالات يشبهونني...

ديها: أما كان زوجك ممتلئاً؟

سيان: إنه زوجي في نحافته...

ديها: كنت تقولين إنه طويل القامة...

سيان: إنـه زوجـي في قِصَره... (تـصب خمـراً في كأسـها وفي كـأس موظـف الغـاز. تـنهض وتقدِّم أحد الكأسين لموظف الغاز، يقرعان كأسيهما ويشربان وقوفاً) إنه يشبهه في كل شيء... إنه زوجي في شقرته...

ديها: (تنهض بغيرة، وتتقدَّم منهما) كنتم قبل قليل ستسحبون كاسات الهواء أليس كذلك؟ فلأسحب أنا كاسات الهواء ولتروا... (لسيان) أين الكاسات؟

سيان: ها هي...

ديها: **قليلاً من القطن والكحول...** (سيان تجلبها من خزانة الأواني) **تمام... تمدَّد لأرى... هيا،** هيا تمدَّد!..

الموظف: لكنني أحسن الآن.. أحسن كثيراً... مثل القنبلة...

ديها: أقول لك تمدَّد على الأريكة...

سيان: قفي. فلنقلعه سترته في البداية... (سيان تقلع سترة موظف الغاز. ديها تمدِّد موظف الغاز العاري بيديها على وجهه فوق الأريكة).

ديها: أنت امسحي بالقطن والكحول الأماكن التي أسحب منها كاسات الهواء...

الموظف: (يتدغدغ، ويتكركر ويضحك كلما مرّت سيان بالقطن والكحول على جسمه العاري) توقفوا... دعوني... إني أتدغدغ... آي لا تفعلوا... (يرتجف وهو ممدّد) اتركوني... (سيان وديها تتضمّان إلى موظف الغاز في قهقهاته، وتضحكان) توقفوا، سوف يُغمى عليَّ... (سيان تخلع إحدى جزمتيه، وديها تخلع الثانية) آي أماناً... إني أموت... لا تدغدغاني، ماذا يصير... (سيان وديها تحاولان نزع بنطال موظف الغاز، الموظف يرتعش ويضحك) حاضر، حا ضر... دعاني، أنا أقلعه... آي.. فلأقلعه أنا...

(ديها تذهب وتملأ الكؤوس خمراً وتجلبها. سيان تسند ظهر موظف الغاز الذي اغرورقت عيناه بالدموع من كثرة الضحك، على الوسادة، ديها تقدِّم له كأس الخمر).

سيان: لنشرب...

ديها: نخب الشرف... شرف هذا اليوم... (تتغنج وتدغدغ موظف الغاز كي تثيره) هيا كفى، هيا... (موظف الغاز الذي دُغدغ أثناء شربه الخمر، يقذف بالخمر من فمه، ويصرخ... آه لا تفعلوا، واللّه إني أموت...)

سيان: لماذا لا تخنق... هيا اخنقني يا روحي...

ديها: اقتلني... هيا اقتلني يا روحي...

سيان: (خائبة الأمل) كذاب!... ويدَّعي أنه موظف الغاز...

الموظف: (يضحك من ناحية) واللّه إني موظف الغاز...

سيان: لا أصدقك أبداً... لو كنت موظف غاز لخنقت منذ زمن طويل.

الموظف: آه، انقطع نفسي، توقَّفوا... انتهيت... أماناً... حاضر، حاضر...

(كاسات الهواء تقع على الأرض، والمرأتان كلتاهما تدغدغان موظف الغاز. موظف الغاز يضحك ويضحك وينقلب فيقع من الأريكة على الأرض. سيان وديها تتمدَّدان

على الأرض بجانبه، وتستمرّان في دغدغته).

ديها: ولكن هيا... ماذا يصير اخنق قليلاً...

سيان: هيا اقتلني يا روحي... هيا اقتلني...

(أثناء تدحرج الثلاثة على الأرض، ينقطع صوت موظف الغاز، ويتكوم قطعة واحدة).

ديها: هيا يا سكّري... إن كنت ستخنق فاخنق...

سيان: متى ستقتل؟ اقتل، اقتل يا روحي... (تنتبه إلى أنَّ موظف الغاز لا يتدغدغ وتحار لذلك، تميل على موظف الغاز، تضع أذنها على قلبه. ترفع رأسها، وتنظر إلى ديها).

ديها: (تجسُّ نبض موظف الغاز) آآآ...

(صمت)

سيان: لقد مات!...

تمت الترجمة في حلب

صباح الخميس 30/ 12/ 2004م

18/ 11/ 1425هـ

خمس مسرحيات قصيرة

ثلاثة إزعاجات صوتية

فوق

رأس شخص واحد

الشخصيات

الإزعاج الأول ـ مجرم

الإزعاج الثاني ـ شرطي

الإزعاج الثالث ـ مخبر

(بعد ظهر يوم صيفي حار. سماء زرقاء صافية. في المؤخرة صخور حادّة. في المقدّمة شجرة ضخمة يابسة. علّق على الشجرة إعلان فيه صورة مجرم، وتحت الصورة الكتابة التالية:

"يُقتل المجرم طرز المثبتة صورته أعلاه أينما وجد. وقد خصّصت مكافأة قدرها عشرة آلاف لومادات لمن يخبر عن مكان اختبائه، وخمسون ألفاً لمن يأتي برأسه".

المجرم طرز المثبتة صورته في الإعلان، مختبئ خلف الشجرة اليابسة. تظهر ذراعاه، وكتفه، ورأسه كلما تحرك. أمام ورقة الإعلان وقف شرطي وظهره للشَّجرة. الشرطي يتلفَّت يمنة ويسرة دون أن يبدِّل مكانه. يضع يده على جبينه فوق عينيه وينظر إلى البعيد، باحثاً عن طرز، الذي يجلس القرفصاء، وينحني محاولاً الاختفاء عن ناظري الشرطي، كلما تلفَّت هنا وهناك. الشرطي يرفع عمرته بيد، ويمسح عرقه عن جبينه بيده الأخرى وينفضها).

الشرطي: أف ف ف. يا له من حرٍّ يا... (بعد صمت قصير، وكمن يكلِّم نفسه يهمس لطرز المختبئ خلف الشجرة، فمتظاهراً بأنه لا يراه). أنا لا أراك...

طرز: (يمدُّ رأسه ويهمس) أجل، أنت لا تراني، أما أنا فأراك.

الشرطي: (حانقاً) كلا... أنت أيضاً متظاهراً بأنك لا تراني.

طرز: فهمت، أنا لا أراك...

الشرطي: ولا أسمع صوتك...

طرز: أجل لا تسمعني، وأنا أيضاً لا أسمعك.

الشرطي: إذن، افتح أذنيك، واسمعني جيداً: إذا التفتُّ إلى الخلف فإني أستطيع رؤيتك حيث تختبئ خلف الشجرة، أليس كذلك؟

طرز: أجل، تستطيع رؤيتي.

الشرطي: لماذا لا تهرب إذن؟ هل تنتظر أن أقتلك؟ اهرب من هنا! اهرب بسرعة!

طرز: لكني لا أستطيع الهرب...

الشرطي: لماذا، هل أنت جريح؟

طرز: **لا لست جريحاً...**

الشرطي: إذن؟ عليك أن تهرب... اذهب إلى مكان آخر، اختبئ! هيا اركض! ولكن اهرب على رؤوس أصابعك بدون صوت!

طرز: إلى أين يمكنني الذهاب؟ لقد ملأ رجال الشرطة والدرك الأنحاء والأرجاء. وسُدَّت في وجهي الجبال والتلال. هناك سبطانة بندقية مسدَّدة خلف كل صخرة. لقد أحاطوا بي من كل حدب وصوب...

الشرطي: اهرب إلى الغابة!

طرز: هه... الغابة! هناك أيضاً كذلك... إنهم متمركزون تحت كل شجرة، وكامنون خلف كل دغلة، يبغون اصطيادي...

الشرطي: أوجد جحراً لا شرطة ولا درك فيه، ودسَّ رأسك فيه!

طرز: لو كان الشرطة والدرك وحدهم الذين يتعقّبونني لاستطعت اللجوء إلى مكان ما والاختباء فيه. ولكن ماذا عن المواطنين؟ فمنذ الإعلان عن عشرة آلاف لومادات مكافأة لمن يخبر عن مكان اختبائي. وخمسين ألف لومادات لمن يجلب رأسي، تناول كلٌّ منهم بندقية أو بارودة صيد أو مسدساً وخرجوا إلى الشوارع، وأسرعوا إلى الجبال والسهول، ودلفوا إلى الغابة. إنهم يبحثون عني في كل جحر وثقب، والذين لا سلاح لديهم يتعقبونني بالبلطات والفؤوس والرفوش. حتى النساء العجائز يركضن خلفي والعصيُّ في أيديهنَّ...

الأطفال ملؤوا جيوبهم وأيديهم بالحجارة يبحثون عني في الشاطئ وفي أطراف البلدة ليصطادوني. فإلى أين أستطيع الفرار والوضع هكذا؟

الشرطي: (يصرخ) اذهب حيثما شئت، ما شأني؟ اهرب وتخلَّص مني، وليحدث لك ما يحدث...

طرز: لكن...

الشرطي: (قاطعاً كلامه) ليقتلك من يقتلك، فذلك لا يهمُّني، على أن لا أقتلك أنا. لا تجبرني على قتلك! أقول لك اركض واذهب من هنا، ألا تفهم؟

طرز: (ببرودة أعصاب) إني أفهم، أفهم... أنت تريدني أن أهرب لكي تتخلص أنت، لا لكي أتخلص أنا.

الشرطي: ممَّن سأتخلَّص؟

طرز: من نفسك... إذا هربت أنا فستتخلَّص أنت من نفسك.

الشرطي: (يصرخ بانفعال) أجل، هكذا... ماذا سيحدث يعني؟

طرز: لكن أنا لا خلاص لي البتَّة... سيوقعون بي ويقتلونني أينما هربت.

الشرطي: لا تجبرني على قتلك! لا أستطيع فعل ذلك... (بلطف) اذهب من هنا... أقول لك اذهب. (يلين ويلطف صوته جداً، ثم يبدأ بالتوسل) أجل من أجلي، لكي تخلّصني... في كل الأحوال أنت لن تستطيع إنقاذ نفسك، فأنقذني أنا. اذهب من هنا بهدوء، وهكذا لا سمعت صوتك ولا رأيتك... هيا اذهب!

طرز: لا أستطيع الذهاب، لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان...

الشرطي: (متأثراً) فعلاً أنت إنسان سيء. لماذا تريد أن تقتل بيدي؟ هل أنت عدوٌّ لي؟ لماذا تختارني أنا لكي أقتلك، فيما الأرجاء والأنحاء كلها ملأى برجال الشرطة والدرك؟ (صمت قصير) هااا، فهمت... أنت إذن تعتمد على أنني لن أستطيع قتلك، لذلك

تلجأ إلي. إذا كان الأمر كذلك فأنت سافل جداً!

طرز: كلا، كلا...

الشرطي: (مقاطعاً) فأنت تستغل ضعفي وتجعلني أسيء إلى واجبي، في سبيل إنقاذ روحك القذرة... وإذا ما سمع أحدهم حديثي معك؟ وإذا عثروا علينا كلينا هنا؟ ماذا يفعلون بي حينها؟ سوف يعتبرونني مشتركاً معك في الجرم. (يُخرج مسدسه) لكني لست رجلاً يسيء إلى وظيفته. (يوجه فوّهة المسدس نحو طرز، ويصرخ) يا عديم الشرف! **سوف تزجّ برأسي في البلاء... هيا** اذهب من هنا بسرعة! (**عندما يصوّب فوهة** مسدسه نحو طرز، يدير وجهه إلى الناحية الأخرى لكي لا يرى وجهه) أنا لست رقيق القلب بالقدر الذي تظنه. أنا أستطيع إزهاق روح أمثالك برصاصة واحدة هيا اذهب، وإلا سأطلق. أقول لك إذهب.

طرز: (بلطف) لا تنفعل أرجوك. أنت مخطئ. فعدم ذهابي من هنا ليس لاعتمادي عليك، وأنا لا أعرف أنك رقيق القلب وأنك لا

تستطيع قتل رجل. من أين لي أن أعرف؟ فأنا لا أعرفك سابقاً... وقد التقينا هنا لأول مرة...

الشرطي: (متوسِّلاً) إذن؟ لماذا عداوتك هذه لي، إن كنت لا تعرفني؟ لماذا تريد أن تقتل بيدي أنا بالذات؟ هيا، ماذا يصير، اذهب من هنا... أرجوك رجاء حاراً، اذهب! إن كان في قلبك شيء من الشفقة اذهب من هنا ولا تضطرني إلى قتلك. اذهب وليفعل الآخرون هذا. لا أستطيع الإساءة إلى وظيفتي؛ سأضطر إلى قتلك إذا استدعى الأمر. (يوجه مسدسه نحو طرز).

طرز: (يُخرج مسدَّسه ويلعب به) أنا أيضاً لدي من هذه اللعبة.

الشرطي: (ناظراً إلى جهة أخرى) يعني، هل تظنُّني خائفاً من أن تقتلني؟ هل تظنُّ أنني لا أقتلك خوفاً من أن تقتلني أيها الأبله! أنا لا أخاف من القتل أثناء تأدية وظيفتي.

طرز: أعرف أنك لا تخاف، لو كنتَ جباناً

لقتلتني منذ زمن، واضح أنك إنسان جريء.
ولكن لماذا تدير وجهك إلى الطرف الآخر
كلما صوبت مسدسك نحوي؟

الشرطي: لأنني لا أريد أن أراك وأعرفك... فعدم معرفتك أحسن...

طرز: لماذا؟

الشرطي: لأن التعرف على إنسان يجعل قتله صعباً... إذا عاندت هكذا فسأضطر إلى قتلك. قد يأتي مخبر، ويرشدني إلى مكانك، أو يأتي غيره ويرانا كلينا هنا، عندها سأكون مضطراً لقتلك. وقتل شخص لا أعرفه، ولم أرَ وجهه أسهل كيفما كان... (يميل برأسه نحو الأرض) لكي لا تبقى لي منك أي ذكرى إذا اضطررت إلى قتلك. سيبقى صوتك فقط في أذني، هذا كل ما في الأمر...

طرز: لماذا يقتل الإنسان شخصاً لا يعرفه؟ أنا أرى أنَّ تعرُّفك عليَّ سوف يسهِّل عليك قتلي...

الشرطي: ما الداعي للقتل بعد التَّعارفٍ؟ هل كان

الناس ليقتل بعضهم بعضاً في الحروب لو كانوا متعارفين على بعض؟

طرز: الآن أدركت لماذا لا تنظر إلى وجهي...

الشرطي: أم أنك تظن أني لم أقتل أحداً أبداً؟ قتلت الكثيرين في هذه الحرب الأخيرة، لكني قتلتهم كلهم من بعيد... لم أرَ وجه أحد منهم. (متأثراً جداً) فقط... في إحدى المرات... رأيت وجه الرجل الذي سوف أقتله. كان ممدَّداً على الأرض، ينظر إليَّ. كانت عيناه واسعتين كالبحر، وعميقتين كالبحر؛ كان الرجل الممدَّد على الأرض قد تحوَّل إلى مجرَّد عينين فقط... زرقة عميقة واسعة...

طرز: هل قتلته؟

الشرطي: كلا، لا يمكن... لم أستطع قتله. مع أنه لو كان بعيداً لقتلته كما قتلت الآخرين. عندما ترى وجهه يصبح صعباً، صعباً جداً... إذ صرت تعرفه بشكل من الأشكال. ويصبح بإمكان الرَّجل الذي قتلته أن

يـدخل إلى أحلامـك. وأن ينتـصب فجـأة أمامـك في أي مكـان لا تـتوقعه. تقـتله، لكنه يستمر في العيش فيك... هل فهمت الآن لماذا لا أريد أن أرى وجهك؟

طرز: الحـرب شـيء آخـر... أنـا لـست في الحـرب الآن. قواعد الحرب مختلفة.

الشرطي: لكـن الموت موت، النهاية واحدة... (صمت قصير) هـا قـد فهمت الآن... هـيا اذهـب من هنا!

طرز: أقول لك لا أستطيع الذهـاب.

الشرطي: ربمـا تظـن أنـي أتأثـر لـك؟ أو ربمـا تظـن أنـي غير واثق من أنـك مـذنب... أنـا لست متأثراً لك، ولست مقتنعاً ببراءتك. ذنبك أو براءتك لا يهمّاني.

طرز: مـاذا إذن!...

الشرطي: لقـد أصـدرت الحكـومة أمـراً بقـتلك، إذن فـسوف تقـتل... هـذا كـل مـا في الأمـر! لكني لا أريد قتل أحد، لا أريد! هيا اذهب من هنا!

طرز: وأنا أقول لك لا أستطيع الذهاب. إذ ليست لدي القدرة على أن أخطو خطوتين... وإلا لما كسرت كلامك. فقد غلى دمي عليك فجأة، وأحببتك كثيراً... لو كنت أستطيع الذهاب لذهبت إلى أي مكان آخر لكي أرضيك. فلا خلاص لي على أي حال، أعرف أني سوف أقتل...

الشرطي: الأمر هكذا... وسواء قتلتَ هنا، أو في مكان آخر...

طرز: أجل... فقد خرج المواطنون جميعاً لاصطيادي بهدف الحصول على جائزة الخمسين ألف لومادات. أعرف أن رأسي هذا الذي لم يعد نافعاً لي في شيء، سوف يجعل أحد المواطنين غنيًّا، وسوف يسعده. (خطر بباله فجأة) قف، لماذا لا تكون أنت هذا المواطن؟

الشرطي: أنا؟ ماذا تقول؟

طرز: لماذا لا تأخذ أنت المال؟ خذ المال أنت على الأقل! هيا...

الشرطي: هيا اذهب من هنا!...

طرز: هيا اقتلني! لماذا تقف، هيا اقتلني! أرجوك، صوِّب مسدَّسك، هيا!...

الشرطي: أقول لك اذهب، أرجوك أن تذهب!...

طرز: وأنا أرجوك، هيا اقتلني! وبدلاً من أن يحصل سافل ما على هذه المكافأة خذها أنت... ليست بالمبلغ البسيط، إنها خمسون ألف لومادات... أعرف أنك تعاني من ضيق العيش، ولا مال لديك.

الشرطي: (مأخوذاً ومنفعلاً) من أين تعرف؟

طرز: إنه واضح... فراتبك الشهري لا يكفيك مثلما لا يكفي كل الناس، ولا يبدو أنك رجل تقبل الرشوة... هيا هيا، اقتلني!

الشرطي: لا أستطيع أن أطلق عليك. هيا اذهب...

طرز: لا أستطيع أن أذهب... أم أن... مسدسك فارغ؟ خذ مسدّسي.. ها هو خذه!

الشرطي: مسدَّسي عامر...

طرز: لِمَ أنت واقف إذن، أطلق عليّ وخذ هذه

الخمسين ألف لومادات!

الشرطي: تلك المكافأة ليست لرجال الشرطة والدرك. فهذه وظيفتنا! أن نزهق روحك أينما عثرنا عليك. وهل تعطينا الدولة رواتبنا لغير ذلك؟

طرز: لا مكافأة لرجال الشرطة والدرك إذن؟

الشرطي: أيّ مواطن غير موظف مكلف بقتلك، أي غير مخصَّص براتب شهري لمثل هذه الأعمال، سوف يمنح مكافأة خمسين ألف لومادات إذا أحضر رأسك، وعشرة آلاف لومادات إذا أخبرنا عن مكان اختبائك...

طرز: واخ واخ... إذن فلا مكافأة للشرطة... الآن فهمت لماذا لا تريد قتلي. أجل هكذا، طالما أنك لن تحصل على شيء...

الشرطي: أتظن أني لم أقتلك لهذا السبب؟

طرز: لكن زوجتك أو ابنك، يستطيع أحدهما إخبارك عني. سوف أنتظر هنا، هيا اذهب وأحضر زوجتك لتخبرك عن وجودي هنا...

الشرطي: مجرَّد كلماتك هذه تكفي لكي أطلق الرصاص على دماغك... أتظن أني أقتل رجلاً من أجل المال أيها المغفل!

طرز: لماذا تنفعل؟ إذ لا يمكن لإنسان في بلدنا أن يحصل على هذا المبلغ الكبير من المال ولو عمل طوال عمره بشرف وإخلاص. لا أعرف لماذا لا تريد أخذ هذا المال.

الشرطي: لا تستطيع أن تفهم...

طرز: سيأخذ هذا المال أحدهم على أي حال...

الشرطي: أنا كذلك لا أفهم لماذا لا تريد أن تذهب من هنا.

طرز: لا شيء غير مفهوم في هذا... أما قلت لك، ركبتاي لا تحملانني، ولم تبقَ لدي طاقة على المشي. منذ ثلاثة أشهر ورجال الشرطة والدرك يتعقبونني... وأنا أهرب منهم مثل الأرنب في السهول والجبال، تحت وابل الرصاص. قدماي امتلأتا جروحاً دامية. عشت طوال هذه المدة في الجبال على أكل الأعشاب والنباتات ولحاء الأشجار. لكني

لم أعثر على ما آكله منذ ثلاثة أيام. فلم آكل لقمة، ولم أرشف رشفة ماء. إني جائع...

الشرطي: أي معاكسة هذه... فليس لدي ما يؤكل...

طرز: لو كنت أستطيع المشي لذهبت من هنا، ومكّنت أحداً آخر من قتلي. زحفت حتى الصباح قبل ثلاثة أيام، واستطعت الوصول إلى هنا فقط.

الشرطي: قبل ثلاثة أيام؟

طرز: أجل...

الشرطي: من أين أتيت إلى هنا؟

طرز: من بيت أبي

الشرطي: ألم يرك أحد أثناء دخولك أو خروجك؟

طرز: كان البيت محاصراً، وكان رجال الشرطة كامنين... لكن الظلام كان دامساً في الليل، فدخلت وخرجت دون أن يراني أحد.

الشرطي: هل ذهبت إلى بيت أبيك للاختباء؟

طرز: كلا.

الشرطي: لا بد أنه طردك من البيت.

طرز: ذهبت إلى أبي ليقتلني. فلسوف يقتلني أحدهم على أيّ حال. وعندها سوف يهينونه ويحقرونه لأنه أبي. أما إذا قتل ابنه فلن يستطيع أحد إهانته، وسوف يكسب ثقة الدولة، وسوف يرتفع شأنه...

الشرطي: هل قلت هذا لأبيك؟

طرز: طبعاً قلت هذا بأسلوب آخر... لديّ أربعة أطفال، وليس هناك من يعيلهم بعد مقتلي، وليس لديهم مال، لأنني لن أترك شيئاً لزوجتي وأولادي... وأبي طاعن في السن. عائلتنا معدمة. فطلبت من أبي أن يقتلني، وأن يعطي زوجتي وأولادي نصف المكافأة التي سيحصل عليها من الحكومة، وأن يترك النصف الآخر لنفسه...

الشرطي: كيف يستطيع أب أن يفعل مثل هذا؟

طرز: بما أنني سأقتل في كل الأحوال، فما الفارق بين أن يقتلني غريب أو أن يقتلني أبي؟ كان المال الذي سيأخذونه سيكفيهم جميعاً طوال أعمارهم. لو وافق

لتخلص الجميع من الفقر...

الشرطي: هل تستطيع أنت قتل ابنك بيدك؟

طرز: لم يفعلها أبي... مع أنه إنسان طيِّب. قلت له "فلأقتل نفسي واذهب أنت وقل للحكومة: أنا قتلته، وخذ المكافأة!"

الشرطي: ماذا قال حينها؟

طرز: لا شيء... بكى باستمرار... وضع رأسه بين راحتيه وقال بصوت خافت: "اذهب من هنا بسرعة"... قال: "إنهم يداهمون البيت ثلاث أربع مرات في اليوم" قال "كن حذراً أثناء خروجك فالبيت محاصر" قال "اذهب إلى مكان ما واختبئ فيه!". (صمت) ألا تودُّ أن تسدي لي جميلاً يا ترى؟

الشرطي: (بقسوة) أنا لا أودُّ أن أسدي لك جميلاً، كما لا أودُّ الإساءة إليك...

طرز: يعني ليس لي، بل لأبي ولزوجتي ولأولادي... تسدي إليَّ جميلاً بقتلي... ماذا لو أخبرتك زوجتك أو ابنك عني، وأعطيتم جزءاً من مكافأة الإخبار لعائلتي؟ ها؟

الشرطي: (يصرخ) اسكت!

(صمت. يحلُّ المساء. الألوان تغمق شيئاً فشيئاً)

الشرطي: إذا سمعوا بأنني لم أقتلك، فسيظنون أنني أحميك أو أنني آخذ منك حصة ما؛ وسأقع حينها تحت مسؤولية أنني لم أقم بواجبي.

طرز: اقتلني إذن... فلا نجاة لي في كل الأحوال. ها قد وقعت في الفخ... ولا أستطيع الهرب إلى أي مكان...

الشرطي: لماذا لا تقتل نفسك؟ هذا أفضل شيء؛ وأدّعي بأنني عثرت على جثتك هنا.

طرز: هه... لا تنظر إلى كلامي هكذا! فمازال هناك في نفسي، في خفايا نفسي، في أعمق حنايا نفسي، أمل خفيٌّ غير واضح بالنجاة. وفي الحقيقة لم أستطع إقناع نفسي بأي شكل بأنني سوف أقتل. بل والمدهش أكثر أنني أحس كأنني سوف أعيش ولو قطعوا رأسي وفصلوه عن جسدي.

الشرطي: لا أحد مقتنع فعلاً بأنه سوف يموت، لا

أحد منا...

طرز: لكننا نبدو وكأننا مقتنعون.

الشرطي: لأننا نرى بأعيننا موت الآخرين...

طرز: الحياة حلوة... لو كانوا سيمنحونني مكافأة على قتل نفسي، لفعلت هذا دون تردُّد؛ فقط لكي يبقى المال لأولادي... لكني لا أستطيع قتل نفسي لأيٍّ سبب آخر.

الشرطي: لكنك لن تنجو...

طرز: أعرف، لكنَّ العقل لا ينفع هنا.

الشرطي: (مضطرباً) اسكت! يبدو أن أحدهم قادم... هناك وقع أقدام... اهرب بسرعة، هيا بسرعة!

طرز: قلت سابقاً. ليأت من يأتي، لا أستطيع الهرب...

الشرطي: (خائفاً) وإذا كان مخبراً تعقب أثرك؟ وإذا رآك هنا؟ عندها سوف أضطر إلى قتلك. ما بك لا تزال واقفاً، هيا اهرب!

طرز: إن كنت ستقتلني فاقتل، ماذا أفعل! سأدير لك ظهري لكي لا ترى وجهي، وهكذا يسهل عملك.

الشرطي: اسكت! إنه قادم!... (رأى أحدهم قادماً من بعيد. طرز يجثو خلف الشجرة. صمت قصير. يتقدم رجل زريٌّ الهيئة، بدونٍ ذراعين من بدايات الكتفين. إنه مخبر. علّقت على إحدى كتفيه مَطَرة ماء، وعلى الثانية جعبة طعام).

المخبر: مرحباً...

الشرطي: (مستصغراً) ماذا تفعل هنا؟

المخبر: (مبتسماً) أبحث عمَّن يبحث عنه الآخرون.

الشرطي: ما الذي يبحث عنه الآخرون؟

المخبر: (يقترب من الشجرة، ويشير برأسه إلى الصورة التي في الإعلان) هوَ هذا!

الشرطي: (يدفعه بمرفقه ويقف أمامه لكي لا يرى طرز) أأنت أيضاً تبحث عن هذا؟

المخبر: ومنذ مدَّة طويلة...

الشرطي: هل تبحث عنه منذ أن أعلن عن مكافأة لمن يأتي برأسه؟

المخبر: أجل...

الشرطي: (مستصغراً) كيف ستقتله؟ أين بارودتك؟

المخبر: لا ذراعين لي لتكون لي بارودة، أنا أكتع منذ الولادة.

الشرطي: كيف ستقتله إذن؟

المخبر: إنه سوء حظي... حتى لو رأيته لا أستطيع إزهاق روحه. لكني أستطيع الإخبار عن مكانه، فأحصل على مكافأة العشرة آلاف لو مادات.

الشرطي: وماذا لو رآك هو؟ ينتهي أمرك، يقتلك.

المخبر: (مصرِّفاً بأسنانه) لكلٍّ مهنة قواعدها الخاصة بها.

الشرطي: وما هي مهنتك؟

المخبر: الإخبار. آه لو أراه، ما بعد ذلك سهل...

الشرطي: ماذا ستفعل إذا رأيته؟

المخبر: أنادي عليه من بعيد قائلا: "لا تخف مني يا رفيق" وأقترب منه وأقول: انظر إلى الجعبة التي على كتفي فيها طعام، وفي مطرتي ماء.

الشرطي: ماذا سيحدث.

المخبر: إني أعرف هؤلاء الفارين جيداً، فهم دائمو الفرار جياعاً عطاشاً، يبحثون عن جحر يختبئون فيه. ويشعرون بوحدة قاسية بحيث يتكلمون مع الشجر والحجر والماء، يتكلمون لكيلا ينسوا إنسانيتهم.

الشرطي: يكلّم نفسه إذن...

المخبر: يكلم. لو كان ذلك السّافل المدعو طرز هنا الآن، لكلم هذه الشجرة اليابسة، وكأنها إنسان، إذا لم يجدوا على الأرض شيئاً يكلمونه، ينظرون إلى السماء ويكلمون الطيور والغيوم. أعرفهم جيداً هؤلاء... وهم بحاجة أكثر ما يكون لصديق. حتى لو جاءت أفعى سامّة لتلدغهم، يفتحون لها صدورهم على أنها صديق...

الشرطي: أفعى سامَّة...

المخبر: أجل... لذلك لا يرتاب بي مطلقاً. أقدِّم له الماء والطعام، والسجائر، أصبح صديقاً له. فيثق بي...

الشرطي: لماذا يثق بك؟

المخبر: لأنه يبدأ بالخوف من وحدته، ويصبح بحاجة ماسة لأن يثق بشخص ما كائناً من كان... أقول له: "ابق مختبئاً هنا، وانتظرني سآتي ثانية". فينتظر على أنني سأعود... فأذهب وأخبر عنه. (طرز ينهض متكئاً إلى الشجرة، ويصوب مسدسه نحو المخبر. ولأن الشرطي وقف أمام المخبر لكيلا يرى طرز، فإن طرز لا يستطيع إطلاق الرصاص على المخبر).

الشرطي: (بقرف) أرى أنك تحب عملك كثيراً...

المخبر: لا يا عزيزي، إني أقوم بذلك على أنه عمل... لا لأنني أحبه... فكم عدد سعداء الحظ على وجه الأرض الذين يحبون عملهم الذي يؤدونه؟ وكأنك تحب عملك الذي تقوم به؟

الشرطي: (يكلم نفسه) عملي الذي لا أقوم به، وليس الذي أقوم به...

المخبر: ماذا؟

الشرطي: لا شيء... حسناً ما هو العمل الذي كنت تحب أن تعمله؟

المخبر: (بكلام متقطعٍ) من؟ أنا؟ أنا؟ أنا... أنا كنت أود كثيراً لو كنت عازف بيانو.

الشرطي: (بعد أن ينظر في وجه المخبر ويبصق على الأرض) ها إنه غير موجود هنا... هيا، اسحب واذهب من هنا، لا تضع وقتاً بلا فائدة! لو كان هنا لرأيته. ربما هو ملتجئ إلى حظيرة أو جحر في الصخور التي خلف هذه الجبال الجرداء المقابلة. (صمت) ما بك واقفاً منتصباً هكذا؟ هيا اذهب وابحث عنه!

المخبر: بحثت في تلك الأرجاء ومشطتها قدماً قدماً منذ عدة أيام... لم يبق هناك ثقب أو جحر لم أفتش فيه. ربما مات جوعاً وبقي في مكان ما. عندها أكون قد احترقت...

الشرطي: لماذا؟

المخبر: لأن النسور والطيور الجارحة تكون قد نهشت جثته منذ زمن... طيور الجثث هذه، تبدأ بقلع عيون الجثة، ثم تنقر الرأس وتثقبه ثقوباً.

الشرطي: وأنت؟

المخبر: أنا لو عثرت على جثة طرز قبل الطيور الجارحة، فسأفصل فوراً رأسه عن جسده، وآخذه إلى الحكومة وأدعي بأني قتلته... آه من الحظ! لو وجدته ميتاً لكان أفضل لي.

الشرطي: لماذا؟

المخبر: لأنه لا يكون هناك أي خطر علي عندما أقطع رأسه... ثم إن ذلك مربح أكثر من الإخبار. فعندما آخذ لهم رأسه أحصل على خمسين ألف لومادات.

الشرطي: حسن، ولكن كيف ستقطع رأسه؟ وكيف ستأخذ الرأس المقطوع؟

المخبر: (يضحك مسروراً) أسناني وقدماي تعمل أحسن من ستة أزواج أذرع.
(الجوُّ يبرد، والمساء يحلُّ).

الشرطي: لا تقف منتصباً أمامي، هيا اذهب وابحث!

المخبر: فعلاً لماذا أقف... أف... لقد تعبت بشكل... (يجلس)

الشرطي: الأفضل لك أن تبحث، فقد يعثر عليه غيرك.

المخبر: فلأرتح قليلاً...

الشرطي: لكن المساء يحلُّ، وإذا ما خيم الظلام لا تستطيع البحث...

المخبر: لقد خرج أهالي ثلاث قرى دفعة واحدة يتعقبون أثر طرز لكي يقتلوه، إنهم قادمون إلى هنا وهم يمشطون الأرض تمشيطاً. (صمت،الشرطي يشعل سيجارة) كأني أعرفك، أين يمكن أن أكون قد رأيتك؟

الشرطي: ما أدراني أنا؟ هل تتردد على مديرية الأمن؟

المخبر: دائماً... باعتباري مخبراً، فإني أتردد عليها بكثرة.

الشرطي: رأيتني هناك...

المخبر: في أيِّ شعبة؟

الشرطي: أنا موظف أوراق، ولا أخرج في مثل هذه المهمات، ولكن هناك وضع غير عادي، إذ خرج رجال الشرطة جميعاً لإلقاء القبض على طرز، ولقد كلفوني بهذه المنطقة. إنها المرة الأولى التي أخرج فيها في مهمة كهذه.

المخبر: واضح...

الشرطي: (منفعلاً) من أين واضح؟

المخبر: واضح أنك لست معتاداً مثل هذه المهمات. أنا أفهم (يسمع صوت دوي ناري، الصوت يتردد صداه).

الشرطي: لا بد أنهم يطاردونه... هيا اذهب وانظر أنت أيضاً...

المخبر: كما قلت، كانوا يتعقبونه. اقتربوا كثيراً. هل اصطادوه يا ترى (يسمع صوت

طلقين آخرين) لم يصطادوه إذن... لابد أنه يهرب فيطلقون النار خلفه. (يسمع صوت طلق ناري أقرب.ينهض على قدميه، يصيخ السمع برهة) فلأذهب أنا أيضاً، فقد يمرُّ من أمامي أثناء هروبه، إذا كان لي حظ...

الشرطي: ما بك ما زلت واقفاً؟ أسرع!

المخبر: إذا عرفت مكانه سوف آتي وأخبرك، فتقتله... لكنَّ رأسه لي.

الشرطي: أصابك الله بالبلاء! اذهب يا! (فيما المخبر يذهب مسرعاً يناديه من خلفه) هيْ، توقف! (يصل إليه، فيمسك برقبته وينزع منه جعبة الطعام ومطرة الماء المعلقتين على كتفيه) جعت كثيراً، واحترقت من شدّة الحر... سوف آكل بضع لقيمات... هيا اذهب أنت، أنا هنا، إذا عرفت مكانه، أسرع إلي وأخبرني.

المخبر: لكنني...

الشرطي: هيا أسرع... تأتي وتأخذها فيما بعد... (المخبر يذهب، تتردد أصداء طلقتي بارودة.

الشرطي يضع المطرة وجعبة الطعام عند أسفل الشجرة، ويدير ظهره لطرز) سمعت كلام السافل أليس كذلك؟ إذن لا يمكنك البقاء هنا! كل قليلاً لتسترد قوتك، وتذهب.

طرز: (يتناول المطرة، يفتح غطاءها، يرفعها إلى فمه ويشرب ويشرب) دمت سالماً... (وفيما هو يأكل الخبز الذي أخرجه من الجعبة) كرَّرت قولي بأنني لا أستطيع الذهاب... لا أستطيع الخطو خطوتين، ضع نفسك مكاني...

الشرطي: (يصرخ منفعلاً) ضع أنت أيضاً نفسك مكاني! ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني؟

طرز: لا أدري، ربما تظاهرت بعدم الرؤية، وابتعدت من هنا...

الشرطي: ثم يلقون القبض عليك هنا ويسألونني "كيف لم تشاهد المجرم وهو في منطقتك؟ لماذا لم تقم بواجبك؟". موقفي ليس سهلاً...

طرز: تتكلم وكأنني لست أنا من سيقتل. هل موقفي سهل جداً؟

الشرطي: ضع نفسك مكان المخبر أيضاً، إضافة إلى أنه لا يحب عمله، بل ربما هو يقرف من نفسه...

طرز: كان يود أن يكون عازف بيانو.

الشرطي: كل واحد يريد أن يكون شيئاً آخر غير ما هو عليه...

طرز: لماذا؟

الشرطي: لا أعرف... ليس في هذا ماذا. ربما لأن الطباخ الذي يطبخ الطعام لا يعرف فيما إذا كان آكلو هذا الطعام الذي يطبخه، لهم الحق في أكله، أم لا حق لهم...

طرز: أنت لا تفكر فيما إذا كان قتلي حقاً أم لا.

الشرطي: أجل، لا أفكر في ذلك... إذا فكرت لا أستطيع القيام بمهام وظيفتي... أما لو كنت طباخاً، لطبخت الطعام بمحبة وسرور (صمت) حسناً، وأنت؟

طرز: أنا؟

الشرطي: هل تحب عملك؟ أما كنت تود أن تكون شيئاً آخر؟

طرز: أنا أنجزت ما أنجزته بإرادة وبمحبة. أحببت عملي.

الشرطي: إذن فستموت مرتاحاً.

طرز: لا... إذا كانت لا تزال هناك أعمال على الإنسان أن ينجزها فكيف يموت مرتاحاً... وتلك الأعمال لا تنفد.

الشرطي: (كمن خطر بباله شيء فجأة) أماناً. صار المخبر على وشك العودة، فإذا رآك هنا؟ أكلت بعض الأشياء، هيا لأرى، اذهب الآن...

طرز: لماذا لا تذهب أنت؟ لم ترني، ولم تسمعني... دعني هنا، واذهب أنت!

الشرطي: (يرى المخبر قادماً من بعيد) هاهو قادم... اسكت! (طرز يجثو خلف الشجرة. المخبر يأتي وهو يصفّر) ألم تعثر عليه؟ هل هرب منهم؟

المخبر: إنهم صيادون... خرجوا لصيد الخنازير، أما طرز فلا أثر له... (ينحني على الأرض، ويلتقط حمالة المطرة بأسنانه ويلقي بالمطرة على كتفه، وبعد أن يقف برهة وينظر إلى طرز، يتظاهر بعدم رؤيته. وينظر إلى الشرطي بارتياب. ولكي لا يدرك الشرطي أنه رأى طرزاً يبتعد عن الشجرة. يسأل بارتياب الشرطي الذي يقترب منه) هل كنت لتقتل طرزاً لو رأيته؟

الشرطي: (وقد داخله الشك) ماذا تعني؟

المخبر: هل كنت قتلته؟

الشرطي: بالتأكيد... فهذه وظيفتي! ولذلك أنتظر هنا، أم هل تشك في أني سأقتله؟

المخبر: (يصرِّف بأسنانه هازئاً) لا!!! لكني لو كنت مجرماً لاختبأت في جيب شرطي أو تحت قبعته.

الشرطي: (بانفعال) هل تسخر؟

المخبر: لماذا سأسخر؟

الشرطي: ماذا تريد أن تقول إذن؟

المخبر: لا شيء... (صمت) هل قتلت رجلاً قط؟

الشرطي: قتلت ولكن من بعيد، في الحرب... ومرة عندما كنت عسكرياً كان هناك جاسوس سيعدم رمياً بالرصاص... وقد كُلِّفت مجموعتنا بتنفيذ هذه المهمة. كان الجاسوس يقف عند الجدار مكبَّل اليدين، معصوب العينين، وكانوا سيكممون فمه أيضاً لأنه كان دائم السُّباب، لكن القائد لم يأمر بكمٍّ فمه لأن ذلك غير إنساني.

المخبر: هل سيستمر في السَّب، لأن كمَّ فمه غير إنساني؟

الشرطي: لقطع سبابه قال القائد: "أسرعوا بإنجاز مهمتكم وأسكتوه". سدَّدنا نحوه، وأصدر الملازم إيعاز "نار". ففتحنا النيران، لكن رصاصتي جاءت في التراب، لأنني أملت بندقيتي قليلاً نحو الأرض.

المخبر: هل فعلت هذا لكي تنقذ الجاسوس؟

الشرطي: لا!!!... فهو سيصير ثقوباً ثقوباً برصاص الرفاق على كل حال، وهكذا صار.

المخبر: هل كنت ترى الحكم عليه بالإعدام حكماً جائراً؟

الشرطي: لا أعرف، ثم مالي أنا... لكني لا أظن أنهم أعدموه رمياً بالرصاص بغير وجه حق... أيمكن أن يحدث مثل هذا؟

المخبر: هل كان من أحد معارفك؟

الشرطي: كلا.

المخبر: لماذا لم تثقب قلبه أو دماغه إذن؟

الشرطي: أعتقد أن القتل ليس مهنتي، لذلك لا أستطيع القتل.

المخبر: عرفت منذ رأيتك أنك رجل بهذا الشكل... (يقترب ويهمس كمن يفشي سرّاً) لو أخبرتك عن مكانه؟

الشرطي: (يصرخ بحرقة) لا أريد، لا تخبر!

المخبر: (يهمس) لو أريتك إياه؟

الشرطي: (يصرخ) أقول لك لا أريد، لا ترني إيَّاه!

المخبر: ثم هل ستشهد فيما بعد حتى أحصل على المكافأة؟

الشرطي: (يصرخ) انقلع!

المخبر: لكني...

الشرطي: (مقاطعاً) أعرف، سوف تخبر عني أيضاً، سافل!

المخبر: آه... لو كانت لي يدان!...

الشرطي: لو كانت لك يدان، لكنت عازف بيانو سيئاً جداً.

المخبر: أنا... مكانه... أعرف مكان اختبائه، سوف أريك مكان اختبائه... أما أن تقتله أولا تقتله فهذا شيء تعرفه أنت؛ أنا لا أتدخل في هذا.

(طرز ينهض متكئاً إلى الشجرة، يخرج مسدسه ويسدِّد فوهته نحو المخبر. الشرطي وقف أمام المخبر دون أن يرى طرزاً ومسدسه المسدَّد. طرز لا يستطيع أن يطلق نار مسدَّسه بأي شكل).

الشرطي: (كأنه يخاطب المخبر، يتكلم بصوت عال ليسمع طرز) اذهب الآن اذهب، ما بك تنتظر هنا؟ ألا ترى، ألا تسمع؟

(طرز يستدير لكي يهرب، يخطو خطوتين، لكنه يسقط)

المخبر: (يصرخ) هاهو! إنه يهرب! إنه يهرب!... أنا أريتك إياه، أنا! أريد مكافأتي... هيا أطلق عليه، إنه يهرب... أريد مكافأتي...

(طرز ينهض، ويسدِّد مسدسه نحو المخبر ليقتله، لكنه لا يستطيع إطلاق النار عليه، لأن المخبر التجأ مذعوراً واحتمى خلف الشرطي).

المخبر: (يصرخ من خلف الشرطي) هيا اقتله! ما بك واقف حتى الآن؟ هاهو يهرب، اقتله! أقول لك اقتله... وإلا وإلا... أنت...

(الشرطي يشهر مسدسه، ويوجهه نحو طرز. في يد كل منهما مسدسه. يتبادلان النظرات برهة. طرز يضع فوهة مسدسه على صدغه، ويضغط على الزناد. يُسمع صوت رصاصة. طرز يتكوَّم على الأرض).

تمت الترجمة في حلب

مساء الخميس 6/ 1/ 2005م

25/ 11/ 1425هـ

أنت لســت كارا[1]

---

[1] جيم مصرية. المترجم.

الشخصيات

برين: رئيس بلديَّة يونطابور. فقد ذراعه في الحرب، في الـ 30 ـ 35 من العمر. ارتدى زيَّه الرسمي من أجل الاحتفال. يغطي صدره من كتفه الأيسر حتى خصره شريط من الأطلس البَّراق. على قبَّته وسام.

سالسي: رئيس جهاز الأمن السري ليونطابور. أعرج، يمشي مستنداً إلى عكاز. في الـ 30 من العمر. على صدره ميداليَّات.

كارا: قصير القامة، ناحل، زريُّ الهيئة، مذعور، فاشل، حافي القدمين في الـ 28 من العمر. بملابس كتَّانية عتيقة مهترئة وسخة.

المكان: ساحة مدينة يونطابور.

الزَّمان: بعد الظهر.

الحدث: حفل افتتاح النَّصب التذكاري لكارا بطل يونطابور.

الحدث يحدث بعد حفل الافتتاح.

(على اليسار قاعدة النَّصب يظهر جزء بسيط جداً من الطرف السفلي للنَّصب على قاعدة النَّصب كتبت هذه الجملة "البطل كارا! مات لكنه حي في قلوبنا. (1918 ـ 1946).

على اليمين منصَّة خطابة ركِّبت عليها أجهزة مكبِّرات الصوت، ووضع فوقها كأس وإبريق ماء. يصعد إلى المنصَّة بعدَّة درجات. رفعت هنا وهناك أعلام تلك الدولة عشرات آلاف الناس غير المرئيين ـ الذين يملؤون الساحة ما بين النَّصب ومنصَّة الخطابة، سوف تسمع بين الفينة والأخرى أصواتهم، وهتافاتهم، وتصفيقهم تأثراً بكلام الخطيب وكردّ فعل لما يقول.

يُعزف النشيد الوطني لتلك الدولة قبل بداية المسرحية تبدأ المسرحية عندما ينتهي العزف. برين وسالسي يقفان "باستعداد" بجانب المنصة. وما إن ينتهي عزف النشيد يصعد برين إلى المنصَّة. أثناء إلقاء برين كلمته، سالسي يهتف بانفعال ويصفق بين الحين والآخر.)

برين: (يلقي كلمته) رئيسنا الموقر! وزراءنا المحترمين!... ضيوفنا الكبار الذين شرَّفوا يونطابور! زملائي الأحباء... أيها اليونطابوريُّون الأجلاء!... أهلاً بكم في يونطابور! بعد أن افتتح رئيسنا المحترم النصب التذكاري لابن يونطابور المحبوب البطل الشعبي كارا. فإن الخطباء المحترمين الذين تكلموا هنا قبلي، تحدثوا عن حياة البطل اليونطابوري كارا الذي أضاف إلى تاريخنا صفحات مشرفة مخطوطة بأحرف من ذهب، وتحدثوا عن شخصيته المثالية، وعن شجاعته وإقدامه في المعارك والحروب. وأنا... أنا... أنا... لكيلا أتعبكم أكثر في هذا الحر، فإنني سأختصر كلامي.

(ضجيج) (هتافات)

ـ ذاك مات من أجلنا...

ـ في سبيل وطنه...

ـ كارا الخالد...

ـ أرواحنا فداء لكارا...

ـ لم نتعب، تكلم...

ـ تكلم...

(سالسي يشترك بالهتاف)

برين: يعني... ما أردت قوله... إذا سمحتم لي، فإني سوف أتحدث عن ذكرياتي مع صديقي الحبيب كارا... كارا! كارا الخالد كان أقرب رفاقي. (يتهدَّج صوته من التأثر) ذاك كان صديقي، ذاك كان أقرب المقربين إلي، ذاك كان كل شيء في حياتي. كان صديقي منذ أن كنا صغاراً هكذا. سوف أروي لكم الآن هنا حادثة من ذكرياتي باعتباري صديقاً للبطل الذي لا مثيل له كارا، لا باعتباري رئيساً لبلدية يونطابور. لا أنسى أبداً يوماً... (يفكر) كان قد قال لي... "أخي برين" لا لم يقل أخي برين، إني أذكر ذلك كأنه اليوم، قال: "أخي الحبيب برين، انظر، سوف ترى، أنت سوف تصبح يوماً ما رئيساً لبلدية يونطابور هذه". أنا لم أقتنع بذلك وقتئذ... لكن ها إن ما قاله في ذلك الوقت قد أصبح حقيقة اليوم. وتابع كارا

كلامه قائلاً: "أخي الحبيب برين، سوف ترى، بعد رئاسة البلدية سوف تصبح عضواً في مجلس الأمة!" أجل، هكذا قال... كارا كان في ذلك الوقت شاباً بعيد النظر يرى المستقبل. (تصفيق وأصوات هتافات أحسنت أحسنت) ثم أكمل كارا كلامه قائلاً: "لكن للأسف أنني لن أرى تلك الأيام يا أخي الحبيب برين". (يتكلم وهو يجهد في إمساك دموعه) فسألته: "لماذا تقول هذا يا أخي الحبيب كارا؟" فقال: "لأنني سوف أموت بعد ظهر يوم أحدٍ ما عندما أصبح في الثامنة والعشرين من عمري". يصعب تصديق ذلك، لكن هذه هي الحقيقة، إذ كان كارا عند كلامه، ومات في الساعة التي قالها. (يبكي) عرف تاريخ وفاته باليوم وبالسّاعة. (أصوات)

- رجل مبارك...
- أنت لم تمت يا كارا...
- أنت حيٌّ في قلوبنا!
- كارا الخالد...

سالسي: أنت تنام في التراب، لكنك تعيش في قلوبنا.

برين: (يمسح دموعه، ويغلظ صوته) الأبطال هم الذين لا يموتون في حربهم الأولى، لكنهم كذلك لا يخرجون أحياء من حربهم الأخيرة. (يمسح دموعه بمنديله). وهو كان بطلاً من هذا النوع. (تصفيق) أذكر كأنه أمام ناظري الآن؛ يوم شجار الحيّ، كان قد أصيب بحجر طائش شجَّ رأسه، ونزف دماً كثيراً بحيث خفنا عليه من الموت. لكنه قال "لا تخافوا لن أموت، لأن هذه ليست حربي الأخيرة" (تصفيق) أيها اليونطابوريون المحترمون! لقد زفَّ إلينا رئيسنا بشرى. وها إني بعد إذنه أزفها إليكم، مدينة يونطابور التي عرفت بهذا الاسم على مدى ستمئة سنة، سوف تحمل من الآن فصاعداً اسم البطل الذي أنجبته كارا، وسوف يصبح بل أصبح اسمها `كارابور. (تصفيق. ينحني من المنصة باتجاه النصب) أخي الحبيب كارا، أقرب أصدقائك برين يخاطبك،

الكارابوريون يعاهدونك على السير على خطاك... (ضجيج، أصوات) نعاهدك!

سالسي: يعيش، يعيش كارا!...

(أثناء نزول برين عن المنصة يبتعد الضجيج. سالسي يصافح برين ويعانقه مهنئاً.)

برين: كيف كانت كلمتي؟

سالسي: جيدة جداً، أهنئك يا برين...

برين: دمت سالماً... تعبت كثيراً، أرجوك، انظر من هنا، هل انصرف الناس؟

سالسي: (يصعد على الكرسي وينظر إلى البعيد) الناس يسيلون كالمياه روافد روافد. سيارات الرئيس المحترم وحاشيته بعيدة جداً... (ينزل عن الكرسي) هيا، ألن تذهب إلى دار البلدية؟

برين: سأذهب ولكن، لم تعد لدي قدرة على الحركة... أنت تعرف أنني تعبت كثيراً في العمل منذ أشهر للتحضير لهذا الاحتفال...

سالسي: لكنك نجحت...

برين: لقد اجتزنا هذه المصيبة، على كل حال...

سالسي: (وقد أدهشته كلمة مصيبة) لم أفهم، ماذا قلت؟

برين: يعني... هذه الأعمال ليست سهلة يا سالسي، العبء كله ملقى على عاتقي كرئيس بلدية.

سالسي: الرئيس وأركان حاشيته ذاهبون إلى دعوة الوالي.

برين: طلبت من الوالي أن لا يتصل بي هاتفياً إلى أن يحين وقت دعوة العشاء. فلينشغل هو أيضاً قليلاً، أليس كذلك؟

سالسي: طبعاً... (يذهب إلى النُّصب، يخاطب النُّصب) إيه منك يا كارا إيه... من كان يقول بأنك ستصبح يوماً ما واحداً من أكبر أبطال العالم... كان يخطر ببالي موتي، ولا يخطر هذا ببالي.

برين: لماذا؟

سالسي: لأنه كان أجبن إنسان على وجه الأرض كارا هذا. كان ولداً رعديداً بلا قلب ولا

جنان. كان يأكل العلقة حتى من البنات عندما كان صبياً في يونطابورنا هذه...

برين: لم تعد يونطابور، صارت كارابور...

سالسي: حسناً، ليس في كارابور هذه أحد من أقرانه لم يطعمه علقة.

برين: حسناً. ولكن لماذا؟

سالسي: وما أدراني... كأننا كنا نضربه للتسلية... لكن الحقيقة أنه كان يبحث عن الضرب... لم يكن يهدأ دون أن يُضرب... (تذكر فجأة) لكن لماذا تمطرني بالأسئلة... ألا تعرفه؟ ألم تقل في كلمتك أنه كان أقرب أصدقائك...

برين: أجل، كنا صديقين حميمين... ولكم كان وسيماً... طويل القامة، عريض المنكبين، واسع الجبين... أي كان بطلاً بكل معنى الكلمة...

سالسي: (ضاحكاً) من؟ كارا؟ هل تمزح؟ لقد كان ولداً أسود يابساً، ناحلاً، قصيراً، لم تتم تغذيته جيداً لينمو... كان يسرق البيض من الخمم ليسدَّ جوعه...

بريـن: كلامك هكذا عن ميت، وعن بطل شعبي، غير لائق أبداً...

سالسي: كلا، يعني... لكنك قلت في كلامك قبل قليل بأنه محارب جريء و...

بريـن: أقوالي كانت ضمن كلمة في احتفال يا سالسي... ماذا كان علي أن أقول عن بطل دخل التاريخ ويفخر به شعب بأكمله؟

سالسي: فهمنا، لكنك قلت حتى لي هنا، إنه كان طويل القامة، عريض المنكبين...

بريـن: حتى لو لم أقل ذلك، فالجميع يعرفونه هكذا. أف، إني متعب جداً. سأبقى هنا إلى أن ينصرف الحشد. (يجلس عند منصّة الخطابة وظهره للنّصب).

سالسي: وأنا قلت للسائق بأنني أريد أن أمشي.

بريـن: أفكر أحياناً... وأنا فقدت ذراعي في الحرب، فماذا حدث يعني... هه!

سالسي: لكنك اليوم رئيس بلدية.

برين: لـو بقـيت ذراعـي، وفقـدت بقـية أجـزاء جسمي...

سالمي: يعني؟ لو متّ؟

برين: أجـل... لا شـك أن العـيش شـيء جمـيل يـا سالسي، لكـن البطولة أجمـل مـن العـيش. كنت أودُّ أن أقتل أنا أيضاً وأصبح بطلاً مثل كارا، بدلاً من العيش هكذا بذراع واحدة.

سالسي: ومن لا يرغب بذلك؟ لكنه ليس سهلاً... قتل كثيرون في الحرب، لكن لا أحد منهم صار بطلاً مثل كارا. لو صار كل من قتل بطلاً... مثل هؤلاء الأبطال في التاريخ، يأتون مرَّة في كلِّ عدَّة مئات من السنين. أنا أيضاً فقدت ساقي في الحرب... لكنني ممتنٌ لأني بقيت حياً ولو أعرج. (مداعباً الميداليات التي على صدره) هـذه الميداليات لا تستطيع القيام بالأعمال التي كانت تقوم بها ساقي... لكن ساقي أيضاً لم تكن لتستطيع فعل ما تفعله هذه الميداليات.

برين: بصراحة، إني أحسد كارا كلما نظرت إلى هذا النصب. فقد شارك في هذا الاحتفال صحفيون وفنانون سينمائيون، وفنانو تلفزيون من كل أنحاء العالم، ومن كل البلدان. كما شارك الشعب بأسره بحفاوة في الاحتفال. يونطابور منذ تأسست وصارت يونطابور لم تطأ أرضها قدم وزير، أما الآن فانظر الرئيس المحترم بقدره وقيمته...

سالسي: ماذا؟

برين: يعني... حضر رئيسنا المحترم في المقدمة ورئيس الوزراء والوزراء. هؤلاء جميعاً جاؤوا من أجل كارا... هذه المدينة المنغلقة على نفسها، نهضت واستردّت الروح بواسطة كارا. وعد الوزير بإنشاء مصنع في البلدة... وسوف يتحول البيت الذي ولد فيه كارا إلى متحف... وسوف يتوافد السُّواح على كارابور لمشاهدة متحفها ونصبها، وسوف تنهمر الأموال على كارابور، الأموال... ما معنى أن يطلق اسم الشخص على مدينة يا سالسي، فكر بذلك لحظة...

سالسي: أنت تغار من كارا...

برين: أجل، هذه هي الحقيقة...

سالسي: وما الفائدة؟ فكارا المسكين لا علم له بكل هذا الذي جرى ويجري. يجب أن يرى الإنسان تكريمه قبل موته...

برين: ليكن... والذين خلّفهم؟ انظر، لقد خُصِّص راتب شهري لكلٍّ من زوجته وأمه، فتخلّصوا من العوز. زوجته سوف تتقاضى راتباً أكبر من راتب عضو مجلس الأمة. كما خصّصوا أمّه بدار فخمة خاصة بها.

سالسي: وأولاده. سوف يسجّلون في إحدى المدارس الداخلية الخاصة حيث يدرس أولاد الأغنياء...

برين: هاا، ماذا كان يعمل قبل أن يذهب إلى الجندية؟

سالسي: من؟

برين: كارا.

سالسي: (مدهوشاً جداً) كيف؟ صديقك الحميم لهذه الدرجة، ولا تعرف ماذا كان يعمل؟

برين: أنت تعرف أنني غبت فترة طويلة عن يونطابور...

سالسي: ماذا كان يعمل؟ وأي عمل كان يمكن لكارا أن يعمله؟...

برين: لكن...

سالسي: كلا، لا أرغب في الكلام. فالحديث عما كان يقوم به الميت من أعمال في حياته، خاصة إذا كان بطلاً كبيراً، يعتبر تحقيراً له... (يحضر كارا. حافي القدمين، بملابس مهلهلة. طويل اللحية. هناك صرَّة في طرف العصا التي على كتفه. متعب جداً. لا يرى سالسي وبرين، هما لا يريانه أيضاً. كارا يقترب من قاعدة النَّصب، ويبدأ بالتَّبوُّل على اسمه المحفور أسفل النَّصب).

برين: بالأمس قال مدير الكلية: إنهم خصصوا له أوسع مكان في كتب التاريخ.

سالسي: طبعاً... حقّه... وعملوا من قصة حياته فيلماً سينمائياً ، هل شاهدته؟

برين: طبعاً. فيلم خارق، وكتبت عنه روايات ومسرحيات.

سالسي: وسوف تكتب زوجته مذكراتها. وسوف يدفعون لها مبلغاً كبيراً...

برين: وأنا أريد كتابة مذكرات بعنوان "صديقي كارا".

(كارا الذي ما زال يتبوّل، يبدأ بالتّصفير مرتاحاً ، فيلتفت برين وسالسي برأسيهما ويريانه من خلفه ، فيقفزان دفعة واحدة وهما يصيحان. سالسي الأعرج ينهض بصعوبة)

برين: هِيْ ي ي... ماذا تفعل يا هذا!...

سالسي: تفووو... رجل سافل... ولك ألم تجد مكاناً آخر غير هذا؟ (كارا يلتفت إليهما مرتبكاً مجفلاً ، يحاول أن يلملم بنطاله تبقى أزرار البنطال مفتوحة. كلسونه ظاهر)

برين: استر مقدّمتك ولك يا وسخ...

(برين يسرع ويتناول عصا كارا المسندة إلى قاعدة النُّصب ويبدأ بضربه. وسالسي يتكئ إلى النُّصب ويبدأ بضرب كارا بعكازه. كارا لا يدافع عن نفسه أبداً، ينحشر، ويحاول أن يحمي نفسه بيديه).

برين: رجل سافل...

سالسي: ولك أليس لديك حياء أبداً، ولك على نصب بطل ها؟

(كارا يغير وضعيته ليتخلص من الضرب، فتلتقي نظراته بنظرات سالسي، الذي يدهش دهشة كبيرة ويصرخ في برين الذي رفع عصاه). توقف. لا تضرب!... (صمت وسكون) يا إلهي!... كيف يحدث هذا؟... (يمسك بعصا برين الذي يهم بالضرب) ماذا تفعل يا برين؟ انظر. هذا كارا!...

برين: (مدهوشاً) ماذا؟ كارا؟

(يقفون برهة جامدين بلا حراك).

كارا: (مسروراً جداً برؤية صديقه سالسي، يفتح ذراعيه ويرمي نفسه عليه) سالسي،

سالسي... أنت هـا؟ أنقذنـي من هذا الرجل... ولكن لماذا تضربانني؟

سالسي: (يتراجع إلى الخلف خائفاً) أنت؟ أنت هـا؟ أنت كارا أليس كذلك؟

كارا: طبعاً يا عزيزي... بقدر ما أنت سالسي أنا كارا، أم أنك لم تعرف صديق السنوات الطويلة؟

سالسي: شيء مخيف... (يسحب برين إلى طرف ويهمس له) أيكون قد انقلب إلى روح هائمة؟ انظر، إنه هو نفسه...

برين: هل هو هكذا فعلاً؟

سالسي: ألم تعرفه؟

برين: أنا لم أره مطلقاً...

سالسي: وذكرياتك التي سردتها في خطابك؟...

برين: هذا احتفال يا سالسي... كان يتوجب علي أن أتكلم هكذا في الاحتفال، تلك كلمة رسمية... هل هذا الرجل هو كارا الآن؟

كارا: (لسالسي الذي ابتعد عنه، وراح يتهامس مع برين) لماذا تعاملني ببرود هكذا يا سالسي؟ أنت أول يونطابوري أصادفه بعد عودتي إلى هنا بعد سنوات...

سالسي: (مبتعداً بخوف عن كارا القادم نحوه) نحن نعرف أنك متَّ يا كارا، ألم تمت؟

كارا: لا!!!...

سالسي: هل أنت حيٌّ فعلاً الآن؟

كارا: هأنذا انظر، إنك تراني... وقبل قليل كنت أبول، هل كنت لأبول لو لم أكن حياً؟ أمسك يدي، انظر!

سالسي: (متراجعاً) لم تمت إذن؟

كارا: (يضحك مقهقهاً) يعني أنت غريب جداً يا سالسي... لم تزهق روحي بشكل من الأشكال... فالتراب يسحب أحسن الناس وأشجعهم ويضمهم إليه... ماذا سيفعل التراب بصعلوك مثلي؟ لا مكان لي فوق التراب ولا تحت التراب! أنا إنسان سيئ لا أصلح لشيء. حتى التراب لا يقبلني، بحيث كدت أؤمن

بأنني لن أموت، وحتى إذا ما مت يوماً، فإن التراب سيلفظ جثتي من حيث دفنت...

برين: هل أنت متأكد من أن هذا الشخص كارا؟

سالسي: كيف؟ يعني... طبعاً.. بالتأكيد...

برين: حذار من أن تكون شخصاً آخر غير كارا...

كارا: لماذا سأكون شخصاً آخر؟ إن كنت لا تصدق فاسأل سالسي.

برين: يعني... ربما شخص شبيه بكارا... شخص يظن نفسه كارا...

كارا: (ضاحكاً) سالسي، قل لهذا ألستُ كارا؟

سالسي: للأسف نعم، وتقف أمامي حياً.

كارا: هل كان علي أن أموت برأيك؟

برين: نعم كان يجب أن تموت... والأصح، بل أنت متًّ ولا علم لك.

كارا: (يضحك ساخراً) هاااا، أنتما ربما تظنانني روحاً هائمة. هل يمكن للروح أن تبول؟ فعلاً لماذا غضبتما عندما كنت أبول هنا قبل قليل؟

برين: ألم تجد مكاناً آخر تبول فيه؟ لماذا اخترت هذا المكان؟

كارا: لم أختره بشكل خاص... اضطررت للتبول، ولم أجد مكاناً آخر في هذا الميدان لأبول فيه، والطقس حار... وهنا مكان مظلّل... عندما كنت هنا لم يكن يوجد نصب حجري هكذا في بونطابور التي أعرفها كراحة يدي، ونصب سيئ للغاية... ما هذا النصب الحجري؟

سالسي: إنه نصب تذكاري...

كارا: إي، ماذا حوت، إنه لن ييبس لأني بلت في أسفله...

برين: ولن ينمو كذلك لأنك رويت قاعدته...

سالسي: لماذا جئت إلى كارابور؟

كارا: ماكارابور هذه؟

سالسي: يعني... لماذا جئت إلى يونطابور؟

كارا: لماذا؟ لا شيء... حدث ولدت وترعرعت... الإنسان يشتاق مهما كان... لا تخافا، لا

تخافا، لن أسرق وأتصعلك كما في السابق.
ولن أقيم هنا، سأمكث بضعة أيام وأعود ثانية.

برين: إلى أين ستعود؟

كارا: لا أعرف... إلى أي مكان... لكن إذا أمَّن لي سالسي عملاً هنا أبقى. ماذا تعمل أنت الآن؟

سالسي: إني رئيس جهاز الأمن السري ليونطابور...

كارا: هاااا، إذن فقد صرت رئيس...

سالسي: رئيس جهاز الأمن السري...

كارا: ووووو، اسمه طويل، لابد أنه مركز كبير...

سالسي: وهذا السيد هو رئيس بلديتنا السيد برين...

كارا: جيد جداً... أنتما رجلان كبيران الآن... إذن تؤمنان لي عملاً صغيراً أعتاش منه.

سالسي: كان الأفضل كثيراً لو لم تأت قط.

كارا: إه، إذن أمكث يوماً أو يومين وأغادر. لا تباليا بما قلته، فلو طلبتما مني البقاء فلن أبقى؛ إذ لا أريد أن أرى صورة زوجتي،لكني اشتقت كثيراً لأولادي. هل أمي على قيد الحياة يا سالسي؟

سالسي: (يضع يده على كتف كارا مظهراً الصداقة) كارا، أفضل شيء أن لا تمر بيونطابور، وأن تغادر من هنا!

كارا: يمكن... أرى أولادي وأمي وأذهب.

سالسي: كلا، أولئك أيضاً لا داعي لأن تراهم... عد وغادر دون أن تمر بيونطابور، عد وغادر يا كارا!...

كارا: فهمت، أنت باعتبارك رئيساً لذلك الأمن أو المن لا أدري ما هو، تخشى أن أعمد إلى السرقة في يونطابور فتضطر إلى اعتقالي، ولكن أنا ليست لدي مثل هذه النية أبداً... ألديك سيجارة يا سالسي؟

(سالسي يقدم له سيجارة، وبرين يشعل له سيجارته)

برين: سمعنا أنك اشتركت في الحرب متطوِّعاً...

كارا: (ضاحكاً كأن نكتة مضحكة جداً قد قيلت) متطوِّعاً؟ أيُّ متطوِّع يا؟ أجل، الجميع يظنون أني تطوعت للحرب، مع أني كنت أرغب في التخلص من زوجتي، فقط التخلص منها ولا شيء آخر...

بربن: يعني، ألم تتطوع في الحرب؟

كارا: تطوَّعت، ولكن أنا أعرف لماذا ذهبت، سالسي أيضاً يعرف... أجل أنا لص، ومهرب، وصعلوك، وهذا وذاك، لكني لا يمكن أن أقبل أن يقال عني ديُوثاً... وإذا بالمدعوَّة زوجتي لم تدع رجلاً في يونطابور العديمة الشرف لم تنم معه... وهي لا تطلّق مني... ولأنها أرضتهم جميعاً، كان القضاة ورجال الأمن كلهم في صفّها. فقلت في نفسي فلأنتحر خيراً من أن أعيش هذه العيشة، لكني لم أستطع... جرَّبت عدة مرات، الروح حلوة، لم أسخ بنفسي. ولم يسحبوني إلى الجندية لأنني كنت مريضاً بذات الرئة. في تلك الأثناء اندلعت الحرب وصاروا يبحثون عن عسكري ولو من حجر. فحصلت على تقرير طبي مزور بأنني صحيح الجسم، وتطوعت في الجيش. لماذا أخفي عنكم، هذه هي حقيقة الأمر.

سالسي: حسناً يا كارا، بحسب ما سمعناه، فإنك قاتلت في خطوط النار الأمامية... وهاجمت

الأعـداء بجـرأة وبـسالة، بـل وحـصلت علـى ميداليَّات...

كارا: صحيح... كما قلت لكما، كنت أود أن أقتل تخلصاً من زوجتي. أنت تعرف يا سالسي أنني شخص جبان، ولجبني لم أسخ بنفسي، لذلك هجمت في الحرب على الموت، لكي أقتل برصاصة عدو وأنتهي. لكن لم يكن لي نصيب في ذلك. لكم من الشبان الشجعان الحلوين قتلوا في هذه الحرب، أما أنا فلم أمت وأتخلص بشكل من الأشكال. كنت أتوغل تحت وابل الرصاص. لكن الرصاصات التي كانت تنهمر فوقي كانت كأنها تقول عندما تراني: لا يستحق الموت. وتتوجه نحو غيري.

سالسي: والميدالية التي حصلت عليها؟

كارا: ليست ميدالية واحدة، بل ميداليات... ميداليات كثيرة... ولكن كيف عرفتما هذا؟

برين: (يتردد، ويتبادل النظرات مع سالسي، ثم) الجرائد كتبت عن ذلك، الجرائد كلها...

كارا: (مندهشاً) آ،آ، وماذا بعد؟ (يضحك مقهقهاً) كتب اسمي في الجرائد، أليس كذلك؟

برين: ونشرت صورك أيضاً...

كارا: فيما كنت أهرب خوفاً، كانت الصُّدف المعاكسة تشاء أن أقع تحت وابل الرصاص المنهمـــر، وكانـــوا يمـــنحونني الأوسمـــة باستمرار، اوووو... منحوني أوسمة كثيرة بشكل... (يبحث في جيوبه وفي صرَّته) لدي بعضها... بعت الأخريات هنا وهناك. لا أعرف أين وضعتها... لكني بلَّعت أحدهم إحدى تلك الميداليَّات. وضعت الميداليَّات أمامه، وقلت للصبي اختر اختر وخذ ما تشاء. فاختار أكبرها وأكثرها نقوشاً، فقلت له: "يا حبيبي تلك الميدالية غالية، لا أعطيك إيَّاها بعلبة سجائر، اطلب لنا طعاماً مشبعاً فأعطيك إيَّاها". أولا يطلب المغفَّل لنا طعاماً. خوزقت الرجل خازوقاً...

برين: ميدالية بطعام، فأين الخازوق؟

كارا: أجل، لكن تلك لم تكن من ميداليَّاتي، إنها من ميداليات الرئيس.

سالسي: أو تكون قد سرقتها؟

كارا: اذهب عني يا... ماذا تنفع لأسرقها؟ كنا من ضيقنا في ليالي لشتاء نلعب القمار على الميداليات في الخطوط الأمامية لكي نقتل الوقت. أنا لم أحرز تلك الميدالية في الحرب بل ربحتها في القمار.

سالسي: ليكن، وماذا في ذلك؟

كارا: كانت ميدالية جندي عدو يا. لعبنا القمار تلك الليلة مع حرس العدو. ربح الرَّجل وبلع كلَّ ميداليَّاتي. وما أن أدار ظهره هرست رأسه واستعدت ميدالياتي كلها.

برين: لكم هذا مخيف... وكم هو مقرف...

كارا: (يبحث ويفتش ويعثر على الميدالية) هه، هاهي... عثرت على إحداها أخيراً... انظر، وليست ميدالية سيئة يا سالسي... فلأبعك إياها إن شئت.

سالسي: أهي ميداليتك؟

كارا: طبعاً لن أخوزقك... إنها إحدى ميدالياتي.

برين: لماذا لا تعلّقها أنت؟

كارا: (يضحك بمرارة) انظر، هذه الأسمال التي فوقي... الميدالية بحاجة إلى ملابس تعلّق عليها. في إحدى المرات كانوا سيمنحونني ميدالية، فسألت قائد اللواء، ألا يمكن منحي حذاء عسكرياً بدلاً من الميدالية، إذ كان الوقت شتاء، والثلج يغطي كل مكان، وحذائي مثقوب... فأجاب قائد اللواء بأن المستودع خال من الأحذية العسكرية، لكنه مليء بالميداليّات... خذ هذه الميدالية يا سالسي، ولن تخسر، أعطيك إياها بثمن رخيص. الحقيقة أنني كنت أود أن أهديك إياها كذكرى حرب، لكن ليس لدي مال البتة، وبطني جائعة لدرجة... أيمكنك إعطائي سيجارة أخرى؟ (برين يعطيه سيجارة، ويشعلها) إن شئت أبيعك إياها سيد برين... سلسالها متسخ، ولكن يمكنك

تغييره. إنها ميدالية سليمة من حديد، ربما هي برونزية.... كما أنها تليق بملابسك... ويمكن أن يعلقها أولادك وأحفادك من بعدك، إنها سليمة جداً.

برين: لدي ميداليتي.

سالسي: لماذا منحوك هذه الميدالية؟

كارا: نسيت اووووو، من أين لي أن أتذكر مناسباتها جميعاً؟

سالسي: سمعنا أنك جرحت جراحاً بليغة في التحامك مع العدو وجهاً لوجه.

كارا: (مطلقاً قهقهات كمن سمع نكتة مضحكة جداً) أجل جرحت طبعاً... فلأشرح لكم، لقد واجهت الموت أنفاً لأنف. وداخلني خوف لم أعد معه أرغب بالموت. حرب دامية. سريّتنا في المقدمة، والرفاق يتساقطون صرعى عن يميني وعن يساري. فكرت بالهرب، لا من الحرب فقط، بل ومن الجيش كله. هجم علينا العدو بالسلاح الأبيض.

وكانت سوقاً للأرواح... هم لواء ونحن سريَّة... حاولت الهرب من مجرى غدير جاف. رآني النقيب قائد السريَّة أثناء هروبي... فصاح بي "ارجع!" سيقتلني العدو إذا رجعت، وسيرميني النقيب إذا هربت... وإذا ما بقيت حيث أنا فسوف أعدم رمياً بالرصاص فيما بعد. مسَّطني النقيب بمسدسه الأوتوماتيكي (مظهراً ساقه) هه، مسمَرَني من هاهنا بالضبط، وقعت. في تلك اللحظة تماماً سقطت عندنا قذيفة عدوّة أطارت سواترنا في الجو. وتطايرت معها الأذرع والأرجل في الفضاء، وإذ بي أرى النقيب الذي رماني برصاص مسدسه، يطير في الهواء ويسقط عليَّ! لكن بلا رأس... عرفته من كتَّافيَّاته. هنالك أغمي علي، ولا أعرف أكان ذلك من تأثير الجرح أم من الخوف. فتحت عيني في المستشفى. كنت الوحيد الذي بقي حياً من السريَّة بأكملها. وفيما كنت أنتظر إعدامي رمياً بالرصاص، حضر الجنرال إلى المستشفى في أحد الأيام، وقبَّلني من جبيني، وقلَّدني وساماً على صدري.

بربن: لماذا؟

كارا: لأنني حملت النقيب في حضني لكي أنقذه، رغم جراحي... إذ كان النقيب قد سقط في حضني.

سالسي: أمور لا تصدَّق، أنت تدهشني يا كارا...

كارا: أجل... وأنا دهشت جداً.

سالسي: قرأنا في الصحف أنك احتللت تلة للأعداء بمفردك، محققاً بذلك نصراً كبيراً للوائك.

بربن: كتبت الجرائد أن فرقة معادية حاصرت لواءك، وأنّك اخترقت الحصار وخرجت منه بمفردك...

كارا: ألم يكن لهذه الجرائد عمل آخر غير الكتابة عني؟ إه... كأنكم لا تعرفون أن الجرائد لا تكتب الحقيقة... وأنها تجعل من البرغوث جملاً. لكنه ليس كذباً كله. فقد حدث شيء مشابه. سالسي أنت صديق طفولتي، ولن أخفي عنك. كنت حينها أعمل جاسوساً للعدو.

برين: (يبصق على الأرض بقرف) شخص قذر!.

سالسي: مقرف...

كارا: لن أشرح إذا أردتم...

برين: اشرح، اشرح...

كارا: أمّا ما كتبوه عن اختراق الحصار، فقد حدث التالي: طبعاً كان العدو يساعدني على العبور إلى طرفه. تقدّمت نحو مقرٍّ قيادة الحرب في تلك التلة، لكي أزوِّد قيادة العدو ببعض الأخبار. وعند الصباح وقبل بزوغ الضوء هاجم جنودنا التلة واحتلوها. ولشدة ارتباكي ضغطت على زناد بندقيتي، فسقط خيال، وإذ به قائد العدو وقد أصبته في ظهره أثناء هروبه. في تلك اللحظة تماماً أمسك بي أحدهم، نظرت وإذ به مقدَّمنا، وبينما كنت أتخبط وأصرخ "أنا لا ذنبٍ لي" قبّلني المقدَّم من جبيني. وكانوا سيرقّونني إلى رتبة عريف ولكن لم يستطيعوا ذلك لكوني أجهل القراءة والكتابة، فمنحوني ميدالية.

بِرين: هل يعني أن كل الأنباء التي سمعناها عنك كاذبة؟

كارا: ماذا سمعتم غير ذلك؟

برين: حملت رفاقك الجرحى على ظهرك لساعات عديدة وتراجعت بهم، وأوصلتهم إلى المستشفى السيَّار...

كارا: ها، انتظر، هذا صحيح، إنما فيه مغالطة صغيرة، فالذي حملته على ظهري كان ميتاً، ولم يكن جريحاً. فلقد قتل منا الكثير، أينما نظرت هناك جثث ممدَّدة. بل لم يكن هناك موطئ قدم من كثرة الجثث. وكان مساعدنا ممدَّداً بجانبي بلا روح. كيفما كان فسوف يجردهم العدو ويسلبهم كل ما معهم، فقلت في نفسي أنا أَوْلى. وكنت أعرف أن المساعد لديه مال، فحملته إلى مكان منعزل. فليس من المعقول أن أفرغ جيوب المساعد أمام أنظار الجرحى... وبينما كنت أسير حاملاً جثة المساعد على ظهري، توقفت أمامي عربة فجأة، إنها عربة

الجنرال... فادعيت بأنني أحمل المساعد الجريح إلى المستشفى.

برين: كفى، كفى....

كارا: وفي معركة أخرى حملت على ظهري جندياً جريحاً جراحاً بليغة، لكنه لم يكن يحمل شيئاً ذا قيمة، هو سيموت على أي حال. لم أتحمل مقاساته للآلام، ولكي أخفف عنه عذابه، سدّدت رصاصة على رأسه، ثم خلعت سنّيه الذّهبيين...

برين: أصابك الله بالبلاء... اذهب من هنا بسرعة. انقلع!...

كارا: حاضر، فلأذهب (يتجه باتجاه المدينة) ولكن لماذا غضبتما؟ ألأني أخبرتكما الحقيقة؟

سالسي: إلى أني تذهب في هذا الاتجاه؟

كارا: إلى المدينة...

سالسي: ارجع!

برين: لا يمكنك الذهاب إلى هنا!... هيا، عد إلى حيث أتيت!

كارا: لا أستطيع العودة إلى حيث أتيت... فأنا قادم من البحر. إذ كنت على متن سفينة حربية، غرقت، واختنق الرفاق جميعاً، أما أنا فقد عاركت الأمواج فوق عمود خشبي... أمضيت ليلتين في البحر، ثم لا أذكر شيئاً بعد ذلك، إذ وجدت نفسي على شاطئ. ثم مشيت أياماً، ومرت الأسابيع والشهور وربما السنوات. وعلمت فيما بعد أن الحرب انتهت منذ وقت طويل. أشبعت بطني بسرقات صغيرة من هنا وهناك. فأنا في الأصل لا أستطيع القيام بأمور كبيرة، أسرق سرقات صغيرة لإشباع بطني...

برين: وكيف نجحت في التجسس إذن أيها الشخص القذر!...

كارا: أنا لم أكن جاسوساً بمعنى الكلمة، بل كنت جندياً تابعاً لجاسوس.

سالسي: نحن كنا نعرف أنك اختنقت ومتَّ في سفينة الموت تلك.

كارا: أجل، كانت سفينة موت... اف ف، هأنا لم أمت بشكل من الأشكال.

سالسي: وهل تطوعُك في سفينة الموت تلك كذب أيضاً؟

كارا: لا، هذا ليس كذباً... إذ كنت وقتها أعمل في قيادة اللواء، وكان عريفي مهرِّب هيروئين، ألقوا القبض عليه، وسوف يقبضون علي كيفما كان. وكانوا في تلك الأيام يبحثون عن متطوِّعين من الجيش لسفينة الموت. وبدلاً من أن أعتقل وأعدم رمياً بالرصاص تطوَّعت بحاراً في سفينة الموت. لم يكن هناك أي مجال للخلاص من سفينة الموت، إه، لكنه الأمل... وقد تخلصت ونجوت في النهاية.

(برين يبصق في وجه كارا، كارا يمسح وجهه بطرف ذراعه كأن شيئاً لم يكن)

سالسي: فهمنا... هيا اسحب واذهب من هنا، دون أن تمر بيونطابورا...

كارا: لكن دعوني أرى أولادي، وأرى أمي، ماذا يحدث...

برين: لا تستطيع رؤية أمك...

كارا: لا تكن ماتت؟

برين: (يكذب) ماتت...

كارا: إذن أرى أولادي...

برين: أولئك أيضاً لا تستطيع رؤيتهم...

سالسي: إنهم لا يعرفونك...

كارا: ليكن... يكفي أنني أعرفهم...

برين: أولادك ذهبوا من هنا... لا أحد يعرف إلى أين.

كارا: إذن...

سالسي: (مقاطعاً) لا تكن تريد رؤية زوجتك؟

كارا: تلك ليرها الشيطان... (يتكلم متأثراً) كانت هناك شجرة بلوط ضخمة خلف بيتنا. شجرة البلوط تلك لها تأثير عميق في نفسي، ولي

ذكريات كثيرة تحت تلك الشجرة... كنت في الحرب أتذكر تلك الشجرة فجأة في لحظات غير ممكنة. كنت أراها في أحلامي. خاصة عندما كنت جريحاً في المستشفى...

برين: أقول لك انقلع... اذهب من هذه الأنحاء!

كارا: (من أعماقه) كان والدي يضرب أمي دائماً تحت تلك الشجرة، عندما يضبطها مع غيره من الرجال.

سالسي: اذهب من هنا يا كارا...

كارا: لكني لم أستطع أن أكون ابناً صالحاً، إذ لم أستطع أن أفعل ما كان يفعله أبي. لكم كنت أتمنى أن أضرب زوجتي بالعصا تحت تلك الشجرة...

سالسي: (يضع يديه الاثنتين فوق كتفي كارا، وبصوت رقيق) كارا... أنت صديق طفولتي... وقد أخبرتك أن السيد برين رئيس البلدية، وعما قريب سوف يصبح عضو مجلس الأمَّة... وأنا رئيس جهاز الأمن السري... هل فهمت؟

كارا: فهمت... وإني ممتنٌ جداً إذ رأيتكما بهذا الرقي.

سالسي: لقد شرحت لنا جرائمك وأفعالك السيئة كلها...

كارا: لكني وثقت بكما.

سالسي: أنت خائن للوطن، محتال...

برين: لص...

سالسي: وقاتل أيضاً...

برين: ناهب الأموات...

سالسي: جاسوس.

برين: سافل، عديم الشرف!...

كارا: أجل...

سالسي: يعني أنت مجرم...

كارا: صحيح...

سالسي: إذا جئت إلى يونطابور سنضطر إلى القبض عليك، وسوف تقدَّم للمحكمة، وستعدم. هل تفهم، ستعدم...

كارا: إني أفهم...

برين: اهرب من هنا دون أن تمرّ بيونطابور....

سالسي: (يتوسل) هيا اذهب... ماذا يحدث... العالم كله لك...

برين: طالما أنك صعلوك... فاذهب إلى أي مكان تشاء عدا يونطابور... كل مكان لك...

سالسي: أفضل كثيراً لك أن تذهب...

برين: أفضل لك، وأفضل لنا، وأفضل لكل اليونطابوريين، وللمنطقة، وللشعب...

سالسي: وللتاريخ أيضاً...

كارا: لم أفهم، لماذا؟

برين: لكل العالم...

سالسي: سوف يلقون القبض عليك فور دخولك يونطابور...

برين: يعدمونك...

سالسي: خاصة وأنهم يبحثون عنك، يعدمونك فوراً...

كارا: ليعدموني، ولكن ليعدموني في يونطابور...

فلم أعد أخاف الموت... لكني لا أستطيع أن أقتل نفسي. فأنا جبان بلا قلب، ولست أبلهاً لهذا الحد يا سالسي... هل كنت اعترفت وشرحت لكما كل هذه الأمور لو كنت أخاف الموت؟ هل شرحتها لكما، فقط لأني أثق بكما؟

سالسي: لماذا لا تفهم؟

كارا: إني أفهم... كيفما كان فلسوف يعدمونني يوماً ما... ولكن ليعدموني في يونطابور، على الأقل في مكان ولادتي، بين معارفي... يكفيني أن أرى يونطابور مرة واحدة...

سالسي: لا يمكن يا كارا، لا يمكن... أرجوك...

برين: انظر، كلانا نتوسل إليك... ها، أنت لا تملك مالاً، بعني تلك الميدالية...

كارا: ممكن...

برين: بكم؟

كارا: أعطيك إياها بعلبة سجائر.

بربن: حسناً... (يعطيه علبة سجائر) خذ... (يخرج من جيبه رزمة كبيرة من الأوراق المالية) وهذا المال لك أيضاً...

كارا: (ينظر إلى رزمة الأوراق المالية مدهوشاً) ما أكثرها... لو كنت أعرف لبعتك ميدالياتي كلها. (يعطيه الميدالية) طالما لا ترغبون ببقائي، حسناً فلأذهب إذن...

سالسي: (مسروراً) اذهب يا كار، إلى البعيد، إلى البعيد جداً جداً...

بربن: بقدر ما تستطيع أن تذهب...

كارا: حاضر... أستودعكما الله...

سالسي وبربن: مع السلامة...

(كارا يتناول عصاه وصرّته من الأرض، ويبتعد مصفراً)

بربن: (بعد لحظة صمت. يلعب بالميدالية التي في يده) أبيع هذه الميدالية لمتحف كارا... (بسرور مفاجئ) آآ... واسمه محفور خلفها... يدفعون خمسة أو عشرة آلاف، أليس كذلك؟

سالسي: تساوي أكثر بكثير... (صمت) ولكن...

برين: ماذا؟

سالسي: أعطيناه مبلغاً ضئيلاً... لا يستطيع أن يبتعد كثيراً بذلك المبلغ... وإذا عاد؟

برين: صحيح... لا يستطيع الابتعاد كثيراً، ناد عليه بسرعة، ناده ولنعطه مبلغاً أكبر وأكبر...

سالسي: (يصعد فوق الكرسي وينادي) كارا، هِيْ يا كارا... تعال، تعال... (ينزل)

برين: انظر، تفكيرك هذا جيد، يجب أن يكون في جيبه مبلغ كبير من المال ليتمكن من الابتعاد...

سالسي: أرى... (يتوقف)

برين: ماذا ترى؟

سالسي: لو يستقل الباص... ولو يحدث حادث...

برين: ولو يموت... (كارا يحضر، برين يصمت تماماً. يعطيه رزمة نقود يخرجها من جيبه) لكي تتمكن من الابتعاد كثيراً، إلى أماكن لا يعرفونك فيها...

كارا: (يأخذ النقود) تسلم... ماذا كان، عضو مجلس أمة، إن شاء الله تصير...

سالسي: (يعطيه المال الذي يخرجه من جيبه) خذ، وهذا مني...

كارا: لكني لم أبعك ميدالية...

سالسي: نحن أصدقاء قدامى يا كارا...

كارا: (يأخذ النقود) ليكن ديناً علي، إذا منحوني ميدالية أخرى فسوف أحضرها لك...

سالسي: لا أريد، يكفي أن تذهب من هنا...

كارا: تسلم يا سالسي...

برين: ولكن لا تخبر أحداً بأنك أخذت منا نقوداً...

كارا: لا أخبر...

برين: ولا تقل عن نفسك بأنك كارا في الأماكن التي ستذهب إليها!

سالسي: استعمل اسماً آخر... هيا بالتوفيق...

برين: ليكن طريقك ميسراً... (كارا يذهب) أف... تعرَّقت لدرجة الموت يا... خشيت كثيراً أن لا يذهب...

سالسي: أتعرف، حظنا كبير جداً، وماذا لو كان حضر أثناء الاحتفال...

برين: أجل... وماذا لو كنا عدنا نحن أيضاً مع الآخرين إلى كارابور بعد الاحتفال، وحضر هو بعدنا مباشرة إلى المدينة.

سالسي: لكانت مهزلة... لقد تجاوزنا خطراً كبيراً...

برين: وإذا أخذ النقود ولم يسأل عنا؟

سالسي: كيف يعني؟

برين: وإذا عاد إلى المدينة من طريق آخر؟ فلأنظر من خلفه... (يصعد على الكرسي وينظر) كلا، إنه مغادر تماماً...

سالسي: تقابلنا اليوم هنا مع الوجه المرِّ للحقيقة...

برين: أجل، ولكن أية حقيقة؟

سالسي: الحقيقة واحدة.

برين: نحن أيضاً لنا حقيقتنا، أي حقيقة المجتمع، حقيقة المنطقة كلها... فقد اقتنعنا جميعاً ببطولة كارا. والآن لا يحق لأحد أن يغيِّر قناعتنا هذه إلى عكسها، حتى كارا نفسه

فقد نصب نصبه، وجهز متحفه، ودخل التاريخ بطل اسمه كارا، هذه هي الحقيقة التي يؤمن بها المجتمع...

سالسي: أجل، لكن الحقيقة ليست كذلك... كارا الذي كان هنا، يجسِّد الحقيقة بعينها.

برين: وهنا يكمن التناقض المخيف... فالحقيقة الواقعة لا تتطابق دائماً مع حقيقة ما يؤمن به المجتمع (يجلس متعباً عند أسفل النصب، ويجلس سالسي بجواره، يشعلان سيجارتين) لا يمكننا أن نقول إن كارا الذين نؤمن جميعاً ببطولته، هو هذا السافل... وما أهمية الحقيقة الواقعة. نحن كنا بحاجة إلى بطل، ولقد عثرنا عليه... كارا الحقيقي ليس كارانا، كارانا نحن بطل... أما ذاك فكارا آخر صعلوك، خائن...

سالسي: شيء محير... مع أنه لا يمكنني أن أعطيك الحق، أجد نفسي مضطراً لأن أتصرف مثلك... هل كان علينا أن نهدم النصب، أو أن نغلق المتحف لأن الحقيقة الواقعة لا تطابق الحقيقة التي يعتقدها المجتمع؟ لا أعرف، ما

هو الصواب: هل في أن يعتقد المجتمع بأن الخطأ هو الحقيقة، أم في أن يعرف الحقيقة الواقعة كما هي؟ (صمت) وماذا لو كان تشبث برغبته في الذهاب إلى يونطابور أي إلى كارابور؟

برين: كان هناك شيء واحد فقط يمكن فعله حينها، قتله هنا...

سالسي: أنا كذلك فكرت بالشيء نفسه.

برين: هذا هو المنطق... فلا يمكننا تحطيم أحلام الشعب... فأنا الآن لا أصدق بأن بطلنا كارا هو هذا الصعلوك كارا. هو وليس هو...

سالس: أجل... فإذا اكتشف الشعب أن كارا مجرَّد صعلوك، فسوف يشك في التاريخ بأكمله...

برين: لقد أخطأنا، كان يجب علينا أن نمنحه بطاقة هوية مزورة باسم آخر.

سالسي: فنناده إذن... (يصعد على الكرسي وينادي) ذهب منذ زمن، لا يبدو للعيان (ينزل) لن يصدقه أحد حتى لو قال بأنه كارا... سوف يقولون عنه مجنون، فهناك أمثال هؤلاء،

ممن يظنون أنفسهم أشخاصاً تاريخيين مشهورين.

برين: هناك كارا واحد فقط، هو كارانا البطل...

سالسي: هل نذهب الآن؟

برين: إنني متعب لدرجة...

سالسي: في أي ساعة ستقام المأدبة في القصر البلدي، على شرف كارا؟

برين: في الثامنة...

(كارا يعود ويحضر. برين وسالسي لا يريانه لأنه خلفهما)

برين: لو تمسك بالذهاب إلى المدينة، كنت قد جهزت المسدّس...

سالسي: جيد أنه أطاع كلامنا...

برين: ربما كان من الأفضل قتله.

كارا: أنا عدت...

(برين وسالسي يجمدان في مكانيهما عندما يريان كارا)

سالسي: لماذا عدت؟ (كارا يسكت)

برين: أتريد مزيداً من المال؟ (كارا يسكت).

سالسي: هاا . لقد فهمت... ونحن نادينا عليك من خلفك لكننا لم نستطع إسماعك. أنت بحاجة إلى بطاقة هوية مزورة لكي تخفي أنك كارا ، أليس كذلك؟

كارا: لاا... لماذا أستعمل اسماً آخر؟ أنا كارا!

برين: أنت، لست كارا!...

كارا: (بهدوء) أنا كارا....

سالسي: كارا ، أنت لست كارا ، أنت لم تعد كارا.

برين: (يصيح) أنت لست كارا بعد الآن...

سالسي: (يقدِّم رزمة أوراق مالية أخرجها من جيبه) خذ... أنت لست كارا ، هل فهمت؟

كارا: لا أريد... (يخرج الأوراق المالية من جيبه ويعيدها لهما) خذا هذه أيضاً... (لا يأخذانها. يرميها على الأرض).

برين: هل عدلت عن بيع ميداليتك؟

كارا: فلتكن الميدالية لك كذلك.

سالسي: حسناً، لماذا عدت إذن؟

كارا: سأذهب إلى يونطابور، وأراها...

سالسي: لم تعد هناك يونطابور، حتى اسمها تغير.

كارا: ليكن... سأرى شجرة البلوط تلك وأعود. هكذا فقط.

برين: شجرة البلوط تلك قطعوها منذ زمن بعيد.

كارا: أرى مكانها...

سالسي: لم يعد مكانها موجوداً، فقد بنوا بناية هناك.

كارا: ليكن... لا بد أن شيئاً ما بقي من شجرة البلوط تلك، لكم كانت شجرة بلوط ضخمة...

برين: لماذا أعدت الأموال إذن؟

كارا: لن تدخلاني إلى المدينة ما لم أعد لكما أموالكما...

سالسي: أنت لا تفهم الكلام. سوف يشنقونك في المدينة.

كارا: مالكما؟ فليشنقوني... لكن فقط... أنت كلمتك مسموعة يا سالسي، ماذا يجري، ليشنقوني مكان شجرة البلوط تلك (صمت) ارتكبت حتى الآن جرائم عديدة خطيرة تستوجب الشنق لكنهم في كل مرة كانوا يمنحونني ميدالية بدلاً من أن يشنقوني... قد يحدث هذا الآن أيضاً.

برين: (يقف خلف كارا) لماذا لم تذهب إلى المدينة من طريق آخر، ومررت من هنا؟

كارا: لقد قلت، لكي أردَّ لكما أموالكما...

سالسي: (يتوسل) هيا يا كارا... اذهب من هنا...

كارا: حسناً، ولكن لماذا؟

سالسي: كارا، لأنك لست كارا!...

كارا: (بينما كان يتكلم بهدوء طوال الوقت يصرخ) كارا أنا، كارا...

سالسي: لست كارا...

كارا: (يصرخ) أنا كارا! (برين الواقف خلفه، يشهر مسدسه ويسدده نحو كارا ويطلق عليه كارا يقع على المكان الذي بال عليه. يتلوّى حيث هو مستلق) سوف تريان، سيمنحونني أيضاً ميداليات... وسوف أعطيك إياها يا سالسي. أنا كارا، هل فهمتما الآن؟ أنا كارا...

تمت الترجمة في حلب

مساء السبت 15/ 1/ 2005م

5/ 12/ 1425هـ

نظيرة لامرأة

غـرفة كـبيرة، جـدرانها مغطـاة بـرفوف مـلأى بالكتب. نافذة وحيدة كبيرة، مغطاة بستائر سميكة حمـراء. وعلـى الأرض تبعثـرت مجـلات وجـرائد وكـتب مفـتوحة... تظهـر بـشكل واضـح سـاعة جداريـة. تكـتكات رقّـاص الـساعة، تكـبر أحـياناً في سـياق المـسرحية، وحيـنما هـو مكـتوب، وتـتحوّل إلى رنّـات جرس. الساعة العاشرة والثلاثون ليلاً.

المـرأة واقفة على قدميها تتزين أمام مرآة معلقة على أحـد الـرفوف. تنظـر إلى الـساعة. تـبدأ بترتيب مبعثـرات الغـرفة، ثـم تعـود وتقـف أمـام المـرآة وتتـزّين. تنظـر إلى الـساعة ثانيةً. أيـضاً تـرتب الغـرفة، مـرتبكة ومتسرّعة. يفهـم مـن مجمـوع هـذه الـتصرفات أنهـا تتهيأ لاسـتقبال شـخص مـا في سـاعة محـددة. تترك تـرتيب الغـرفة وتقف مـرة أخـرى أمـام المـرآة وتتـزين. تـضع عقـداً حـول عنقهـا، وتضع دبوس زينة على صدرها.

يـرن جـرس الـباب. المـرأة تنظـر إلى الـساعة. يـبدو عليها الـضيق والحـيرة إذ رنَّ جـرس الـباب أبـكـر مـن المتوقَّع، ممـا يـدل علـى أن القـادم شـخص غـير الـذي تنتظره. يتكـرر رنـين جـرس الباب. المرأة مترددة في فتح الـباب. وبـسبب بـرودة الطقس تتناول معطفهـا مـن فـوق القلطق وتضعه على كتفيها، وتخرج لتفتح باب البيت.

تـدخل امـرأة غـريبة في الأمـام، وسيدة المنزل خلفها. المـرأة الغـريبة تحمـل في يـدها حقيبـة سفـر صغيرة. وتضـع غطـاء رأس علـى رأسـها. ثـياب المـرأتين وزينـتهما ومـا عليهما طبق الأصل عن بعضهما.

سيدة المنزل: (تنـزل المعطف عـن كـتفها وتـضعه علـى القلطـق. للمـرأة الغـريبة الـواقفة حـذرة أمام باب الغرفة) تفضلي... تفضلي...

المرأة الغريبة: أظـن أنـني لم أخطـئ... هـذا منـزل واسين أليس كذلك؟

سيدة المنزل: (مـتعمِّدة إظهـار امتعاضـها مـن حـديث المـرأة الغـريبة عـن زوجهـا هـكـذا بـلا تكلف، مـشددة علـى الأحـرف) أجـل... إنه منزل السيد واسين...

المرأة الغريبة: (ناظرة إلى الكتب) أنت زوجة واسين، إذا لم أخطئ...

سيدة المنزل: أجل... زوجة السيد واسين...

المرأة الغريبة: البرد قارس في الخارج، وهناك ثلج كثيف...

سيدة المنزل: (تأخذ الحقيبة من يد المرأة الغريبة) اقلعي معطفك... (تشير إلى القلطق) تفضلي هكذا...

(تقلع المرأة الغريبة معطفها، وغطاء رأسها فيظهر أن المرأتين ترتديان ملابس متشابهة جداً. ودبوسا الزينة اللذان على صدريهما متشابهان لدرجة التطابق)

المرأة الغريبة: (بعد أن تقلع معطفها وغطاء رأسها وتجلس) كنت خائفة من أن لا أعثر على بيتكم في الليل، لكني اهتديت إليه بسهولة... (سيدة المنزل تدقق النظر في المرأة الغريبة) أعتذر إذ جئت في وقت غير مناسب. لم أكن أودُّ إزعاجكم في

منتصف الليل، لكنني نزلت من الطائرة للتو، ولا أعرف أحداً آخر في هذه المدينة. والحقيقة أنني لم أرغب في الذهاب إلى الفندق قبل أن أرى واسين.

سيدة المنزل: (مدهوشة جداً) ماذا؟ تريدين رؤية واسين؟

المرأة الغريبة: أجل... هل واسين غير موجود في البيت؟

سيدة المنزل: السيد واسين غير موجود في البيت.

المرأة الغريبة: إذن فقد ذهب إلى مكان ما، هل سيعود بسرعة؟

سيدة المنزل: (ناظرة إلى ساعة الحائط) سيأتي.. هل قدمت من مكان بعيد؟

المرأة الغريبة: من بعيد، من بعيد جداً... أمضيت رحلة جوية طويلة، ثم جئت إلى هنا، هل ذهب واسين إلى مكان بعيد؟

سيدة المنزل: إلى البعيد، إلى البعيد جداً... إلى أبعد بكثير جداً من المكان الذي جئت منه...

المرأة الغريبة: إذن فأنت تعرفين من أين جئت؟

سيدة المنزل: كلا، لا أعرف، ولكن من أينما جئت فإن واسين ذهب إلى أبعد كثيراً جداً من المكان الذي جئت منه.

المرأة الغريبة: أواه!... واخ، واخ... لن أستطيع رؤيته هذه الليلة إذن، لا داع لانتظاري بلا جدوى...

سيدة المنزل: هل أنت فعلاً لا تعرفين؟

المرأة الغريبة: ما الذي لا أعرفه؟

سيدة المنزل: موت واسين...

المرأة الغريبة: (تصرخ) هل مات؟ متى؟

سيدة المنزل: مرت سنة على موته...

(المرأة الغريبة تبكي من الأعماق. سيدة المنزل تقف أمام المرآة وتتزين، تنظر إلى الساعة بين الفينة والأخرى. تكتكات رقاص ساعة الحائط تعلو رويداً رويداً، ثم تخف رويداً رويداً)

المرأة الغريبة: (معيبة على الأرملة زينتها) تتهيئين، لابد أنك ستذهبين إلى مكان ما...

سيدة المنزل: لا !!... سأبقى في المنزل...

المرأة الغريبة: أنت تنتظرين أحداً ما إذن، فلأذهب أنا...

سيدة المنزل: إني أنتظر ضيفاً. (تنظر إلى ساعة الحائط) لكن ما زال الوقت مبكراً على حضوره... فلنشرب قهوة...

المرأة الغريبة: شكراً، لا داعي... (سيدة المنزل تقدم لها سيجارة) لا أدخن... (سيدة المنزل تشعل سيجارتها) ترملت وأنتِ شابة جداً... وجميلة كذلك... حرام (سيدة المنزل أمام المرآة تتزين) لا يمكن الموت مع الميت... ولا يمكن أن تحزني عليه لسنوات... خاصة في سنك الفتية هذه... (صمت) لابدَّ أنك تنتظرين ضيفاً رجلاً...

سيدة المنزل: (بانفعال) كيف عرفت؟

المرأة الغريبة: إنه شديد الوضوح... من زينتك... ومن ارتباكك الشديد...

سيدة المنزل: صحيح... إني أرتبك كلما اقترب موعد حضوره في مثل هذه الساعة من كل

ليلة. مضى على ذلك أكثر من سنة، وأنا دائماً هكذا...

المرأة الغربية: (معيبة) بدأت بذلك مبكراً أليس كذلك؟ فور موت واسين... (سيدة المنزل لا تجيب) هل تحبينه؟

سيدة المنزل: من؟

المرأة الغربية: الرجل الذي تنتظرينه؟

سيدة المنزل: كثيراً...

المرأة الغربية: وهل يحبك هو أيضاً؟

سيدة المنزل: لا أعرف...

المرأة الغربية: لا تظني أني أنتقدك. فمن الطبيعي أن لا تستطيعي البقاء وحيدة وأنت في مقتبل الشباب. ويصعب عليك الزواج ثانية وأنت أرملة رجل مشهور. لأنه لا يمكنك الإعجاب بسهولة ويسر بزوج آخر بعد واسين. وإن أعجبت بشخص وتزوجته فسوف ينتقدك الناس على أنك خنت واسين... ولا يمكنك العيش على حريتك وهواك، ولا يمكنك مصادقة

الرجال، لأنك أرملة واسين المشهور... ثم إن الرجال أيضاً لا يستطيعون التقرب منك لأنك أرملة رجل مشهور...

(سيدة المنزل تملأ كأسين خمراً، تقدم أحدهما للمرأة الغريبة. المرأة الغريبة تتناول الكأس)

المرأة الغريبة: شكراً.. اعذري فضولي، أيمكن أن أسألك أي رجل؟

سيدة المنزل: من؟

المرأة الغريبة: الرجل الذي تنتظرينه؟

سيدة المنزل: لن تصدقيني حتى لو أخبرتك...

المرأة الغريبة: فلأذهب إذن ولأدعكم براحتكم.

سيدة المنزل: هل رؤيته ضرورية جداً؟

المرأة الغريبة: رؤية من؟

سيدة المنزل: رؤية واسين...

المرأة الغريبة: كان ضرورياً، ولكن فات الوقت كثيراً الآن... (تنهض واقفة)

سيدة المنزل: (ناظرة إلى ساعة الحائط) انتظري قليلاً أيضاً، سوف يحضر بعد عشرين دقيقة... (المرأة الغريبة تتراجع مذعورة خطوتين إلى الخلف، تأخذ معطفها)

المرأة الغريبة: فلأذهب أنا الآن...

سيدة المنزل: لم أحدث أحداً بذلك حتى اليوم، لأنهم لن يصدقوا أنتِ أول من أصارحها بذلك.

المرأة الغريبة: بماذا؟

سيدة المنزل: بحضور واسين كل ليلة... لو أخبرت أحداً بذلك، لقال عني مجنونة. أما أنتِ فقد جئت من مكان بعيد جداً... وتصرين على رؤيته... (مبتسمة للمرأة الغريبة الواقفة خائفة أمامها). لماذا تنظرين إلي هكذا؟ لا تصدقينني أليس كذلك؟ (تأخذ معطف المرأة الغريبة من يدها وتضعه على القلطق). انتظري، سوف يحضر بعد قليل، فترينه...

المرأة الغريبة: (متهالكة على القلطق) أتنتظرين واسين؟

سيدة المنزل: أجل...

المرأة الغريبة: أكنت تتزينين من أجله؟

سيدة المنزل: أجل...

المرأة الغريبة: كيف يأتي؟

سيدة المنزل: طبيعي جداً... تماماً كما كان قبل موته...

المرأة الغريبة: ألا تخافين؟

سيدة المنزل: خفت كثيراً عندما مات. لم أستطع البقاء بجواره تلك الليلة، بقي الآخرون بجواره، أما أنا فقد أمضيت تلك الليلة عند الجيران. شيء محير، ما أن يموت أقرب وأحبُّ شخص إلينا حتى يصبح فجأة غريباً عنَّا، ويداخلنا خوف منه... أما الآن فلم أعد أخاف منه...

المرأة الغريبة: هل اعتدت عليه؟

سيدة المنزل: إنه ليس ميتاً... لو كان ميتاً لخفت منه أيضاً.

المرأة الغريبة: هو لم يمت إذن؟

سيدة المنزل: مات... مات تماماً... لكنه مع ذلك يأتي.

المرأة الغريبة: (في حيرة دائمة) كيف يأتي؟ بالكفن، بالتابوت؟

سيدة المنزل: (هادئة ساكنة وكأن كل هذا الذي ترويه شيء طبيعي جداً). لا يا عزيزتي، ماذا تقولين، أنا لا أروي لكِ فيلماً مرعباً، ولا حكاية... إنه يأتي بالملابس التي كان يلبسها آخر مرة...

المرأة الغريبة: هل يأتي كهيكل عظمي؟

سيدة المنزل: (تضحك ساخرة) تكادين تخيفينني... لا ليس كذلك يا عزيزتي... تماماً كما في السابق...

المرأة الغريبة: ألم يهترئ لحمه طوال تلك المدة؟

سيدة المنزل: لا !! إنه سليم معافى... لكنَّه ما زال يسعل كثيراً كما كان دائماً. عندما أسمع سعاله قبل أن يضغط جرس الباب أعرف أنه جاء... فأنا أعرف سعاله من بين ألف سعلة..

المرأة الغريبة: هل زال وجع كتفيه؟

سيدة المنزل: (بغيرة) كيف تعرفين وجع كتفيه؟ أهو الذي أخبرك؟

المرأة الغريبة: لا ااا... سمعت بذلك من أحدهم...

سيدة المنزل: آلام كتفيه لم تزل... هو لا يتحدث عنها، لكنني أعرف ذلك من تلويه بين الفينة والفينة.

(يرنُّ جرس الهاتف. المرأتان تنظران معاً في اللحظة نفسها إلى الهاتف، ثم تتبادلان النظرات)

المرأة الغريبة: (مجفلة) أهو؟

سيدة المنزل: لا أظن... لم يتصل بي هاتفياً منذ أن مات. إنه شخص آخر... (ترفع سماعة الهاتف بتردد) ألو... تفضلوا... (صوت رجل على الهاتف تتردد أصداؤه داخل الغرفة كأنه مضخم بمكبرات الصوت. إنه صوت شابٍ سعيد).

الصوت: أعتذر عن إزعاجك في هذا الوقت المتأخر.

سيدة المنزل: (ببرود) أستغفر الله...

الصوت: ألم تعرفيني؟

سيدة المنزل: أيمكن أن لا أعرفك، صرت أعرفك من صوتك...

الصوت: أشكرك... بحثت عيناي عنك طوال هذه الليلة. انتظرتك حتى هذه الساعة. مع ذلك لم تأتي...

سيدة المنزل: لكني قلت لك بأني لن آتي.

الصوت: أجل، قلت ذلك كما في كل مرة، مع ذلك كان هناك في نفسي أمل.

سيدة المنزل: (تشير للمرأة الغريبة إشارة تعبر بها عن استيائها من الرجل الذي على الهاتف) لكني لم أمنحك أملاً أبداً...

الصوت: حرام أنك لا تمنحينني...

سيدة المنزل: عفواً لدي ضيفة...

الصوت: هل يمكن أن نلتقي غداً؟

سيدة المنزل: كلا.

الصوت: لو أستطيع أن أشرح لك كم أنا جاد في هذا الموضوع. (يبدو الاستياء واضحاً على وجه سيدة المنزل) هل أستطيع أن آتي لزيارتك؟ طبعاً لن آتي بمفردي، مع شقيقتي...

سيدة المنزل: قلت لك دائماً بأن لدي أعمالاً كثيرة... ليس لدي أي وقت فراغ،

الصوت: ألا يمكنك منحي خمس دقائق من وقتك؟

سيدة المنزل: (بعد أن تضع يدها على مرسل الهاتف وتقول "أف ف ف") لستُ في المنزل غداً.

الصوت: أكرر اعتذاري لأنني أزعجتك. لن تغضبي مني أليس كذلك...

سيدة المنزل: (بلا مبالاة) لا، لماذا...

الصوت: سوف أتصل بك ثانية... قد تغيرين رأيك... شكراً جزيلاً إني سعيد جداً لأني سمعت صوتك... ليلة سعيدة...

سيدة المنزل: ليلة سعيدة... (تضع قبضة الهاتف بانفعال) إنهم لا يعلمون بمجيء واسين كل ليلة، ولذلك... وأنا لا أستطيع أن أبوح بهذا لأحد، فسوف يعتقدون بأنني مجنونة...

المرأة الغريبة: كنت تشرحين، ماذا تفعلان عندما يأتي إلى البيت؟

سيدة المنزل: تماماً مثلما كان في حياته. واسين متمسك جداً بالتقاليد العائلية. يقبلني عندما يدخل من باب البيت... ويقبلني عندما يغادر البيت... يفعل هذا حتى لو كنا متخاصمين في ذلك اليوم. أبوه كان كذلك أيضاً...

المرأة الغريبة: ثم ماذا؟

سيدة المنزل: ثم كعادته دائماً، يدخل غرفته، هذه الغرفة... يعمل، ولا يريد أن يكون أحد بقربه عندما يعمل. هو لا يصرح بذلك لكنني أعرف. هو لا يقول شيئاً أبداً... يعتزل في هذه الغرفة...

المرأة الغريبة: هل كان كذلك قديماً؟

سيدة المنزل: قديماً كان ثرثاراً جداً.. في السنوات الأولى لزواجنا كان يتكلم دون توقف، ودائماً عن الأشياء نفسها... كان كثير الكلام لدرجة أنَّ صوته كان يتغلغل داخل رأسي فيحفر في دماغي بحيث كنت أصرخ فيه "اسكت كفى!"

المرأة الغريبة: والآن؟

سيدة المنزل: الآن لا يتكلم مطلقاً... "أجل، لا، حاضر، ممكن، يوجد، لا يوجد..." هذا كل ما في الأمر... هو يعمل، وأنا أجهز له الشاي باستمرار... أضع كأس الشاي أمامه، فيقف جامداً مثل تمثال بوذا... تماماً كما كان في حياته... مات ورحل ولم يغير حتى الآن أي عادة من عاداته...

المرأة الغريبة: ماذا يعمل هنا؟

سيدة المنزل: (مدهوشة) ألا تعرفين؟

المرأة الغريبة: كان صانع خوذات...

سيدة المنزل: أجل، إنه ما زال يصنع الخوذات، بينما كان يصنع آخر خوذة مات فوقها. والآن يأتي في الليالي ويحاول أن ينجز صنع تلك الخوذة.

المرأة الغريبة: ألم ينجز صنعها منذ أن مات حتى الآن؟

سيدة المنزل: كلا، ولن ينجزها أبداً على هذا المنوال...

المرأة الغريبة: لماذا؟ تقولين إنه يعمل باستمرار.

سيدة المنزل: يعمل، لكنه يحطم نصف الخوذة التي صنعها قبل ليلة، ثم يبدأ في صنع خوذة من جديد. فيعمل طبق الأصل ما عمله قبل ليلة ويصنع أيضاً نصف خوذة. وتبقى نصف الخوذة هذه كما بقيت تلك قبل ليلة... ثم تشرق الشمس...

المرأة الغريبة: وعندما تشرق الشمس؟

سيدة المنزل: عليه أن يغادر.. يقبلني وذهب.. وهكذا دائماً. (ناظرة إلى ساعة الحائط) سوف يأتي بعد قليل، فيحطم نصف الخوذة الباقية من الليلة الماضية، ويبدأ بصنعها من جديد...

المرأة الغريبة: هل يأتي إذا كنت موجودة؟

سيدة المنزل: لا أعرف... أظنه يأتي...

المرأة الغريبة: آه لو أراه... (صمت)

سيدة المنزل: اعذري فضولي، عم ستحدثين واسين؟...

المرأة الغريبة: (مقاطعة) كنت أود رؤيته فقط...

سيدة المنزل: (بنبرة تبدو غيورة من هنا فصاعداً) لم يحدثني أبداً عنكِ أو عن أيٍّ امرأة غريبة أخرى...

المرأة الغريبة: طالما مات فغيرتك بلا جدوى...

سيدة المنزل: من أين تعرفين واسين؟

المرأة الغريبة: كانت ليلة... كنا نسير جنباً إلى جنب على طول لميناء...

سيدة المنزل: (بانفعال وغيرة) على طول الميناء؟

المرأة الغريبة: كلا، كلا... كنا في الباخرة...

سيدة المنزل: (بحدة) في الباخرة؟

المرأة الغريبة: (تغير كلامها باستمرار) لا ، لا... كنا نتجول في الشارع العريض تحت الأشجار...

سيدة المنزل: في الشارع العريض؟ تتجولان؟

المرأة الغريبة: كلا... كنا في الحديقة. كنا نجلس على مقعد...

سيدة المنزل: في الحديقة إذن؟

المرأة الغريبة: لا... (مرتبكة) هذا... لكن، لا شك يا سيدتي أننا كنا في مكان ما... فلنكن حيثما تشائين أن نكون... لأن واسين أخبرني شيئاً ، سأشرحه لك، لا شك أن واسين أخبرني بذلك في مكان ما...

سيدة المنزل: قولي الحقيقة أين كنتما...

المرأة الغريبة: كنا في المطعم... فقال لي...

سيدة المنزل: لكِ؟

المرأة الغريبة: أنا امرأة متزوجة يا سيدتي. ولم أخن زوجي أبداً.

سيدة المنزل: أنا لم أخنه كذلك، ولم يخطر ببالي شيء من هذا.. ماذا قال واسين؟

المرأة الغريبة: كان بجانبه شخص آخر، قال لذلك الشخص، وأنا سمعت من ذاك.

سيدة المنزل: ماذا قال؟

المرأة الغريبة: لا شيء... (صمت) سألت زوجي قائلة "هل تحبُّني؟" لم يجب، فكرَّرت سؤالي... "قل، هل تحبُّني؟" فقال "لا أحبُّك ولا أحبُّ غيرك... لا الآن، ولا فيما بعد" سألته "لماذا؟". (سيدة المنزل تبكي) فأجاب "تسألين الأصمَّ هل تصغي وهل تسمع" "رأيتك قبل أن أصبح أعمى". كنت أسأل الرجل الذي فقأت عينيه وأعميته "هل تراني؟" (سيدة المنزل تبكي) واسين كان يحبك.

سيدة المنزل: (باكية) دو...

المرأة الغريبة: كان يريد أن يتباهى بك...

سيدة المنزل: (تصرخ بحدة بعينين باكيتين) أجل كان يريد أن يتباهى بي لكنه عندما

كان يعرف الآخرين علي، كان كمن يقول "انظروا إلى مزهريتي، إلى مكتبتي... انظروا إلى مسجلتي!..." كان يريد أن يتباهى بي كمن يقول "انظروا ما أحلاها، ما أجملها..." كان يريد أن يقول "انظروا إلى أملاكي"

المرأة الغريبة: كان يود أن يكون هناك شيء منك في الخوذات التي يصنعها، كان يود أن تكوني ملهمته...

سيدة المنزل: كان يستطيع أن يعمل ويصنع ما يريد عمله وصنعه في كل زمان وفي كل مكان وفي كل الظروف يا سيدة...

المرأة الغريبة: ربما كان ما تقولينه صحيحاً. لكن إيمانه بأن ما فعله كان بتأثير منك كان سيسعده أكثر، هكذا كان يظن.

سيدة المنزل: أجل، ولكن أنا؟ ما أنا؟ هل أنا لا شيء؟ كان أنانياً يفكر في نفسه فقط...

المرأة الغريبة: كان رجلاً طيباً، يصنع الجميل للجميع.

سيدة المنزل: أجل، كان يصنع الجميل، ولكن لماذا؟ بسبب أنانيته... كان يحاول أن يشبع أنانيته بصنع الجميل للآخرين. بل كان يقدم الجميل حتى لمن أساؤوا إليه، منتقماً بذلك منهم انتقاماً يفهمه هو فقط... (تبكي بمرارة) أي زوج فكرّت فيه وأنا فتاة شابة...

المرأة الغريبة: قلت له هذا الكلام في ليلة كنتما فيها في زيارة (سيدة المنزل تحني رأسها وتبكي فيما تذهب المرأة الغريبة وتقف خلفها وتداعب شعرها، يُسمع صوت رجل أجش من مكبر الصوت)

صوت الرجل: سأموت يوماً ما، وسوف يأتي الطبيب، وسوف يجسُّ نبضي، وسيتظاهر بأنه يجري كشفاً كبيراً علي، ثم سوف يعطي تقريره "مات". ستبكين فوق رأسي، وسوف تصدِّقين دموع عينيك،

وتقولين بأنك لن تستطيعي العيش بدوني...

(صمت)

المرأة الغربية: ممَّ مات؟

سيدة المنزل: لا أعرف...

المرأة الغربية: عندما يقرِّر المرء الموت يموت.

صوت الرجل: في تلك الليلة التي توترت فيها أعصابي جداً، رأيت حلماً، كنت في وادٍ مغطىً بالضباب والدخان، وامرأة لا أعرف بالضبط من هي، قد تكون أمي، تقول لي "لا تخف!" تقول لي "إنه سهل جداً..."

صوت امرأة: (حلو ولطيف) لا تخف! سهل جداً... ارخ نفسك هكذا. افتح ذراعيك جانباً!... انظر، هكذا... ستنقطع رجلك عن الأرض شيئاً فشيئاً، وتموت... ليس هناك في الموت ما يخيف... لا تزعج نفسك، سوف تطير.. انظر هكذا مثلي. تشجع قليلاً، ثم لن تذكر شيئاً، ولن تعرف شيئاً... سوف ترتاح، سوف ترتاح تماماً...

صوت الرجل: لكني لن أعرف أنني ارتحت...

سيدة المنزل: (باكية) كان يكتب أعمالاً أدبية عن الموت، كان يُسعد بذلك...

المرأة الغريبة: لكن هاهو قد مات...

سيدة المنزل: في كل ذكرى ليوم ميلادي، كنت أنتظر منه أن يقدم لي هدية، هدية صغيرة، ولو زهرة واحدة... ولو ورقة خضراء يقطفها من شجرة... لكن بلا جدوى!... (محتدة) بل إنه لم يذكر عيد ميلادي مطلقاً...

المرأة الغريبة: حين يكون معك في أي وقت، يكون مليئاً بك، في كل يوم، وفي كل ساعة، ليس في عيد ميلادك فقط...

سيدة المنزل: كان يعدني بأنه سيأتي، وكان يتركني أنتظره لساعات بين الغرباء، كان يتركني وحيدة دائماً.

المرأة الغريبة: لكن انظري لم يعد يتركك وحيدة الآن، إنه يأتي كل ليلة.

سيدة المنزل: أجل، بعد أن مات... لكني مع ذلك وحيدة، فهو يظل مع خوذاته رأساً لرأس... لا أعرف فيما إذا كان يأتي إلي، أم يأتي إلى خوذاته... ذاك ليس لديه إلا الخوذات... وكل ما عدا الخوذات موجود أيضاً من أجل الخوذات فقط... لقد مللت من كوني زوجة صانع الخوذات واسين. كنت أودُّ أن أكون زوجة واسين.

المرأة الغريبة: هل كان يمكن لواسين أن يكون بلا الخوذات؟ أنت تظنين ذلك الآن، ولكن لو لم يكن واسين صانع خوذات لما أحببته أنتِ أيضاً: لأنه كان سيصير حين ذلك شخصاً آخر غير واسين.

سيدة المنزل: ذاك لم يحببني مطلقاً.

المرأة الغريبة: ذاك أحبَّك دوماً.

سيدة المنزل: كلا، ذاك كان يحبك أنت...

المرأة الغريبة: (غارقة في ذكرياتها) كلما حاولت الاقتراب منه، أو اقتربت منه قليلاً،

سرعان ما كان يختلق مبرراً ليتحدَّث عنك، وعن طيبتك، وعن حبِّه لك، كان يتشبَّث بكِ كواسطة نجاة تنقذه من الغرق...

سيدة المنزل: لو مدحتهِ لنجحتِ، فقد كان معجباً بنفسه، وكان يُسعد بالمديح والإطراء.

المرأة الغريبة: كذلك لو كنت مدحتهِ أنت أيضاً... فالمصلحون جميعاً يرغبون في أن تقتنع زوجاتهم أوَّلاً بآرائهم.

سيدة المنزل: (تصرخ) لأن المصلحين جميعاً رجال...

المرأة الغريبة: لكن هذا ليس ذنب واسين...

(بعد هذا سوف تتكلم المرأتان كلاماً غير مترابط، ولا علاقة له بالموضوع وكأنهما تجيبان بعضهما بلباقة وجدِّيَّة تامة).

سيدة المنزل: كان يقدم الطعام والماء للطيور بنفسه دوماً، لكي تحبَّه أكثر مما تحبُّني.

المرأة الغريبة: أليس البرد شديداً؟

سيدة المنزل: إني أدرس الإيطالية...

المرأة الغريبة: حليب الأم شيء آخر يا سيدتي، لا يشبه حليب أيٍ من الحيوانات الأخرى...

سيدة المنزل: طبعاً... ليت الزجاج كُسر حينها. أين تقيمين؟

المرأة الغريبة: لا أحب القُبَّعة، ولم أعتدها كذلك...

سيدة المنزل: هل رأيته بعينيك، أم أنك ستذهبين إلى البحر هذا الصيف؟

المرأة الغريبة: لا أصدق... لا بد أنه موجود... بكم اشتريتِه؟

سيدة المنزل: (تقفز فجأة، كمن استفاقت من حلم، وتنظر إلى ساعة الحائط) الساعة الحادية عشرة... (بفزع) سيأتي... سيطرق الباب الآن...

(تكتكات رقّاص ساعة الحائط تكبر شيئاً فشيئاً متحولة إلى أصوات أجراس، وبينما تخفت هذه الأصوات. تسمع من مكبِّر الصوت أصوات

وضوضاء وجلبة آلة ميكانيكية صدئة، هذه الأصوات تشبه إلى حدٍّ ما أصوات رجل يتكلم بلا توقف، الكلام والأحرف نفسها)

سيدة المنزل: (تسدُّ أذنيها من شدة الضجيج وتصرخ) اسكت!... كفى، اسكت!... لقد مللت... (الضجيج يخفت رويداً رويداً ثم يتلاشى). صوتك تجسَّد كفأرة دخلت أذني وتغلغلت داخل رأسي، وتوضَّعت وعششَّت فيه، وراحت تأكل دماغي وتحفر رأسي بنقراتها. إنك تقضم وتلوك أحلامي حتى أثناء نومي، اسكت كفى...

(الضجيج يهدأ. المرأتان تبكيان)

المرأة الغريبة: الساعة تجاوزت الحادية عشر.

(يرن جرس الهاتف. سيدة المنزل الدامعة العينين تسرع إلى الهاتف بأمل النجاة. على الهاتف صوت الشاب المبتهج الذي تكلّم قبلاً. سيدة المنزل ستتكلم على الهاتف بأمل وبلطف وبرقة).

سيدة المنزل: آلو... تفضلوا... ألو...

الصوت: أعتذر لأني أزعجتك مرة أخرى في وقت متأخر...

سيدة المنزل: ما المناسبة... لماذا سأنزعج، صرت ممتنة جداً...

(أثناء سير سيدة المنزل ينفصل مأخذ شريط الهاتف ويُسحل على الأرض سيدة المنزل ترفع المأخذ عن الأرض، وتتكلم رغم أن الهاتف غير موصول).

الصوت: بحثت عيناي عنك طوال الليل... انتظرتك حتى هذه الساعة مع ذلك لم تأتي...

سيدة المنزل: أما زلت هناك؟ فلآتي إن شئت...

(المرأة التي تتكلم ممتلئة غبطة تشدُّ سماعة الهاتف فينفصل الخطُّ عن جهاز الهاتف. تسير نحو وسط الغرفة وتقترب من المرأة الغريبة وسماعة الهاتف بشريطها المقطوع في يدها، مع ذلك تتكلم على الهاتف)

الصوت: كلا... فقد خرجت من هناك عندما قلت أنك لن تحضري. إني الآن في مكان بعيد...

سيدة المنزل: يا للآسف!... نلتقي غداً إذن...

الصوت: كنتِ قد قلت أن لديك عملاً غداً...

سيدة المنزل: عملي ليس مهماً...

(سماعة الهاتف تقع من سيدة المنزل على الأرض، لكنها مع ذلك تتكلم).

الصوت: هل آتي أنا؟

سيدة المنزل: كما تشاء...

الصوت: حسناً سوف آتي مع شقيقتي...

سيدة المنزل: ألا يمكن أن تأتي بمفردك؟

الصوت: حسناً، سوف آتي بمفردي... ليلة سعيدة...

سيدة المنزل: ليلة سعيدة... إني أنتظرك...

(صمت. تلاشت بهجة سيدة المنزل. المرأتان تنظران إلى ساعة الحائط. رقّاص الساعة لا يتحرك).

المرأة الغريبة: توقفت الساعة...

سيدة المنزل: نسيت ربطها...

المرأة الغريبة: تخلّصتِ تماماً...

سيدة المنزل: لن يأتي بعد الآن...

المرأة الغريبة: كان ميتاً وهو حي...

سيدة المنزل: كان ميتاً وهو حي...

(المرأة الغريبة تقف خلف سيدة المنزل عندما تخفت الأضواء رويداً رويداً وتنطفئ، تبدو المرأتان امرأة واحدة).

تمت الترجمة في حلب

مساء الثلاث 18/ 1/ 2005م

8/ 12/ 1425هـ

استعد!

الشخصيات:

الجنرال فارات: جنرال متقاعد معلول ضرير. مسنٌّ جداً. قصير القامة.

العسكري الحاجب كورشان: كان عسكرياً مفرزاً لخدمة الجنرال المعلول. ولما انتهت خدمته الإلزامية وسرِّح، بقي في خدمة الجنرال مقابل راتب شهري. ولم يتركه. طويل القامة جداً.

على مخرج هذه المسرحية والممثلين أن ينتبهوا لما يلي:

يجب أن تُخرج هذه المسرحية وتمثل بحيث يتعاطف المتفرجون حيناً مع الجنرال فارات ويتأثَّرون له، ويعطونه الحق، وينزعجون من الحاجب كورشان، وحيناً آخر بالعكس ينزعجون من الجنرال فارات، ويتأثَّرون للحاجب كورشان ويعطونه الحق. تعاطف الجمهور مع الجنرال أو مع الحاجب يجب أن يتغيَّر باستمرار طوال المسرحية.

زقاقٌ خالٍ. على جانبيه دكاكين مغلقة لأنه يوم أحد، ليس في الزقاق مارّة. رصيف المشاة مرتفع أكثر من العادي. هناك دكانان متقابلان، ومشغل، يُصعد إلى بابه بعدّة درجات. مياه قذرة تجمعت في حفرة الزقاق التي أمام درجات باب المشغل.

الزمان: صيف حار جداً. قبل المغيب. الجو يسوَدّ ويعتم شيئاً فشيئاً. قبيل نهاية المسرحية يحل المساء، وتنار مصابيح الزقاق.

(فارات وكورشان يدخلان الزقاق. فارات يسير بمعية كورشان ممسكاً به بيده اليسرى حاملاً عكازاً بيده اليمنى. ولأنه طاعن في السّن يسير مرتعشاً، ناقلاً خطواته ببطء شديد خطوة خطوة. ورغم أنه يسير برفقة كورشان فإنه يتحسس ما أمامه وما حوله بعكازه. يقفان ساكنين فترة طويلة. عندما يبدو فارات مسكيناً ويتكلم متوسلاً، سيخاطبه كورشان مستهزئاً مستصغراً. أما عندما يتكلم بحدة وقسوة فسينكمش كورشان ويتكلم بخوف).

فارات: إي ي ي؟

كورشان: أي شيء إي ي ي؟

فارات: ما معنى أيُّ شيء إي؟

كورشان: هل لهذا إي أوني؟ ماذا تقول؟

فارات: أسأل هل وصلنا.

كورشان: وصلنا، أجل.

فارات: إلى أين وصلنا؟

كورشان: وصلنا إلى عمى الناس.

فارات: لكني قلت لك خذني إلى شاطئ البحر.

كورشان: ما بك تمسكت، شاطئ البحر، شاطئ البحر...

فارات: ماذا أعمل، إنه يوم الأحد ولا يوجد أحد... ضاق صدري من شدة الحرٌ...

كورشان: حسناً هاهو، وأنا جئت بك...

فارات: أين هنا؟

كورشان: شاطئ البحر.

فارات: (مدهوشاً) هنا! شاطئ البحر!

كورشان: ألم يعجبك؟ بل إنه كثير على أمثالك...

فارات: ليس شاطئ البحر. كذب.

كورشان: كذب، لماذا كذب؟

فارات: هكذا كذب.

كورشان: لا أبداً.

فارات: ألا تخجل من أن تغشَّ جنرالاً متقاعداً كبير السِّن عيناه لا تريان مثلي؟

كورشان: أقول لك إنه شاطئ البحر، ثم كيف تعرف أنت أنه ليس شاطئ البحر؟ كأنك لست أعمى، وكأن عينيك تريان...

فارات: (بصوت باكٍ) لا تقلِّل أدبك! لملم لسانك! لا يمكنك أن تقول لجنرال أنت أعمى.

كورشان: (محتدًّا) لست أعمى، هيا سر واذهب بمفردك. (كورشان يترك فارات ويذهب، ويجلس على إحدى درجات باب الدكان، فارات يقف حائراً مسكيناً. ينتظر)

فارات: (بصوت متألم منسحق) إلهي، آه يا إلهي لهل أنا إنسان أستحق الوقوع في هذه المواقف؟ لقد قدت جيوشاً في وقت من الأوقات، وكانوا يرتجفون مني ارتجافاً. الجميع كانوا يهابونني. والآن بقيت في يد هذا القروي المغفل الغليظ، الظالم ذي القلب الحجري. ليس لي أحد، لا أحد البتة... بقيت وحيداً في هذه الدنيا الكبيرة المزدحمة بالناس. هل كان ضرورياً أن أعيش كل هذه السنين... لماذا لم أمت، لماذا؟ (يتحسَّس ما أمامه بعكازه، وبيده الأخرى يتحسَّس الفضاء حوله ويصرخ متوسلاً) كورشان! كورشان يا ولدي... أين أنت يا كورشان! كلا، كلا، أنت لا يمكن أن تترك جنرالك هكذا في وسط الطريق وتذهب... لا يمكنك أن تفعل هذا يا كورشان... ولدي، ولدي كورشان... تعال، ماذا يجري تعال، أمسك يدي... (متحسِّساً بعكازه يجلس على الرصيف)

سأزيد راتبك الشهري... ماذا تريد، سوف أعطيك ما تريده... كنت قد طلبت جزمتي... حسناً، فلتكن لك... خذ جزمتي، وسوف أعطيك بدلة قديمة من بدلاتي، لكنها ملبوسة قليلاً جداً فقط. (مبتسماً ابتسامة مصطنعة متألمة، ومتوسلاً أكثر) هيا، هيا، لا تحاول خداعي بلا جدوى... ألا أعرفك، لا يمكنك تركي، لا يمكنك مفارقتي... أنت هنا في مكان ما. أنت تمزح كما في كل مرة، كأنك ذهبت... لكني أعرف أنك لم تذهب هيا، هيا تعال كفاك. أنا لم أقل شيئاً يزعجك... (كورشان يتأثَّر من كلام فارات، يبدو عليه الأسف، ينهض واقفاً يقترب ببطء من الجنرال) ولدي كورشان، لماذا لا تأتي... أنا جنرال عجوز جداً، ربما أصابني الخَرَف. كأنني أعرف ما أقوله... (ينهض بصعوبة وكالأطفال الذين يلعبون "الغميضة" يضحك مستديراً بعكس الجهة التي

يقف فيها كورشان) هاأنت هنالك... إني أعرف، أنت هناك... لم تذهب... (باكياً)، لم تتركني. سامحني إذا أزعجتك، وكسرت خاطرك رغماً عني. أين أنت يا كورشان؟

كورشان: (متأثراً جداً، بصوت متهدج) إني هنا. وعندما تتوسل هكذا فإن قلبي لا يحتمل. (يدخل تحت إبط فارات).

فارات: لا تتأثر. سوف تبكيني معك الآن. أنا لم أبكِ مطلقاً قبل أن أتقاعد، لم أكن أعرف البكاء.

كورشان: للأسف...

فارات: أنت لستَ حاجب خدمتي فقط، بل أنت كل شيء لي، ابني وأخي، وصديقي، وسندي، وذراعي، وأهم شيء أنك عيني، لا تتركني!.

كورشان: لن أتركك.

فارات: اعتدت عليك.

كورشان: وأنا اعتدت عليك أيضاً.

فارات: ولأنني اعتدت عليك، لم أشأ أن تفارقني بعد أن سرِّحت من الخدمة.

كورشان: (ماسحاً أنفه) أنا أيضاً لم أشأ مفارقتك يا جنرالي (سيعودان للملاسنة من جديد)

فارات: (يقسو) إذا كان كذلك فلماذا تكذب عليَّ؟

كورشان: أي كذب؟

فارات: تقول أن هنا شاطئ البحر.

كورشان: إنه شاطئ البحر.

فارات: هذا كذب....

كورشان: إذا كان كذباً، فقل لي لماذا هو كذب.

فارات: لو كان المكان هنا شاطئ بحر، لازدحم في يوم الأحد.

كورشان: وكيف عرفت أنه غير مزدحم: كأنه يرى...

فارات: إذا كنت لا أرى، فهل لا أسمع أيضاً...

أين أصواتهم؟ أين ضجيج الازدحام؟ أين صياح وصراخ الأطفال؟

كورشان: هه! جئت بك إلى مكان بعيد عن الازدحام لكي ترتاح .

فارات: حسناً ، أين صوت الموج؟

كورشان: أي موج يا! إننا في الميناء خلف مكسر الأمواج.

فارات: لو كان شاطئ بحر ، لهبّت نسائم بحريّة نديّة.

كورشان: أية نسائم؟ لا توجد حركة نسمة واحدة ، حتى الأوراق لا تتحرّك.

فارات: (يشتد قسوة شيئاً فشيئاً) أين رائحة البحر؟ أين رائحة الطحالب؟

كورشان: هل يمكن أن تصل إلينا رائحة البحر أبداً ، وليست هناك نسمة؟...

فارات: كلا ، هنا ليس شاطئ بحر. أنا أعرف كيف أجعلك تقول الصدق.

كورشان: إذا كنت تعرف فهيا اجعلني أقول...

فارات: أعرف، ولكن آه إذ ليست لدي قدرتي السابقة... لو كانت لدي قدرتي السابقة وأعطيتك إيعاز "استعدا" لكنت رأيت يومك... عندها كنت تقول الصدق.

كورشان: (ما إن سمع كلمة استعد حتى خاف فجأة، وانكمش. من الآن فصاعداً سوف يستمر كورشان بالتضاؤل والانكماش. أما فارات فسوف ينتفخ ويقسو) كلا، كلا يا جنرالي... لا تفعلها يا جنرالي المحترم.

فارات: قل الصدق إذن، ولا تضطرني إلى أن أصرخ إيعاز استعد وأنا في هذا العمر. هنا ليس شاطئ البحر.

كورشان: صدق يا جنرالي، إنه شاطئ البحر، أقسم بشرفي، إنه شاطئ البحر.

فارات: أنا جنرال قدت جيوشاً، لا يمكن لقروي مغفل مثلك أن يخدعني... كان هناك الآلاف من أمثالك تحت إمرتي.

كورشان: (منسحقاً تماماً، خائفاً) لا أخدعك يا جنرالي المحترم.

فارات: (محتداً جداً) فلأجبرك الآن على قول الحقيقة، ولتر.

كورشان: (يتوسَّل) أرجوك لا تفعلها يا جنرالي... أقبل قدميك، أقبل ما تحت قدميك، لا تعطِ إيعاز استعد...

فارات: (يسند عكازه مثل سيف على جنبه، ويأخذ وضعية تمثال بطل في نصب تذكاري، ويصدر إيعازاً قوياً جداً) استاااعد! (ما إن يصدر إيعاز استعد حتى يلملم كورشان نفسه، ويصلح هندامه، ويزرر أزرار سترته، ويضرب كعبي حذاءيه ببعضهما بقوة ويقف باستعداد. فارات يصرخ بقسوة) كورشان!

كورشان: (يخطو خطوتين عسكريتين متقدماً من فارات، وبعد أن يضرب ثانية كعبي حذاءيه ببعضهما) تفضل يا جنرالي.

فارات: (يصدر إيعازاً قوياً) الاتجااه... البحر! سر، سيـ يـ يـ ير! (كورشان يغادر الخشبة راكضاً بكل سرعته) قـ يـ يـ يف! الاتجاه هنا! سر، سيـ يـ ير! (صوته سوف يخفت رويداً رويداً ويتمسكن) سر، قلت سر... هل جئت يا كورشان؟ الوجهة هنا... إني أخاطبك يا كورشان. أقول لك سِر سِر. هل جئت؟ م أنك هناك؟ أجبني يا كورشان الوجهة... الوجـ... الو... ها قد تعبت، لا أستطيع الصراخ... صوتي لا يخرج... كورشان أقول لك الوجـ... هنا يا ولدي... تعال يا هذا... أقول لك سر، سر. ألا تسمع؟ أم أنك هربت؟ هل تعرف عقوبة الهروب، الإعدام رمياً بالرصاص... (يخطو بضع خطوات ويتهالك منهكاً على الرصيف المقابل).

صوت فارات: (يسمع من خلال ضجيج ساحة معركة، وصرخات متألمة، وأصوات طلقات الرشاشات، وقصف المدفعية، ودوي القنابل، يصرخ بصوته الجهوري المليء

والقوي أيام كان جنرالاً) إلى الأمام!
فلتهجم وحدات الدبابات، ولتفتح المدفعية
نيرانها بدون انقطاع. (ضجيج معركة)
أمر الجيش اليومي:
بما أن ظروف الحرب تقتضي سرعة
إنجاز الأمور (ضجيج الحرب وأصوات
السلاح تنقطع فجأة) ولأنه ليس لدينا
وقت من الآن فصاعداً لتقديم مجرمي
الحرب إلى المحكمة لمحاكمتهم، لذلك
سوف يعدم مجرمو الحرب وخاصة منهم
العساكر الفارون، والهاربونْ من الجبهة
ومن خط النار، رمياً بالرصاص فور
اعتقالهم دون تحقيق أو محاكمة
ليكونوا عبرة لغيرهم، ولكي لا نهدر
الوقت. (صمت يقطعه إيعاز "نارا" يعقبه
صوت إطلاق نيران اثنتي عشرة بندقية
دفعة واحدة. أُعدم مجرم حرب. صوت
فارات يتابع) سوف تقوم طائراتنا
ومدفعيتنا بعيدة المدى بقصف المدينة التي
هاجمناها وحاصرناها مرتين، بالقنابل

باستمرار حتى لا يبقى فيها حجر فوق حجر. ثم تبادر الوحدات الميكانيكية تحت حماية الدبابات بمهاجمة المدينة وتطهيرها وعدم الإبقاء على أي مُدافع حيٍ فيها. (قصف مدفعي ودوي قنابل ولعلعة رصاص، ثم صمت)

فارات: (يتكلم حيث يجلس بصوت منهك) كورشان.. قلت لك عد... إني أعرف أنك هناك... انظر، إذا كنت قد هربت، بشرفي أعدمك رمياً بالرصاص. (يكلم نفسه) لكنه ليس جندياً.. وأنا لستُ جنرالاً الآن... آه، لو وقع في يدي عندما كنت جنرالاً أحد الـ... (ينادي) كورشان!... لا تتركني... من لي غيرك... ساعدني، تعال وأمسك بيدي... (باكياً) كورشان... (كورشان ينظر من إحدى الزوايا خائفاً، ثم يقترب من فارات ببطء) إنك تسمعني يا كورشان. أنت هناك في مكان ما، أعرف ذلك، فأنت شابٌ شريف، لا يمكنك أن تتركني هنا

هكذا. لن أعطيك إيعاز استعد مرة أخرى مطلقاً...

كورشان: أنت تقول هذا دوماً، تقول، ثم...

فارات: (مقاطعاً) كلا، كلا... لن أفعلها مرَّة أخرى، لا تتركني.

كورشان: لن أتركك (يلتفُّ بذراعه، وينهضه على قدميه) على أن لا تصدر لي إيعاز استعد مرة أخرى.

فارات: لن أوعز.

كورشان: أهو وعد؟

فارات: وعد.

كورشان: (مرتاح. واثق من نفسه، يعود إلى استصغار فارات والاستهزاء والسخرية منه) حسناً إذن...

فارات: تعبت كثيراً، فلنجلس في مكان ما.

كورشان: فلآخذك إلى شاطئ البحر، فتجلس في الميناء. (كورشان يقود فارات متأبطاً ذراعه. ينبه فارات ساخراً منه كأنما

اعترضتهما حفرة أو علوة أو درجة. كما يسخر منه عندما يكبو أو يرتطم بشيء ما، ويطلق القهقهات ضاحكاً. فارات يقف عندما يقول له كورشان قف، ويرفع رجله عندما يطلب منه ذلك. يقود فارات، ويلفُّ ويدور به على الخشبة كأنما يسيران في طريق طويل). توَّقف! كدت ترتطم بالحائط... (فارات يتوقف مجفلاً) تعال هكذا جانباً... تمهل، توجد أمامك شجرة... أماناً توقَّف، وصلنا إلى الباب... أمامك درجة، ارفع رجلك، ارفع، ارفع، ارفعها أكثر يا... ارفعها جيداً، هاه، اقفز الآن... (كلما نفذ فارات تعليماته كورشان يضحك ويطلق القهقهات)

فارات: أنت تهزأ بي ثانية...

كورشان: أمامك حفرة...

فارات: لكم الميناء بعيد... هل سنسير أيضاً؟

كورشان: هاهو هنا... نعتبر وصلنا. هناك درج، انتبه... ارفع رجلك... دُس الآن... (ولعدم وجود درجة، فإن فارات يكبو ويترنح عندما يدوس بقدمه. كورشان يضحك ويأتي بفارات إلى حائط دكان) انتبه، إننا نعبر الباب. (فارات الذي يظن أنهما يعبران الباب يرتطم بالحائط).

فارات: أين الباب؟

كورشان: هل يمكن عبور باب مغلق... لماذا لا تدفع الباب؟...

فارات: (يدفع الحائط الذي يظنه باباً، كورشان يضحك) إنه لا يُفتح...

كورشان: لا تستطيع فتح باب أيها الجنرال العجوز...

فارات: (محتداً) انظر إلي، لقد عدت إلى الاستهزاء بي... فلأصدر لك إيعاز استعد ولترَ...

كورشان: (يتمسكن، يخاف) لا تفعل يا جنرالي، أقبل قدميك لا تفعل...

فارات: (ينتصب، يتأهب، ويصدر إيعازاً قوياً) استاااعدا (كورشان يُلملم نفسه، ويقف باستعداد) أين أنت؟

كورشان: أنا هنا يا جنرالي.

فارات: كلب!

كورشان: تفضل يا جنرالي.

فارات: (يمدُّ عكازه ويسنده على كورشان) أهذا أنت؟

كورشان: هذا أنا بمعيَّتكم يا جنرالي.

فارات: جاثياً! (كورشان يجثو كعسكري، فارات يبحث. ويجد وجه كورشان فيصفعه على وجهه صفعة قوية. كورشان يسقط على الأرض من شدة الصفعة. فارات يسدد صفعة ثانية، لكنها تذهب في الهواء، فيترنح ويسقط على الأرض، ويرتمي عكازه بعيداً. كلاهما على الأرض).

فارات: (يئن) كورشان! كورشان يا ولدي، أين أنت؟

كورشان: لستُ هنا. (ينهض على قدميه)

فارات: إنك هنا، هنا، أعرف ذلك (يبحث في الأرض عن عكازه) أين عكازي؟ كورشان، أعطني عكازي يا ولدي... أنهضني من هنا... أف، أماناً... لابد أن شيئاً ما في كُسر... إنه يؤلمني جداً، ساعدني يا كورشان...

كورشان: يجب عدم التأثر لأمثالك... لكنني مع ذلك لا أتحمل... (يمسك بذراع فارات وينهضه، يعطيه عكازه الذي تناوله من الأرض).

فارات: سلمت يا كورشان

كورشان: (بقسوة) سر! (يسيران. ويصلان إلى أمام باب الخان الذي يصعد إليه بدرج) ها قد وصلنا.

فارات: أهو الميناء؟

كورشان: أجل، ارفع رجلك، ارفع.

فارات: أنت لا تسخر مني ثانية، أليس كذلك؟...

كورشان: هـذه المـرة أمامـك درج فعـلاً. (كمـن يؤنب طفـلاً) هـاهـو، اجلـس! (يجلسـان جنـباً إلى جنب)

فارات: يعني هل هنا بحر الآن؟

كورشان: لا تتشبَّث بهذا ثانية! إن كان بحراً، أولم يكـن، مـا الفـارق بالنسبة لك؟ أنا عندما أقول بحر فهو بحر. (صمت طويل).

فارات: (بصوت معتدٍّ) لكني سبقته ذاك. سبقته أخيراً، تقدمت ترقيت. ذاك تخلَّف عني كثيراً.

كورشان: ولـك يـا جنـرال، بـدأت ثانـية، بـشرط أتـركك وأذهـب ولا أعـود ثانـية. أنـت لا تـستطيع إلا أن تحـدثني عـن هـذا الـرجل عشر مرات على الأقل في اليوم يا... أنت لا تستطيع نسيانه.

فارات: لا أسـتطيع نـسيانه، ذاك، كـان الأول في الصف.

كورشان: دعـك مـن هـذا يـا جنـرال يـا، حفظته غيباً. ذاك كـان الأول في الـصف، وأنـت كـنت

الثانـي. وفي بعـض الـسنوات كـنـت أنـت الأول.

فارات: أنا كنت مجتهداً أكثر.

كورشان: أعـرف، أعـرف، أعـرفه كلـه. في النهاية هـو تخلّف عنك، وأنـت سبقته، هـذا هـو المهم... قبل كم سنة هذا الموضوع؟

فارات: ربمـا قـبل مـا يقـرب الـسبعين سـنة، وربمـا مضت خمس وسبعون سنة.

كورشان: يا لأمك... أيُّ عداوة هذه، خمس وسبعون سنة مضت ولا تستطيع النسيان ها...

فارات: لـكـن الأولـوية كـانـت مـن حقـي، وكـان هو منافسي.

كورشان: قل إنه كـان عدواً لدوداً...

فارات: هـو أيضـاً كـان سيـصير جنرالاً. أي كـان يـريد أن يـصير جنـرالاً. (بفـرح طفولـي) لكني بادرت وسبقته.

كورشان: يكفي يا...

فارات: (بالفرح نفسه) سبقته، أجل سبقته.

كورشان: كيف سبقته؟

فارات: ذاك بقي ملازماً أولاً، بينما ارتقيت لرتبة جنرال.

كورشان: ذاك إذن لم يستطع الارتقاء.

فارات: كيف يمكنه الارتقاء... (بصوت حزين متأثر جداً) استشهد في المعركة عندما كان ملازماً أوّلاً... مسكين.... كان شاباً يافعاً، وكان وسيماً جداً. ليرحمه الله... (أيضاً بفرح مفاجئ) كان راتبه حينها تسعاً وستين ليرة وسبعة وخمسين قرشاً. أمّا أنا فإن معاشي التقاعدي الآن يبلغ اثني عشر ألف ليرة...

كورشان: (ساخراً) تعيش يا جنرالي... تعيش طويلاً... جنرالي يسبق، يسبق الجميع، ويسبق كل أحد.

فارات: الأولوية كانت حقي، هضموا حقي. لكني سبقته ذاك.

كورشان: (يهب فجأة ويصرخ) كفى يا، كفى لهذا الحدّ. سئمت من سماع ذكرياتك المدرسية على مدى سنوات.

فارات: (يستمر في الكلام بهدوء وكأنه لم يسمع كورشان) كان في المدرسة يتقدمني، لكنه لم يكن هكذا في الحياة. فالحياة شيء آخر مغاير... أنا سبقت ذاك... ذاك لم يستطع أن يصبح جنرالاً.

كورشان: أي عداوة هذه، لم تنطفئ على مدى خمسة وسبعين عاماً.

فارات: ذاك بقي في رتبة الملازم الأوَّل، أما أنا...

كورشان: اسكت، اسكت يا... وإلا أتركك وأذهب، ولا أعود ثانية لا أعود مهما توسلت. ابقَ ومت هنا.

فارات: (يعود مسكيناً فجأة) قف، لا تذهب! حسناً، سكتُّ. لن أفتح هذا الموضوع مرَّة أخرى مطلقاً.

كورشان: أنا أيضاً مثلك كان لي عدو في القرية، لكني لم أستطع التَّفوق عليه مطلقاً، هل حدَّثتك عنه قط؟

فارات: ماذا أفعل، ليس لي أحد غيرك أشرح له... لو كان هناك أحد آخر يسمعني، هل كنت لأشرح لك دائماً...

كورشان: أعرف هذا، فأنت لا تحدِّثني لأنك تعتبرني إنساناً، بل لأنك لا تجد أحداً غيري يسمعك...

فارات: (باشمئزاز) احتجت حتى لأمثالك اليوم.

كورشان: ودون أن تخجل تقول لي "ساعدني يا ولدي كورشان".

فارات: أعدمت كثيراً من أمثالك رمياً بالرصاص... (كأنه يتذكر شيئاً جميلاً) يا لها من أيام... قدت فيها جيوشاً، جيوشاً... كنت أزأر مثل الأسود حينها... لم أكن أعرف ما هو التعب. خرجت منتصراً من كل حرب خضتها، حصلت على أوسمة وميداليَّات.

كورشان: لا تبالغ، لا تبالغ... أي حرب يا! في زمنك لم تقع معركة حتى. حدَّث بذلك شخص يعرفك عن كثب. فأنت كنت تلعب

الشطرنج مع أركانك وضباطك، وكنت تعتبر رقعة الشطرنج ساحة حرب. ولكي يتقربوا منك ويتوددوا إليك كانوا يتقصدون أن يخسروا أمامك دائماً. وأنت كنت تظن نفسك "شي هواء".

فارات: أنت سافل تستحقُّ فعلاً الإعدام رمياً بالرصاص. سافل وحيوان آه لو كانت لي قدرتي السابقة، لكنت أريتك.

كورشانك لا تستطيع أن تفعل شيئاً. فليس هناك من سَيُسمعه غيري...

فارات: أجل هكذا... لو كان لي أناس لكلمتهم.

كورشان: ما كانوا ليسمعوك... هل هم مغفلون ليستمعوا إلى أكاذيبك... لا تنظر إلي، فأنا استمع إليك كوظيفة، لأنني أقبض منك راتباً شهرياً...

فارات: لماذا؟ لو كان لي ابن أو بنت أو زوجة... أو لو كنت تزوجت، لاستمع أولئك إلي...

كورشان: ما كان أحد منهم ليتحملك. ألم تخبرني أن زوجتك تركتك وهربت بعد خمس وثلاثين سنة. كما تركك ابنك وابنتك...

فارات: من؟ أولئك؟ هل أولئك تركوني... من ترك من؟ هه! أنا طردت أولئك يا، طردتهم جميعاً من بيتي.

كورشان: أيُّ كلامك عليَّ أن أصدِّقه؟ أيُّ كذبك؟ تارة تقول "طردتهم..." وأخرى تقول "أولئك تركوني" أيُّ كلامك صحيح وأيُّه كذب؟

فارات: الحقيقة هي أنني أنا الذي طردت أولئك، لأنني لو لم أطردهم كانوا سيتركونني ويهربون.

كورشان: حسناً، وماذا قلت هذا الصباح؟

فارات: ماذا قلتُ؟

كورشان: ألم تقل "لو لم يتركني أولئك ويهربوا، كنت سأطردهم أنا؟"

فارات: آه... هل قلت كذلك؟

كورشان: خرفان

(صمت)

فارات: لقد تقدمت عليه. هو كان الأول في صفنا لكن...

كورشان: (مقاطعاً) لا تبدأ مرة أخرى! انظر، ماذا خطر ببالي يا جنرالي.

فارات: ماذا خطر ببالك؟

كورشان: أقول فلنزوِّجك.

فارات: أتزوج؟ وماذا أفعل بالزواج؟ لم تعد المرأة تلزمني بعد الآن.

كورشان: لا تلزمك أنت، لكنها تلزمني أنا.

فارات: (محتداً) ماذا؟ هل المرأة التي سأتزوجها أنا سوف تلزمك أنت؟

كورشان: أجل هكذا... أنت تثرثر بالكلام معها على الدّوام، وتأكل لحم رأس الفتاة، بينما آخذ فرصة وأريح رأسي بضع دقائق في تلك الأثناء. لدينا في القرية فتاة... (أثناء شرح كورشان يميل رأس فارات

إلى الأمام ويغفو) والد الفتاة لم يعطها لمن طلبوها لأنهم فقراء، لكنه يعطيك إياها، فأنت جنرال وغني. أنا أيضاً طلبتها لكن أباها لم يوافق لأنني بلا مكانة... إنها فتاة لا تفوَّت. لو كنت مكانك لما فوَّتتها، ولكنت أخذت الفتاة. (فارات يغفو).

صوت فارات: (صوت قائد جهوري يصدر إيعازات) القطعااا! وضعية الاستعراااض... في المكان اعدوووود، سر! (يُسمع وقع أقدام عسكريَّة منتظمة لجنود طابور أو لواء) إلى الأماااام! سر! (وقع أقدام التشكيل العسكري) وَحْ ـ ثْنين، وَحْ ـ تني، وَحْ ـ تني ـ تلاتة ـ رْبَع... وَحْ ـ تني ـ تلات ـ رْبَع... يسار... يسار... يسار... يسار ـ يمين... يسار ـ يمين... يسار يمين... وح ـ تني... الموسيقاا، سر! (تبدأ الموسيقى بالعزف في البداية تقترب أصوات الموسيقى ووقع أقدام العساكر، ثم تبتعد رويداً رويداً، وتختفي).

فارات: (يستيقظ، ينهض متكئاً، مترنحاً، ويصدر إيعازاً بصوت خافت بائس) القطعاا... قـ يـ يـ يف!

كورشان: ما هذا، ماذا يجري... هل تتكلم في نومك؟ اجلس مكانك! (يجلس)

فارات: لكنني سبقته...

كورشان: ولك جنرال، ستموت وتذهب ولن تبرح تلك العداوة دخيلتك يا... حسناً، فهمنا، أنت سبقته. فعلت...

فارات: أين هنا؟

كورشان: قلت لك، هنا عمى الناس... كم مرة قلت لك يا، إنه شاطئ البحر...

فارات: أين البحر؟ لا أصدق.

كورشان: هل أرميك في البحر لكي تصدق؟

فارات: يكفي أن أغمس يدي في ماء البحر.

كورشان: حسناً، تعال... (يمسك بذراع فارات، ويُنزله عن الدرج ويقوده إلى حيث تجمَّع الماء أمام الدَّرج) هيا اجلس القرفصاء واغطس يدك في ماء البحر...

فارات: (يجلس القرفصاء بمساعدة كورشان، ثم يغمس يده في المياه القذرة، ثم ينهض بمساعدة كورشان كذلك يمدُّ عكازه) أمسك هذا! (كورشان يأخذ العكاز يمسح وجهه بيده المبللة بالمياه الموحلة) أووه، رطبة، رطبة... (فجأة يعبس) ياله من شيء قذر. كم رائحة هذا الماء قذرة...

كورشان: (مستهزئاً) أماناً يا جنرالي، ما الذي بقي نظيفاً في هذا الزمن غيرك أنت...

فارات: (يأخذ كلام كورشان بجدِّيَّة) انظر، هذا صحيح... لم يبق شيء نظيفاً... في زماننا...

كورشان: لم يبق شيء من زمانكم...

فارات: أين الجندية السابقة... هل تعرف لماذا أحبُّك؟

كورشان: لماذا؟

فارات: لأن فيك جوهر الجندية. أمثالك يبقون عسكريين حتى بعد أن يخلعوا اللباس العسكري. انظر، أنت لست عسكرياً

الآن، مع ذلك تتجسّد روحك العسكرية حية فوراً حين أصدر لك إيعاز استعد.

كورشان: أجل هو كذلك....

فارات: وتقف فوراً باستعداد، وعندها يجعلك قائدك تنفذ وتفعل ما يشاء. لماذا؟ لأنك سلّمت روحك لقائدك.

كورشان: (مدهوشاً) ياااا... لذلك لا أتمالك نفسي إذن.

فارات: لم يبق أمثالك في هذا الزمن. شباب اليوم مهما أوعزت لهم إيعاز استعد... بل حتى لو تشققّت وأنت تصرخ استعد... لا يبالون... لذلك فأنا لا أطردك ولا أطيق فراقك.

كورشان: هم م م م... اتضحت الأمور الآن.

فارات: وأنا مثلك. بعض الناس يتحلّون بالروح العسكرية أمثالي وأمثالك... انظر مثلاً إذا أوعز لي أحدهم كائناً من كان إيعاز استعد، أقف باستعداد فوراً وأنفذ أوامره.

كورشان: (يفرح بمكر) أماناً، هل هذا صحيح يا جنرالي؟

فارات: طبعاً صحيح. لست وأنا حي فقط. بل سوف أنهض وأفرُّ من قبري عندما أسمع إيعاز استعد. ليس بيدي...

كورشان: جيد إذن...

فارات: كورشان!

كورشان: تفضل...

فارات: أريد أن أبترد قليلاً. أود غمس يدي في مياه البحر.

كورشان: البحر أمامك يا جنرال. انحن، واغمس يدك في البحر بقدر ما تشاء...

فارات: (يجلس القرفصاء، يغمس يديه في المياه المتجمعة. ينهض يمرر يديه على وجهه، فيتلطخ بالطين) أماناً. هل هو ماء آسن أم ماذا... يا له من ماء قذر... كلا هذا ليس ماء بحر... وهذا ليس شاطئ بحر. إنك تخدعني... (صوته يعلو شيئاً فشيئاً) أنا قدت جيوشاً... (أثناء حديث فارات، كورشان يمسك بعكاز فارات الذي بيده مثل سيف، ويصعد إحدى الدَّرجات،

يضع يده خلف ظهره. ينفخ صدره يأخذ وضعية قائد) ذاك سبقته... ذاك مات عندما كان ملازماً أولاً، بينما صرت جنرالاً. ذاك كان راتبه الشهري تسعاً وستين ليرة وسبعة وخمسين قرشاً. بينما معاشي التقاعدي اثنا عشر ألف ليرة...

كورشان: (يصدر أمراً قوياً جداً) استااعد! (فارات يقف باستعداد) إلى الأماام سر! يسار، يسار، يسار... وَحْ - تني، وَح - تني، وح - تني. تلات، أربع... يمين در، سر! (فارات يستدير يميناً. أمامه حائط. يسير باتجاه الحائط. يرتطم به. كورشان يستمر بإيعازاته) مكانك راوح! وَح - تني، تلات - رْبع.... وح تني، وح تني... (فارات الملتصق بالحائط يراوح في مكانه بانتظام).

تمت الترجمة في حلب مساء الخميس

2005 /1 /27

17/ 12/ 1425هـ

يعيشُ لبُّ البطّيخ

الشخصيات:

تورا: فتاة انفعاليَّة في الخامسة والعشرين من عمرها

ياغيل: والد تورا

سوميني: والدة تورا

لوربان: عضو مجلس أمَّة من الأرياف، خطيب تورا.

صالة في بيت ياغيل تستعمل كغرفة جلوس وغرفة طعام. في المواجهة نافذة عريضة. هناك جهاز راديو في أحد طرفي خزانة الأواني، وجهاز تلفزيون في الطرف الآخر. على الحائط صورة مؤطَّرة بإطار ذهبي. على اليمين باب يؤدي إلى المطبخ، وعلى اليسار باب يؤدي إلى داخل البيت. في يسار الصالة أريكة وثلاثة كراسٍ، ومناضد صغيرة. في يمين الوسط طاولة الطعام.

مساء. وقت طعام العشاء.

ياغيل عند الراديو يدير المفتاح باحثاً عن محطة ما، لذلك تصدر أصوات مشوشة من موسيقى، وكلمات بلغات مختلفة، تسمع مختلطة ببعضها.

سوميني تتردد على المطبخ بكثرة لتجهيز المائدة، ترتب وضع الأطباق والصحون والشوكات والسكاكين على الطاولة تضع الكاسات. تجلب بعض الأشياء من المطبخ. تتكلم أثناء ذهابها إلى المطبخ وإيابها.

سوميني: (وهي ترتب طاولة الطعام) أغلق هذا، يكفي، لقد ورِمَ رأسي.

ياغيل: أبحث عن محطة تبث أخباراً.

سوميني: أي خبر؟

ياغيل: خبر عنا.

سوميني: خبر عنا؟ وماذا سأسمع بعد...

ياغيل: إذا قلت عنا، فهذا لا يعني عنك وعني... الأوضاع مضطربة هذه الأيام، وتسري شائعات كثيرة عن سقوط الحكومة...

سوميني: (وهي ذاهبة إلى المطبخ) إذا سقطت فلتسقط... مالنا وللحكومة؟

ياغيل: آه يا إلهي، لو أعطيتني عقل هذه المرأة لليلة واحدة، لكنت نمت مرتاحاً ولو ليلة.

سوميني: (من المطبخ) ماذا هناك، ألا يعجبك عقلي؟

ياغيل: ولك يا امرأة أقول لك ستنقلب الحكومة...

سوميني: (داخلة وبيدها صحن السَّلطة) ما هو ذاك؟

ياغيل: ما الذي ما هو؟

سوميني: ذاك الذي قلته قبل قليل؟

ياغيل: قلب الحكومة؟ يعني سيسقطون الحكومة فجأة وبالقوة

سوميني: إذا قلبوها فليقلبوها... فنحن لن نبقى تحتها على أي حال...

ياغيل: وابنتنا؟ ماذا سيحل بابنتنا حين ذاك؟

سوميني: يعني ياغيل أنت تخلط تماماً في الحديث أحياناً. أين الحكومة وأين نحن... ما علاقة ابنتنا بالحكومة؟

ياغيل: نحن نحضّر لعقد قران ابنتنا من جهة، ومن جهة أخرى تسري شائعات عن وقوع انقلاب على الحكومة...

سوميني: (متأسّفة) هاااا، فهمت... عندها لن يستطيع السيد لوربان أن يصبح وزيراً، أليس كذلك؟

ياغيل: أي وزير؟ بمَ تهذين؟ دعي مسألة أن يصبح وزيراً، فمن غير المعروف فيما إذا كان سيتمكن من النجاة برأسه.

سوميني: أواه...

ياغيل: سوف يزور السجن على الأقل.

سوميني: حتى ولو لم يكن قد اقترف ذنباً ما؟

ياغيل: أليس هو عضو مجلس أمة، أي ذنب أكثر من هذا؟ ألا يكفي؟

سوميني: إذن ليت الحكومة لا تنقلب.

ياغيل: بالنسبة لي أيضاً ليتها لا تنقلب، لكن الشائعات منتشرة بكثرة عن قرب وقوع انقلاب على الحكومة.

سوميني: انظر إلى هذا الوضع.. فيما كنا ننتظر أن يصبح صهرنا وزيراً... أرأيت؟ ماذا سيحدث الآن؟ (تذهب إلى المطبخ وتعود، وفيما هي تضع ما جلبته من المطبخ على الطاولة) فلنخبر السيد لوربان إذن عندما يحضر لتناول طعام العشاء.

ياغيل: ماذا نخبره؟

سوميني: فسخ الخطبة.

ياغيل: أنت مجنونة. هذه شائعات. يقال بأنه سيقع انقلاب سنرى، هل صحيح يا ترى؟

سوميني: ما أن تخرج إشاعة ما، حتى تصبح حقيقة فيما بعد. سرت إشاعة عن زيادة أسعار الجبنة والسمنة، ثم سرعان ما ارتفعت أسعارها فيما بعد. إذا كانت هناك إشاعة عن سقوط الحكومة...

ياغيل: (مقاطعاً) لاشك أن الحكومة سمعت هذه الأقاويل كما سمعناها.

سوميني: هيييه، لا أظن أبداً... ألا يقولون أن الزوج آخر من يعلم.

ياغيل: أنتِ ستفجرينني يا سوميني، ولك ما علاقة انقلاب الحكومة بالزوج ذي القرون؟ طالما وصل خبر الانقلاب على الحكومة إلينا، فلا شك أنه وصل إلى مسامع الحكومة أيضاً.

سوميني: (ملوِّحة بيدها استخفافاً) لو وصل كل ما يقال عن الحكومة إلى مسامعها....

ياغيل: لابد أن الحكومة اتخذت التدابير اللازمة لإلقاء القبض على الانقلابيين بالجرم المشهود...

سوميني: هكذا طبعاً... فقد نفسخ الخطبة لأن الحكومة ستسقط، وإذا بنا نرى الانقلابيين معتقلين... وعندها يصبح السيد لوربان وزيراً... حينها نكون قد احترقنا. (تذهب إلى المطبخ)

ياغيل: (يصرخ) في أية ساعة سيأتي؟

سوميني: في الثامنة.

ياغيل: (ناظراً إلى ساعته) إنها الساعة الثامنة ودقيقتان.

سوميني: (وهي ترتب على الطاولة ما جلبته من المطبخ) كان يحضر في موعده تماماً ولا يتأخر أبداً. حذار من أن يكون ذاك الشيء الذي تكلمت عنه قد وقع.

ياغيل: أي شيء؟

سوميني: ذاك المتعلق بالحكومة؟

ياغيل: الانقلاب...

سوميني: هه، لا يكونوا فعلوا ذلك...

ياغيل: لا أعتقد. فلو حدث ذلك لأذاع الراديو الخبر.

سوميني: افتح التلفزيون.

ياغيل: شاهدته قبل قليل، هناك مباراة في التلفزيون.

(سوميني تذهب إلى المطبخ. ياغيل ينحني ويبحث في الراديو عن محطة ما. سوميني تعود بيدين محملتين. يُسمع من خلال الأصوات المشوشة المتداخلة المنبعثة من الراديو صوت قوي يشبه الانفجار. سوميني

تضع ما بيديها على الطاولة مذعورة وتطلق صيحة)

ياغيل: ماذا حدث؟

سوميني: هل وقع ذاك الذي تحدثت عنه؟

ياغيل: لا يا عزيزتي، إنه تشويش، يحدث هذا دائماً عندما يقصف الرعد ويبرق البرق.

سوميني: ظننت أن ذلك الذي تحدثت عنه قد قع...

ياغيل: حين يقع انقلاب يقع بهدوء، أما ضجيجه وصخبه فيسمع فيما بعد.

سوميني: هل أقول لك شيئاً تورا لا عين لها بالسيد لوربان، لو لم أقل لها بأنه سيصبح وزيراً وما إلى ذلك، لما رضيت به على الإطلاق.

ياغيل: أجل صحيح، مستقبل الرجل لامع...

سوميني: ما تقوله مرة لا يطابق ما تقوله مرة أخرى. تقول بأن رأسه سيطير، ثم تقول إن مستقبله لامع... أي مستقبل لامع هذا؟

ياغيل: عزيزتي، إذا صار وزيراً شيء، وإذا وقع انقلاب على الحكومة شيء آخر..

سوميني: رأيي أن نرجع والطريق قريب. فحيثما يتم الرجوع عن الخسارة يكون الربح.

ياغيل: لذلك أريد أن أعرف هل سيحدث انقلاب أم لا...

سوميني: متى يتبين هذا؟

ياغيل: ماذا؟

سوميني: ذاك الذي قلته يا عزيزي. صفع الحكومة... متى سيصفعونها؟ما رأيك بأن اصطحب البنت إلى بيت أبي حتى ذلك الحين. فإذا بقيت الحكومة في موقعها عدنا. وإذا ما صفعوها مكثنا هناك قليلاً.

ياغيل: (ناظراً إلى ساعته) انشغل بالي أيضاً، لم يأت حتى الآن، أحسن شيء... (صمت)

سوميني: ما هو؟

ياغيل: أحسن شيء أن أهتف له...

سوميني: هل ستسأله عما إذا كانت الحكومة قد انقلبت؟

ياغيل: ولك لا، وماذا سأسمع منك بعد... سأطلب منه عدم الحضور إلى العشاء هذه الليلة. سأختلق عذراً وأعتذر منه.

سوميني: آآآ لا يمكن بأي شكل. لم أغادر المطبخ منذ الصباح حتى الآن وأنا أجهز وأحضر لهذه الوليمة منذ البارحة. ماذا سيكون مصير هذا الطعام كله؟

ياغيل: يا هيَ، هناك انقلاب متوقع هذه الليلة. هل نرمي البنت في النار عن سابق معرفة لكي لا يتلف طعامك؟

سوميني: حاضر، حاضر... يمكن أن يبقى الطعام إلى الغد. اهتف له وقل بأن عملاً هاماً برز لك فجأة. أو تحجج له بمرضي. وليتفضل بالمجيء غداً مساء لتناول طعام العشاء. ولن يحصل شيء للطعام حتى الغد. (يدير قرص الهاتف، ويستمع مطولاً وسماعة الهاتف على أذنه)

ياغيل: الجرس يرن لكن لا أحد يجيب. هو في الطريق إذن.

سوميني: ربما اعتقلوه.

ياغيل: لماذا؟

سوميني: إذا وقع ذلك الذي قلته... هل صحيح سيصير وزيراً؟

ياغيل: يقال بأنه سيصير.

سوميني: ليس بيدنا إلا أن نتوسل ونتضرع إلى الله.

ياغيل: لماذا؟

سوميني: لكي لا تسقط الحكومة... ولكن إذا لم يصر وزيراً؟

ياغيل: إذا لم يسر لا يصير، أليس عضواً في مجلس الأمة... ألا يكفي؟

سوميني: من حيث أنه يكفي، يكفي... ولكن ألا يكون أفضل إذا صار وزيراً؟

ياغيل: شيششششت... حذار من أن تتحدثي في هذه الأمور أمام تورا!

سوميني: ماذا أسمع... هل أنا مغفلة لهذا الحد إذن... إن شاء الله لا تسقط.

تورا: (تدخل مرتدية ثوب الصباح. شعرها منكوش، يظهر من تصرفات سوميني وياغيل أنهما سكتا فجأة عندا دخلت تورا) لماذا سكتما عندما دخلت؟ (تجلس متمددة على الأريكة).

سوميني: لم نسكت... لماذا نسكت... ماذا هناك لكي يسكت عنه... أليس كذلك يا ياغيل؟ هل سكتنا؟

تورا: (مازحة) أنتما لستما صامتين الآن إذن! أنتما تتحدثان وأنا التي لا أسمع.

ياغيل: (يبتعد عن الراديو، يجلس على كرسي) لم نكن نتحدث في الأصل.

تورا: أمي صارت تصبر بدون كلام إذن؟...

سوميني: انظري إلى شعرك ولباسك قبلاً.

تورا: ماذا هناك؟

ياغيل: تعرفين أن خطيبك سوف يحضر، فقد دعوناه إلى طعام العشاء، بل إنه قد تأخر...

سوميني: إنه على وشك الوصول.

ياغيل: يشاع في هذه الأيام أنه سيصير وزيراً.

تورا: دائماً في هذه الأيام... منذ أشهر ويقال في هذه الأيام... ذاك لن يصير وزيراً أو زيراً. لظرفٍ ما صار عضواً في مجلس الأمة.

سوميني: لا تتكلمي هكذا، فمن ومن لم يصبح وزيراً... ما الذي ينقصه؟

ياغيل: هل حدث بينكما سوء تفاهم؟

تورا: لكن يا بابا...

ياغيل: هل يمكنني أن أعرف الموضوع؟

تورا: أما كان الكلام بأننا سنجهز بيتاً أولاً لنتزوج...

سوميني: ما معنى كان الكلام؟

ياغيل: أجل؟

تورا: إنه رجل لم يرَ شيئاً. ألا يصر على أن نطلي جدران البيت بدهان بلون لبِّ البطيخ؟ إنه مصرٌّ على الدهان البطيخي.

سوميني: حسناً، وأنت أي لون من الطلاء تفضلين؟

تورا: أنا أرى أن لا نطلي.

سوميني: آآآ، ومــاذا بعــد... هــل ستــسكنون داراً بجدران غير مطلية؟

تورا: أنـا سألـصق الجـدران بـورق جـدران يا أمي. هناك أوراق جدران جميلة جداً.

ياغيل: عزيزتي، هذه ليست مسألة.

تورا: أجـل، ربمـا هــي ليــست مـسألة... لكــن إشـاعة أنـه سيـصير وزيـراً ظهـر أنهـا إشاعة كـاذبـة. فهـم لا يعيـنون وزيـراً رجـلاً يخـتـار لون لبِّ البطيخ لطلاء جدران بيته.

سوميني: أو هووو... كم هناك من ألوان للطلاء إلى أن نـصل إلى لـون لبِّ البطيخ... وسواء كـان بلـون لـبِّ البطـيخ، أو زيـت الكـاز، أو وبـر الجمل، ماذا في ذلك؟ المهم...

تورا: (مقاطعــة) طــبعاً لا شــيء في ذلــك. وقــد أضـطر فأضـحي وأسـكن في بيت جدرانـه مطلـية بلـون لـبِّ البطـيخ. لكـن المهـم في الأمـر عـدم ذوقـه، وعـدم رؤيـته أيَّ شـيء... إضـافة إلى أنــه لـن يـصير وزيـراً، فلمــاذا أضحي...

ياغيل: سمعت من مصادر موثوقة أن لوربان سيكون وزيراً عما قريب...

سوميني: أجل، الكل يتحدث عن هذا.

تورا: كل الوزارات مشغولة، فكيف سيصير صاحبنا وزيراً؟

سوميني: الله كبير يا ابنتي، قد ترين أن أحد الوزراء مات وشغر مكانه.

تورا: بقي شغلنا على الله.

ياغيل: قد يستقيل أحد الوزراء.

سوميني: ألا يستطيعون إحداث وزارة جديدة لإنقاذ الائتلاف؟ كما أحدثوا تلك الوزارة، وزارة أيِّ شيء كانت تلك؟

ياغيل: وزارة العلاقات المتوازية...

سوميني: سواء صار وزيراً أو لم يصر، لن تخرجي لتناول الطعام مع الضيف بهذه الهيئة... هيا اذهبي ورتبي نفسك... (تورا تخرج بلا رغبة).

سوميني: وإذا حدث ذاك الشيء؟

ياغيل: الانقلاب على الحكومة؟

سوميني: أجل.

ياغيل: أي ي؟

سوميني: ماذا يحصل حينها؟

ياغيل: يزجُّون رجال الحكومة كلهم وما شابههم في الداخل.

سوميني: وهل يزجُّون أعضاء مجلس الأمة أيضاً.

ياغيل: مؤكد.

سوميني: وهل السيد لوربان أيضاً؟

ياغيل: ذاك أيضاً بلا شك.

سوميني: هل تعتقد أنه قد يصيبنا شيء من هذا لأن تورا خطيبة لوربان؟

ياغيل: إنـي أفكـر في هـذا... حتـى لـو لم تكـن زوجته ولم يعقد عليها... فإنها خطيبته على أي حال... وقد تتأثر أعمالي.

سوميني: تورا على حق إذن.. دعنا لا نحرق البنت.

ياغيل: وإذا أحبطت الحكومة الانقلاب... وصار لوربان وزيراً...

سوميني: حينئذ سيكون مستقبل تورا مؤسفاً. إذ لا يوجد في كل حي وزير أو وزيران، إذا لم تتزوج هذا تزوجت ذاك.

ياغيل: انظري إلي يا سوميني، حذار أن تظهري شيئاً عندما يحضر السيد لوربان

سوميني: لماذا يا عزيزي؟

ياغيل: يجب أن لا نكون باردين جداً، ولا قريبين جداً منه...

سوميني: وماذا عن تورا؟

ياغيل: هي تعرف كيف تتصرف.

سوميني: طيِّب، متى سيقع ذاك الشيء الذي تحدَّثت عنه؟

ياغيل: الانقلاب على الحكومة؟ هل يمكن معرفة وقته أبداً يا عزيزتي؟

سوميني: وإذا استغرق عدَّة سنوات... لا يمكن أن نقف عدَّة سنوات لا قريبين ولا بعيدين، لا باردين ولا حارِّين...

ياغيل: كم أنت بسيطة يا سوميني...

سوميني: لا تقل لي بسيطة بسيطة بين الحين والحين، فأنت تستعمل كلمة بسيطة بمعنى آخر، لا تظن أنني لا أفهم.

ياغيل: أيمكن أن يستغرق انقلاب عدة سنواتي يا عزيزتي... إنه عمل يوم أو يومين، وربما ساعة أو ساعتين...

سوميني: أي ي، إذن ربما وقع ولا علم لنا. وإذا كان قد وقع... إذا حضر لوربان لانفتح الباب. (يرن جرس الباب) أوَّاه... ماذا سيحدث الآن؟ هل أفتح الباب؟ (تسير هنا وهناك بارتباك).

ياغيل: قفي... أنت محقَّة... إذا وقع الانقلاب فسيذيع عنه الراديو... (عندما يذهب مسرعاً إلى الراديو يرن جرس الباب ثانية، سوميني تسرع خلف ياغيل كي تستمع إلى الراديو. كلاهما منحنيان للاستماع إلى خبر من الراديو. ظهرا هما للباب الذي يفتح على البيت. بينما هما في هذه

الوضعية، تدخل تورا ولوربان. تورا فتحت الباب للوربان. تورا ارتدت ثيابها، واتخذت زينتها، وصففت شعرها، تدخل في المقدمة وقد أمسك لوربان بيدها، لوربان يحمل بيده باقة زهر وعلبة. يُسمع من الراديو إعلان عن سحب يانصيب).

من الراديو: "اليوم هو اليوم الأخير، اليوم... اليوم... اليوم السَّحب"

سوميني: (بصوت خافت) هل تنسحب الحكومة؟

لوربان: مساء الخير...

(سوميني وياغيل يجفلان من الصوت، ياغيل يقفل الراديو. يلتفتان نحو القادمين)

سوميني: (ضاغطة بيدها على قلبها) آي... فجأة، ظننته شيء...

تورا: (ضاحكة من حالة أمها) ماذا ظننت يا أمي؟

سوميني: ظننت أنه حدث شيء... للحكومة... لا سمح الله (لياغيل) ماذا كان ذاك؟

ياغيل: (بصوت قاس لكي ينبه سوميني) سوميني!

سوميني: (بغباء) ماذا حدث... هل قلت شيئاً سيئاً عن حكومتنا؟

ياغيل: (يسير باتجاه لوربان ويصافحه لكي يغطي على كلام زوجته المغفّلة) أهلاً وسهلاً... لقد تأخرت...

سوميني: انشغل بالنا كثيراً ظنَّاً منا بأنهم صفعوا الحكومة...

ياغيل: (بصوت قاس أيضاً) سوميني ي ي... هل الطعام جاهز

سوميني: (وقد فهمت غفلتها. تصافح لوربان) طبعاً، انشغل بالنا عليك كثيراً...

لوربان: أعتذر عن تأخري. (يقدِّم باقة الزهور لتورا، ويقدم العلبة لسوميني)

ياغيل: استغفر الله...

سوميني: (تتناول العلبة من لوربان) شكراً، أتعبت نفسك.

تورا: ماما، هل تعرفين، لوريان سوف يذهب إلى أمريكا على رأس إحدى الهيئات.

لوريان: (شابكاً ذراعه بذراع تورا) سنذهب سويَّة.

تورا: (بسعادة) بإمكاننا الذهاب سوية إذا ما تزوجنا. سنتزوج فوراً.

لوريان: استمر الاجتماع الحزبي طويلاً بسبب هذه الزيارة، ولذلك تأخرت.

ياغيل: ليس مهمّاً، طالما جئت... أهنئك على زيارة أمريكا.

سوميني: كم ستستمر؟

لوريان: شهراً ونصف تقريباً...

ياغيل: اووو، جيد جداً...

(ياغيل يجلس على الكرسي، بينما يجلس لوريان وتورا على الأريكة جنباً إلى جنب متقاربين، سوميني مشغولة بالمائدة)

سوميني: متى سيتم عقد النِّكاح؟

لوريان: بالسرعة الممكنة.

تورا: فوراً.

ياغيل: هل نجلس إلى المائدة يا أولاد، أم بعد قليل؟

لوريان: لا أعرف، أنتم تعرفون... أليس الوقت مبكّراً؟

ياغيل: (ينهض) صحيح، الوقت مبكر... حين تشاؤون... (أثناء توجُّهه نحو الباب) لدي بعض الأعمال في الداخل، عندما تجلسون إلى المائدة تنادين علي يا تورا... (واضعاً إحدى يديه على كتف لوريان) لن تؤاخذني أليس كذلك؟

لوريان: أرجوك.

(ياغيل يخرج)

سوميني: وأنا سأرقب الطعام في المطبخ. انشغلت بالحديث. أرجو أن لا تكون الأطعمة التي في الفرن قد احترقت... (تذهب إلى المطبخ).

لوريان: (واضعاً إحدى يديه على كتف تورا) يجب أن نبدأ بمعاملة النكاح فوراً.

تورا: (مطوِّقة خصر لوربان بإحدى يديها) غداً.

لوربان: لا يمكن.

تورا: لماذا؟

لوربان: لأن غداً يوم السبت.

تورا: نبدأ يوم الاثنين فوراً.

لوربان: بلا شك.

تورا: هل سنقيم في بيتنا قبل الذهاب إلى أمريكا أم بعد عودتنا؟

لوربان: كما تشائين أنت. أما زلت مصرة على عدم طلاء الجدران؟

تورا: (متغنِّجة) أماناً لوربان يا سكّري، ما أهمية أن يكون بلون لبِّ البطيخ أو بغيره...

(تورا تحتضن لوربان تماماً، وعندما يضمها لوربان ويقبلها تُطفأ الأنوار. بعد فترة تعتيم قصيرة تُضاء المنصة. تورا متمدِّدة على الأريكة وقد تجعَّدت ثيابها، وتشعَّث شعرها وانزاحت تنُّورتها قليلاً. لوربان يخرج علبة سجائر من جيبه)

ياغيل: (يُسمع صوته) فلنتناول بعض المقبلات قبل الطعام يا أولاد... (لوربان وتورا يلملمان نفسيهما، ويبتعدان عن بعض قليلاً. يدخل ياغيل ينادي) سوميني، أين مشروباتنا؟

سوميني: (يُسمع صوتها من الداخل) سأحضرها فوراً، ماذا ستشربون؟

ياغيل: ماذا نشرب يا أولاد؟ كله موجود...

تورا: نحن نشرب النبيذ...

ياغيل: إذن كلنا نشرب النبيذ. لطفاً نبيذ يا سوميني...

(سوميني تحضر وبيدها زجاجة نبيذ، تصب النبيذ في الكؤوس التي على الطاولة، وتقدمها للجميع).

لوربان: ما رأيكم لو نفتح التلفزيون؟

ياغيل: طبعاً... (يفتح التلفزيون. تظهر على شاشة التلفزيون مشاهد فيلم لا يهتمون له، يشربون).

لوربان: قد تكون هناك أخبار في الراديو.

ياغيل: فلنفتحه... (يغلق التلفزيون، يفتح الراديو. تنبعث منه موسيقى).

سوميني: (مرتابة) هل سيذيع الراديو خبراً هاماً أو ما شابه؟

لوربان: من يدري... ربما...

سوميني: (تنظر إلى ياغيل نظرات ذات مغزى. وفيما لوربان وتورا يتحدثان تهمس لياغيل) ليتهما يتزوجان ويسافران إلى أمريكا، ثم ليفعلوا بالحكومة ما يفعلون...

ياغيل: (كمن يؤنّبها) هم م م م...

(تنقطع الموسيقى من الراديو. يبدأ المذيع بالكلام. يلتفت الجميع برؤوسهم إلى الراديو أثناء إذاعة الأخبار. وبعد كل أربع أو خمس كلمات عن قرب سقوط الحكومة، تبتعد تورا قليلاً عن لوربان الذي تجلس بجانبه، أخيراً تنهض عن الأريكة وتبتعد، وتجلس على كرسي).

المذيع: (بعد عدة قرعات تنبعث من الراديو) الساعة 21... نذيع فيما يلي موجز الأخبار:

صرَّح الرئيس العام لحزب المعارضة الرئيسي في مؤتمر صحفي عقده بعد ظهر هذا اليوم قائلاً: "إننا بانتظار تغيير حكومي قريب جداً". ورداً على سؤال أحد الصحفيين عن تاريخ هذا التغيير، أجاب الرئيس العام بأن هذا التغيير يمكن أن يحدث اليوم. وأضاف قائلاً: "هذه الحكومة ذاهبة، سوف تسقط. فمن واجبنا الديمقراطي إسقاط مثل هذه الحكومة". وفي حديث صحفي أدلى به الرئيس العام لحزب طارب للصحفيين في غرفته بمجلس الأمة تحدث عن آخر التطورات السياسية قائلاً: "آن الأوان لإسقاط هذه الحكومة. يجب وضع نهاية لهذه الحكومة". وقع حادث اصطدام بين شاحنة وباص حوالي الساعة الثامنة من صباح اليوم على الطريق العام جنوبي العاصمة أسفر عن مقتل سبعة أشخاص، كما أن ثمانية أشخاص..."

(ياغيل يقفل الراديو. صمت).

ياغيل: (للوربان) ما قولك؟

لوربان: (ظناً منه بأن سؤال ياغيل عن وضع الحكومة، إنما كان سؤالاً عن زواجه بتورا) نحن قررنا. (لتورا) أليس كذلك؟

ياغيل: يعني برأيك ألن يحدث أي تغيير؟

لوربان: (ثانية يظن استفسار ياغيل عن سقوط الحكومة، إنما هو استفسار عن قرار زواجهما) تغيير؟ لماذا؟ (لتورا) قرارنا لا يتغير، أليس كذلك؟

تورا: (ببرود) من أين لي أن أعرف؟

لوربان: ألم نقرر قبل قليل...

تورا: أبي لا يسألك عن قرارك، يسألك عما سيحدث للحكومة...

لوربان: هاااا... عن إسقاط الحكومة... ذاك يقال باستمرار، نحن أيضاً عندما كنا في المعارضة كنا نتكلم هكذا دائماً. هذه وظيفة المعارضة.

سوميني: لكن لا دخان بلا نار...

لوريان: إن موقف حكومتنا أقوى من أي وقت. أما بالنسبة لنا...

ياغيل: أجل؟

لوريان: سنبدأ بمعاملة عقد النكاح صباح الاثنين الباكر.

تورا: (تعلوها الدهشة) أي اثنين؟

لوريان: هذا الاثنين.

تورا: ولكن قبل وجود البيت...

لوريان: بيت؟ البيت أمره سهل... لابد أننا سنستأجر.

ياغيل: (يصب في كأسه نبيذاً من الزجاجة التي فوق الطاولة) أخبروني عندما تجوعون. (يخرج)

سوميني: (أثناء توجهها نحو المطبخ) آه كنت أخفق المايونيز، تركته قبل أن يكتمل، وإذا ما جمد...

تورا: مازلت مصراً على طلاء الجدران بلون لبِّ البطيخ.

لوريان: الطلاء، لبُّ البطيخ؟ لاا!... لست مصرّاً. أنا لم أصر على لبِّ البطيخ... فليكن كما ترغبين.

تورا: أنا أرغب بلصق ورق جدران.

لوريان: جيد... فلنلصق ورق جدران.

تورا: على أن لا يكون لون ورق الجدران بطيخي.

لوريان: (مبتسماً) عزيزتي من أين أخرجت لون لبِّ البطيخ هذا؟ فليكن اللون الذي تريدين.

تورا: (منفعلة) آآآ... يعني هل أنا التي اختلقت لون لبِّ البطيخ من عندي... ألا تقول دائماً أن لون طلاء الجدران يجب أن يكون بلون لبِّ البطيخ...

لوريان: أهكذا... ربما قلت ذلك مرة، لكني لا أتذكر.

تورا: آآآ!... لا تتذكر إذن... والآن أنت تنكر. يعني أنت لم تقل بأنه يجب أن ندهن الجدران بلون لبِّ البطيخ...

لوريان: لابد أنني قلت... ولكن ليكن كما تشائين.

تورا: ليس المهم لون الطلاء.

لوريان: ما المهم إذن؟

تورا: إعجابك بلون لبِّ البطيخ، واختيارك إياه لطلاء الجدران، هل أعجبك، أم لم يعجبك؟ لقد أعجبك... أنا لا أستطيع الإقامة في بيت جدرانه بلون لبِّ البطيخ.

لوريان: لا تقيمي يا حياتي لا تقيمي! عيشي في بيت جدرانه مغطاة بورق الجدران.

تورا: (منفعلة أكثر) أف ف... لا أستطيع التوضيح بشكل من الأشكال... أنت فضلت الطلاء بلون لبِّ البطيخ.

لوريان: ممكن. إن كنت فضلته، فإني أتخلى عنه الآن.

تورا: (الانفعالات تلفها) آي سأجن. لكنك فضَّلته مرة.

لوريان: لم تقم القيامة إذا فضَّلته... ولم نطل الجدران بعد...

تورا: حتى مجرَّد تفكيرك بطلاء بلون لبِّ البطيخ...

لوريان: ماذا جرى؟

تورا: آه... لا يفهم. أنت...

لوريان: أجل؟

تورا: دعنا نتريث. فلنفكر ملياً في أمر هذا الزواج.

لوريان: لكننا اتخذنا سوية قراراً قبل قليل.

تورا: مع ذلك فلنفكر.

لوريان: حاضر. إذن سوف نسكن في بيتنا بعد عودتنا من أمريكا.

تورا: أي أمريكا؟ انظر حتى الراديو يذيع بأن الحكومة سوف تسقط.

لوريان: منذ سنتين يشاع بأنها ستسقط. ما إن تتشكل حكومة حتى يشاع عنها بأنها ستسقط.

تورا: لكنهم يقولون بأنها ستسقط اليوم.

لوربان: (ينهض، أثناء اتجاهه نحو الراديو) أي سقوط... لا يوجد شيء من هذا... (يفتح الراديو)

الراديو: (تنتهي الموسيقى. المذيع) أيها المستمعون المحترمون، جاءنا قبل قليل خبر يفيد أن وزير العمران عقد لقاء صحفياً أوضح فيه أنه استقال من الحكومة.

تورا: (فيما الأخبار مستمرة في الراديو، تورا تفرقع بأصابعها فرحة وتنادي) بابا، بابا، أسرع، تعال بسرعة.

المذيع: ورداً على سؤال صحفي عن سبب استقالته، أجاب وزير العمران بأنه سيوضح الأسباب الحقيقية لاستقالته فيما بعد.

سوميني: (تدخل وبيدها صحن كبير) هيا كل شيء جاهز... تفضلوا إلى المائدة...

تورا: (تضع يدها على شفتيها) شيششت!

مذيع الراديو: وبهذا الخصوص أفاد رئيس الوزراء بأنه لا يستطيع التعليق على استقالة وزير العمران، لأن الاستقالة لم تصله بعد.

ياغيل: (يدخل) الطعام جاهز ها... هيا تفضلوا.

تورا: بابا، الأخبار هامة، فقد استقال أحد الوزراء.

ياغيل: هيا على خير.

مذيع الراديو: ويشاع في أوساط المعارضة أن سبب استقالة وزير العمران ناجم عن اختلاف بين الوزير ورئيس الوزراء حول بعض المسائل المبدئية. (صوت قرعة) والآن نستمع إلى فاصل إعلاني صغير. (لوربان يغلق الراديو)

تورا: (تشبك ذراعها بذراع لوربان وتقوده نحو المائدة) جيد أليس كذلك؟

لوربان: (لم يفهم) ماذا؟

تورا: ها قد شغرت وزارة! (يجلسون)

سوميني: (تتساءل بغباء، وهي توزع الطعام) ماذا

حصل الآن؟ أفهموني، هل سيصير السيد لوربان وزيراً بحسب ما أذاعه الراديو؟

تورا: يمكن أن يكون كذلك.

ياغيل: إه، فلنشرب نخب هذا (تورا تصب النبيذ في الكؤوس بسعادة) فلنهنئكم بالوزارة.

سوميني: أماناً، إن شاء الله...

لوربان: لا يوجد شيء في الميدان بعد.

ياغيل: أيمكن أن لا يوجد ي' عزيزي، الكل كان ينظر إليك على أنك الوزير القادم، والآن عندما يشغر كرسي وزارة...

لوربان: سيادة رئيس الوزراء المحترم كان قد صرح مثل هذا التصريح أيضاً.

ياغيل: (يرفع كأسه) نخب وزيرنا الجديد! (يقرعون الكؤوس ويشربون)

لوربان: لكن...

ياغيل: نعم...

لوربان: أنا لا أفهم شيئاً في أعمال الوزارة التي شغر كرسيُّها...

ياغيل: ليس ضرورياً أن يفهم الوزير في أعمال وزارته...

سوميني: إن عدم فهمه أحسن، أليس كذلك؟ (يتناولون الطعام)

تورا: عند ذلك؟

لوريان: نعم؟

تورا: عندما تصبح وزيراًن هل تبقى زيارة أمريكا قائمة؟

لوربان: لا أعرف، لكني لم أصبح وزيراً بعد...

سوميني: لو تستأجران بيتكما وتستقران.

تورا: لقد أعجبنا ببيت أو اثنين.

لوربان: البيت الذي يعجبك أنت...

تورا: (تتغنّج للوربان) وجدرانه؟

لوريان: ماذا؟

تورا: ماذا ستكون ألوانها؟ لب البطّيخ؟

لوربان: قلت إنها ليست مسألة بالنسبة لي.

تورا: لا، لا... ستكون كما تشاء أنت.

لوريان: لـو نفتح الـراديو بصوت خافت، فلا نهرّب الأخبار إذا ما أذيعت.

سوميني: فلنفتح التلفزيون إذا شئت.

ياغيل: التلفـزيون يشغل عـين المـرء، فـلا نستطيع التحدث.

لوريان: الأخبار تكون أسرع في الراديو.

سوميني: (تفتح الـراديو، تُسمع موسيقى) هـل هـذا الصوت جميل؟

ياغيل: أخفضي الصوت قليلاً أيضاً. نرفعه عندما تذاع الأخبار.

سوميني: (تجلـس مكانهــا) ليــتكما تــستطيعان الذهاب إلى أمريكا أيضاً.

ياغيل: طـبعاً، وزارة، وزيـارة أمـريكا. مـا أجمـل ذلك.

سوميني: يعني ماذا كان يحدث لو قدم هذا الوزير استقالته بعـد عـودتكما مـن أمـريكا... انفجر.. قدم استقالته فوراً.

تورا: هل نذهب إلى أمريكا فقط عندما يصبح وزيراً؟ نذهب إلى كل مكان، أليس كذلك؟

لوربان: ماذا بوسعي أن أقول منذ الآن؟

(تنقطع الموسيقى المنبعثة من الراديو. ويبدأ حديث ما. الحديث لا يفهم، لأن صوت الراديو خافت).

ياغيل: اسكتوا! (يرفع صوت الراديو)

(كلهم آذان صاغية)

مذيع الراديو: ... بالدور، الوزيران اللذان قدما استقالتيهما بالتتالي فجأة، لم يوضحا أسباب استقالتيهما، وصرَّح رئيس الوزراء بأنه لن يعلق حالياً أي تعليق حول هذا الموضوع.

سوميني: يعني ماذا حدث الآن؟

ياغيل: شيششت!...

سوميني: أفهمني يا عزيزي، أنا أيضاً أريد أن أفهم...

مذيع الراديو: الصحفيون الذين يبحثون عن الوزيرين المستقيلين لم يجدوهما في بيتيهما. وتجري المناقشات الآن في الأوساط السياسية حول هاتين الاستقالتين الأخيرتين اللتين جعلتا عدد المنسحبين من الحكومة ثلاثة في يوم واحد، وفيما إذا كان ذلك سيؤدي إلى بلبلة في صفوف الحكومة أم لا. (صوت قرع. تبدأ موسيقى صاخبة)

ياغيل: أخفضي هذا، أخفضيه!

سوميني: (تخفض صوت الراديو) ماذا يعني هذا الآن؟

ياغيل: فهمنا استقالة أحد الوزراء. كان ذلك جيداً. لكن عندما يستقيل ثلاثة وزراء دفعة واحدة.. فإن في الأمر ما فيه. (تورا تسحب كرسيها وتبتعد عن لوربان قليلاً. تضع سيجارة في فمها. لوربان يشعل سيجارتها بقداحته) ما رأيك بكل هذا الذي يجري يا سيد لوربان؟

لوربان: الوقت مبكر جداً على إبداء الرأي.

ياغيل: كل شيء واضح وظاهر في الميدان. ثلاثة وزراء قدموا استقالاتهم دفعة واحدة في يوم واحد. هذا يعني أنهم أحسوا خطراً ما. (تورا تقرع بسكينها على كأسها بعصبية وانفعال).

سوميني: يقولون إن الفئران هي أول ما تترك السفينة الغارقة.

ياغيل: (ينهض واقفاً يتحدث وهو يسير) بصراحة يا سيد لوربان يبدو كأن الشائعات عن وقوع انقلاب على الحكومة سوف تتحقق.

لوربان: أنا لا أرى شيئاً من هذا.

سوميني: يعني في هذا الوضع... (تتوقف)

تورا: أجل يا ماما... تكلمي رجاءً...

سوميني: أنتما في هذا الوضع... (تتوقف)

تورا: كنت ستقولين بأن سفرتنا إلى أمريكا تبخَّرت، أليس كذلك؟ لكن ليس سفرتنا إلى أمريكا فقط...

لوربان: لكن ما علاقة هذا كله بنا؟

تورا: يقال بأن الألوان والأذواق لا تناقش، لكني لست على قناعة بهذا.

لوريان: طلاء البيت مرة أخرى؟ قلت لك عدّة مرّات إن اللون ليس مهماً عندي

تورا: لم تستطع أن تفهم حتى الآن ما هو المهم بالنسبة لي.

لوريان: أفهميني رجاءً.

تورا: عندما اخترت اللون لماذا لم تفضل اللون الفستقي أو اللون الزهري أو لون الكريم، ولم تفضل البيج وفضلت لون لبِّ البطيخ؟ هذا هو ما أريد التركيز عليه، فاختيار الإنسان للون يعبر عن ذوقه.

سوميني: أقليلاً أيضاً؟

لوريان: لا، شكراً.

سوميني: فلأبدِّل صحنك إذن. (تذهب إلى المطبخ، تحضر صحوناً نظيفة، تبدل الصحون).

ياغيل: برأيي أن الموقف غامض جداً... غامض ومشوش (بصوت مرتفع) وفوق ذلك أنت عضو مجلس الأمَّة...

لوربان: (ينهض) هل يمكنني أن أجري اتصالاً هاتفياً؟

ياغيل: تفضّل، أرجوك.

(لوربان يتوجه نحو الهاتف، يرفع السماعة، يدير القرص. في هذه الأثناء ينظرون إليه جميعاً بلهفة لسماع ما سيقوله على الهاتف. سوميني تغلق الراديو، ليكون الاتصال الهاتفي مريحاً).

لوربان: آلووو... مساء الخير. أنا لوربان... شكراً يا عزيزي..

ياغيل: (يندسُّ بجانب لوربان ويهمس له) أماناً لا تذكر من أين تتصل. حذار من أن تذكر بأنك عندنا.

لوربان: (على الهاتف) ماذا؟ أكنت تبحث عني أنت أيضاً... ما الأمر ... (يفرح فجأة) لا تقل!... هل صحيح؟ ياااا... أشكرك، تسلم... كيف لا أفرحِ يا عزيزي، طبعاً فرحت، فرحت جداً... (وجهه يضحك أكثر) لا يا عزيزي.. (يسد السماعة بيده

ويخاطب ياغيل الذي بجانبه) أنا أول المرشحين للوزارة الشاغرة... (الفرح يعلو وجوههم جميعاً لوربان يتحدث على الهاتف) ماذا تقول؟ اشرح لي هذا أرجوك... (يستمع) كيف حصل؟ ياااا.... جيد جداً.. (يستمع) أخبرني بما يستجد من أمور أرجوك... إذا قوي موقفي وتأكد اتصل بي فوراً....

ياغيل: (هامساً) أعطه رقم هاتفنا...

تورا: قل لهم أن يتصلوا بنا...

لوربان: (على الهاتف) هذا شيء لا يمكن حدوثه.. (يضحك) الحقيقة أنه لم يكن لي أي أمل... هل سيعلمونني بذلك غداً صباحاً.. حسناً، حسناً... أيمكن أن لا أقبل.. لماذا لا أقبل؟... تسلم... ليلة سعيدة يا عزيزي. أرجوك. إلى اللقاء... (يغلق الهاتف يفرك كفيه ببعضهما بسعادة، الآخرون يلتفون حوله، وقد علا البشر وجوههم جميعاً) الوضع جيد، جيد جداً..

ياغيل: يعني، كيف هو جيد؟

لوريان: جيد جداً تماماً...

ياغيل: إذن، جيد، جيد...

لوريان: الوزيران اللذات قدما استقالتهما مؤخراً، سحبا استقالتيهما.

ياغيل: والذي قدم استقالته أولاً؟

لوريان: (هامساً في آذانهم) ذاك قبلت استقالته.

تورا: من سيحل محله؟

سوميني: لا تكن...

لوريان: أجل.. أظن.. شيء مثل هذا...

ياغيل: كنت أعرف. (لتورا وسوميني) ألم أقل لكما...

لوريان: ولكن ليس بعد... غداً سيتضح الأمر. يقال بأن هناك ثلاثة أعضاء مرشحين، لكنهم يعتبرونني أقوى المرشحين.

ياغيل: أبارك لك...

تورا: (تقبله من وجنتيه) مبروك يا عزيزي.

سوميني: مبارك.

لوربان: دمتم سالمين، دمتم سالمين... هل نفتح الراديو، فقد يذيع خبراً ما.

سوميني: (أثناء فتح الراديو) طبعاً، قد يذيع خبر تعيينكم وزيراً. (تنبعث موسيقى من الراديو)

ياغيل: هيا إلى المائدة، إلى المائدة...

(سوميني تملأ الأقداح نبيذاً... يبدؤون بالأكل والشرب)

تورا: لا تفهمني خطأ...

لوربان: من أي ناحية؟

تورا: لا تظن بأنني خلقت مشكلة الطلاء... ثم إنني أحب لبَّ البطيخ.

لوربان: ما أهمية ذلك... طالما أنك لا تريدين لبَّ البطيخ...

تورا: لم أقصد أن أقول هذا. فطالما رغبت به أنت لماذا لن أرغب به أنا... ثم إنني أحبه... لون دافئ...

يا غيل: هيا لنرفع الكؤوس... نخب الشرف...

(أثناء رفعهم الكؤوس، وقبل أن يشربوا، يسمع من الراديو صوت مليء، أجش... يجمدون في أماكنهم).

الراديو: انتباه، انتباه، انتباه... (ياغيل يرفع صوت الراديو) انتباه، انتباه، انتباه!... أيها المواطنون المحترمون! أخاطبكم باسم منظمة الوحدة الشعبية. انتباه، انتباه، انتباه! في هذه اللحظات استلمت منظمة الوحدة الشعبية مقاليد السلطة بيدها، وهي مسيطرة على الأوضاع في كل أرجاء الوطن. لقد سقطت الحكومة التي تحكمت في مصير الوطن وأوصلته إلى هذا الوضع الصعب. وشكلت منظمة الوحدة الشعبية حكومة جديدة. وسوف يذاع بيان الحكومة الجديدة على المواطنين عبر الراديو في وقت لاحق. ويطالب نظام منظمة الوحدة الشعبية، المواطنين بأن ينتظروا التعليمات بهدوء. سوف نعلمكم بالوضع أولاً بأول عبر الراديو.

(صـوت قـرع. تـبدأ موسـيقى عـسكرية.
ياغيل يخفض صوت الراديو. صمت ثقيل).

سوميني: ما معنى هذا الآن؟

ياغيل: كـان واضحاً أن هـذا سـيحدث. افتحـي التلفـزيون يـا سـوميني (سـوميني تفـتح التلفزيون. الشاشة والصوت يدلان على أنه لـيس هـناك إرسـال). لم يبـثوا الإرسـال التلفزيوني.

(لوربان واقف على قدميه متأثراً. الآخرون يجلسون على الكراسي).

ياغيل: في هذا الوضع...

لوربان: يجب علي أن أذهب.

ياغيل: أظن أنه يجب أن تكون في مقر حزبك، ربما هم يبحثون عنك الآن

لوربان: (فزعاً) من؟

ياغيل: حزبك... إذا عينت وزيراً فـ... (يتوقف)

الراديو: (يتوقف المارش العسكري فجأة. ويتكلم ذاك الصوت المليء الأجش) أيها المواطنون

المحترمون جداً! تم اعتقال أعضاء الحكومة المنقلبة، وتم وضعهم جميعاً في مكان ما لحمايتهم من غضب الشعب. يطلب من جميع رجال السلطة المنقلبة الذين لم يتم وضعهم تحت الحماية، أن يبادروا إلى تسليم أنفسهم لكي لا يتعرضوا لنقمة الشعب. وسوف تعمد حكومة منظمة الوحدة الشعبية إلى إعلام المواطنين عن الأوضاع الجديدة بواسطة الراديو. (قرع. يُستأنف المارش العسكري من حيث انقطع. صمت ثقيل).

ياغيل: (يعترض طريق لوربان الذي ينهض فجأة ويتوجه نحو الهاتف) هل ستتصل هاتفياً؟

لوربان: أجل... إذا سمحتم.

ياغيل: كلا... لا يجوز أن تتصل من هنا.

لوربان: ماذا أفعل؟

ياغيل: لا شك أن الهواتف مراقبة. فإذا اكتشف أنك اتصلت من هنا... هل تفكر؟

لوربان: حسناً، ماذا يجب أن أفعل؟

ياغيل: أفضل شيء أن... (يتوقف)

لوربان: أجل؟

تورا: ماذا قالت حكومتنا الجديدة قبل قليل؟

ياغيل: يجب أن تسلم نفسك فوراً، لتحمي نفسك من غضب الشعب...

لوربان: غضب الشعب؟ لماذا؟

ياغيل: قد يهجمون عليك...

لوربان: أماناً، لكني لست عضواً في الحكومة...

ياغيل: عُينتَ وزيراً...

لوربان: كنت أحد ثلاثة مرشحين... لم أعيَّن بعد...

تورا: حتى لو كان الأمر كذلك، ألم يقل البيان في الراديو قبل قليل، جميع رجال السلطة المنقلبة؟

لوربان: (متردداً) فلأذهب إذن...

تورا: (تنهض وتقترب من لوربان. يقفان عند الباب. تورا تتكلم متأثرة) موضوعنا ما كان سيتم حتى لو لم يحدث هذا.

لوريان: لكن لماذا؟

تورا: (تلاعب أزرار سترة لوريان) ثق أنني متأسفة، لكنه كان مستحيلاً.

لوريان: لماذا؟

تورا: لأن ذوقينا لم يتطابقا، هذا ما حاولت دائماً أن أوضحه لك،

لوريان: لم أفهم.

تورا: عندما أبديت رغبتك بطلاء الجدران بلون لب البطيخ، انتهى هذا الأمر.

لوريان: إنني لا أذكر حتى إنني قلت شيئاً من هذا... ربما قلته لمجرد الكلام...

تورا: إني آسفة...

(فيما تورا ولوريان يتكلمان بصوت خافت عند باب البيت. سوميني وياغيل جالسان على الأريكة جنباً إلى جنب يتهامسان).

سوميني: (همساً) يبدو أن هذا لن يذهب...

ياغيل: سيدسُّ رأسنا أيضاً في مصيبة.

سوميني: يجب الإخبار عنه بالهاتف بأنه هنا...

ياغيل: لا يمكن ذلك بوجوده... نفعل ذلك بعد أن يذهب...

سوميني: فور خروجه...

(ينقطع المارش فجأة في الراديو. وحين يتحدث الصوت المليء الأجش، ينقلبون كلهم آذاناً صاغية)

من الراديو: انتباه، انتباه، انتباه! أيها المواطنون المحترمون: البيان الأول لحكومة منظمة الوحدة الشعبية:

1ـ يمنع التجول هذه الليلة اعتباراً من الساعة الرابعة والعشرين حتى الساعة الخامسة صباحاً. أما غداً فيبدأ منع التجول اعتباراً من الساعة التاسعة عشرة.

2ـ سوف يلقى القبض على رجال السلطة المنقلبة الذين لم يسلموا أنفسهم حتى الساعة الرابعة والعشرين، وسوف يعتقلون أينما وجدوا. وقد صدر أمر بإطلاق النار على من يحاول الهرب منهم.

سوميني: ما معنى هذا الآن؟

من الراديو: وسوف يتعرض الذين يعرفون مكان رجال السلطة المنقلبة ولا يخبرون عن مكانهم، وكذلك الذي يؤوونهم لديهم إلى أشد العقوبات.

يذاع بيان حكومة منظمة الوحدة الشعبية هذا من مكتب العلاقات الشعبية.

(قرع. يستأنف المارش من حيث انقطع. صمت)

سوميني: أفهموني يا أعزائي، ماذا يعني هذا الآن؟

لوربان: لا أستطيع الذهاب الآن، فهناك منع تجوُّل...

ياغيل: (ناظراً في ساعته) منع التجول يبدأ بعد الساعة الرابعة والعشرين. الساعة الآن الثانية عشرة إلا خمس دقائق تستطيع الخروج فوراً...

لوربان: (مسكيناً) لا أستطيع حتى النزول إلى الشارع خلال خمس دقائق...

ياغيل: لا تقف هنا بدون فائدة، إنك تضيع الوقت.

لوربان: (يتهالك على كرسي الطاولة، يسند مرفقيه. يضع رأسه بين راحتيه) تأخر الوقت كثيراً... (صمت)

(ياغيل يقترب من تورا. يقف كلاهما خلف لوربان. ياغيل يشير إليها مستعملاً كلمات قليلة جداً مفهماً إياها أن تصعد إلى الجيران في الطابق العلويّ وأن تتّصل من هناك هاتفياً وتخبر عن مكان وجود لوربان)

ياغيل: (همساً) إلى الطابق العلوي... من هناك...

لوربان: (ينهض) اتصلوا هاتفياً رجاء، وأخبروا القادمين الجدد عن وجودي هنا...

ياغيل: لكن...

لوربان: إني مجبر على التفكير بكم، لا يجوز أن أضعكم في موقف صعب

تورا: إلى أين يجب أن أتّصل؟

لوريان: لا أعـرف، ولكـن بإمكانـك الاتـصال بالإذاعة والاستفسار من هناك.

تورا: (تبحث في دليل الهاتف وبعد أن تعثر على رقم هاتف الإذاعة، تتصل) آلو... الإذاعة؟ شـكراً.. تعـرفون الـسيد لـوريان ألـيس كذلك؟ التزاماً ببيان الحكومة الجديدة الـذي أذيع من الإذاعة قبل قليل... (تتوقف) مـاذا؟ الآن؟ يعني... (تستمع) حقـاً؟ ياااا!.... شـكراً جزيلاً، شـكراً جـزيلاً... عـشنا لحظـات عـصيبة... دمـتم سـالمين! (تغلـق الهاتف)

ياغيل: (باهتمام) ماذا حدث؟

تورا: (كأنهـا لم تـسمع أباهـا، تـذهب وتجلـس قـرب لـوريان، وتـداعب شـعره) حمـداً علـى الـسلامة... لنبدأ بمعاملة الزواج فوراً صباح يـوم الاثنين... ونـستأجر البـيت قـبل ذهابـنا إلى أمريكا.

سوميني: أفهمينـا نحـن أيـضاً تـورا؛ مـا هـذا الـذي يجري الآن؟

تورا: (تتكلم كلمة كلمة مشدِّدة على الأحرف) تمكّنت القوات الحكومية من السيطرة على دار الإذاعة وطردِ الانقلابيين منها.

ياغيل: ياااا هذا جيد...

تورا: (مداعبة شعر لوربان، بصوت خافت) أما بالنسبة لطلاء البيت... نلصق ورق جدران في غرفة النوم، ولتكن أزهار ورق الجدران بلون لبِّ البطيخ... أما الغرف الأخرى فنطليها بدهان بلون لبِّ البطيخ...

(ينقطع المارش العسكري في الراديو. يسمع ذلك الصوت المليء الأجش)

الراديو: تم القضاء على محاولة بعض القوات الموالية للحكومة المنقلبة بالسيطرة على دار الإذاعة، وبطرد هذه القوات، أعيدت السيطرة على دار الإذاعة، وسوف نذيع على المستمعين المحترمين بعد قليل البيان الثاني لحكومة منظمة الوحدة الشعبية.

(يستأنف المارش من حيث انقطع).

سوميني: لم أفهم شيئاً، ما كل هذا الذي يجري؟

ياغيل: أنا أيضاً لم أفهم. هذا صار شيئاً أشبه بمباراة كرة قدم... كل منهما يسجِّل أهدافاً على الآخر. الواحد تلو الآخر.

سوميني: من يوجد الآن كحكومة فوق رأسنا؟ هل هم جماعة السيد لوربان، أم الجدد؟

ياغيل: طبعاً، الحكومة الجديدة.

سوميني: هل الجديدة أفضل أم القديمة؟

ياغيل: كلتاهما حكومة...

تورا: (للوربان) قد يكون مترسِّخاً في ذهنك منذ الطفولة...

لوربان: ما هو؟

تورا: لبُّ البطيخ... ربما زرت في طفولتك بيتاً أعجبت به كثيراً، بيتاً لأحد الأغنياء... لغنيٍ لكنه محدث نعمة لم ير شيئاً سابقاً. بيتاً لأحد عديمي الذوق... وكانت جدران البيت مطلية بلون لبِّ البطيخ، فاستقرَّ في ذاكرتك، في لا وعيك.

لوريان: لا أعرف...

تورا: أنا أكره لبَّ البطيخ، أقرف منه.

لوريان: يااا...

تورا: هل تدري لماذا؟

لوريان: لماذا؟

تورا: لأن لبَّ البطيخ أراد أن يكون أصفر وأحمر معاً، ولم يستطع أن يصيرهما، فلا هو بالأصفر، ولا بالأحمر... لذلك فإن ذوقي وذوقك لم ينسجما.

لوريان: إني أدرك ذلك... لكنني...

تورا: لا فائدة... انتهى كل شيء.

(ينقطع المارش في الراديو. يتكلم المذيع القديم)

المذيع من الراديو: أيها المستمعون المحترمون! بيان رئاسة الحكومة، يذاع من قبل وزارة الإعلام: عاشت بلادنا ساعتين من الاضطرابات الخطيرة، فقد حاولت مجموعة انقلابية أطلقت على نفسها اسم

منظمة الوحدة الشعبية تشكيل حكومة سرية، لكنها انتهت بالاندحار. وانتصار وسيطرة القوات الحكومية على الأوضاع.

(فيما الراديو مستمرٌ في إذاعة البيان، تقفز تورا بفرح).

سوميني: من، من الذي انتصر؟

ياغيل: جماعتنا...

المذيع في الراديو: تم اعتقال جميع الانقلابيين وأنصارهم. وعاد الهدوء والاستقرار إلى البلاد. والآن نذيع عليكم أخبار الأحوال الجوية.

(تورا تغلق الراديو. لوربان ينهض واقفاً. تورا تطوق عنق لوربان بذراعيها)

تورا: (تصرخ) يعيش لبُّ البطيخ! لا، لا أريد ورق جدران ولا شيء سوف تُطلى جدران بيتنا جميعها بطلاء بلون لب البطيخ. يعيش لبُّ البطيخ!

لوربان: (بصوت خائر) يعيش!

(تورا ترفع نفسها على رؤوس أصابعها، وتعانق لوربان وتقبله. ويبقيان هكذا يقبلان بعضهما متعانقين).

سوميني: عزيزي أفهمني. ما الذي حدث الآن؟

تمت الترجمة في حلب

مساء الأربعاء 2/ 2/ 2005

23/ 12 / 1425

تمت ترجمة المجلد الأول من الأعمال المسرحية الكاملة في 30 نيسان 2004

وتمت ترجمة المجلد الثاني من الأعمال المسرحية الكاملة في 2 شباط 2005

فاروق مصطفى في سطور

- مواليد حلب 1945
- من قرية سلوى في أقصى شمال الوطن التابعة لمنطقة جرابلس بمحافظة حلب.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- نال الشهادة الثانوية العامّة عام 1963 من ثانوية جول جمّال باللاذقية.
- سافر بعدها إلى تركيا لدراسة الطب في جامعة استانبول، لكنه لم يوفق فعاد بعد أن درس اللغة التركية لمدة فصل واحد في مدرسة اللغات الأجنبية بكلية الآداب بجامعة استانبول، محسّناً بذلك ومهذّباً لغته التركية التي يتقنها أصلاً.
- انتسب إلى كلية الحقوق بجامعة حلب ثم جامعة دمشق ووصل إلى السنة الثالثة ولم يكمل.
- عمل مدرّساً للغة العربية "مدرس ساعات متعاقد" في إعداديات اللاذقية في الأعوام الدراسية 1965 ـ 1966 ـ 1967.

- ذهب إلى الجزائر مع البعثة التعليمية السورية "معلماً من خارج ملاك التربية" وأمضى فيها عاماً دراسياً واحداً 1967 - 1968 في "الجزائر العاصمة".
- عمل معلماً وكيلاً في قريته وفي حلب في الأعوام 68 - 69، 69 - 70، 70 - 1971
- عيِّن موظفاً في جامعة حلب في 30/ 3/ 1971 أمضى فيها ما يزيد على سبعة وعشرين عاماً متنقلاً في مناصب إدارية مختلفة. حيث طلب إحالته إلى التقاعد، وكان ذلك في 4/ 5/ 1998.
- يتقن اللُّغة التركيَّة، ويجيد اللغة الإنكليزية، ويلمُّ بالفرنسية وبالألمانية.
- شارك في كثير من الأمسيات الأدبية التي أقامها اتحاد الكتاب العرب في محافظات ومناطق سورية، وفي أمسيات المراكز الثقافية، وأمسيات النادي العربي للتمثيل والآداب والفنون بحلب، وأمسيات النادي العربي الفلسطيني بحلب.
- نشرت بعض أعماله القصصية والشعرية المترجمة عن التركية في الصحف والمجلات المحلية والعربية. وفي دوريات اتحاد الكتاب العرب.

- **طبعت وصدرت له الأعمال التالية:**

1- (القميص النَّاري) رواية للكاتبة التركية خالدة أديب - دار العلم بدمشق 1991

2- (كيف ينقلب كرسي؟) مجموعة قصص قصيرة للكاتب التركي الساخر عزيز نسن دار الينابيع بدمشق عام 1992.

3- (أي حزب سيفوز؟) مجموعة قصص قصيرة للكاتب التركي الساخر عزيز نسن دار المرساة باللاذقية عام 1997.

4- (صراع العميان) مجموعة قصص قصيرة للكاتب التركي الساخر عزيز نسن. دار عبد المنعم ناشرون بحلب عام 1999.

5- (ثلاث مسرحيَّات أراجوزيَّة) مسرحيَّة للكاتب التركي السَّاخر عزيز نسن وزارة الثقافة بدمشق عام 2000.

6- (الهارب) رواية للكاتب التركي اورهان كمال - اتحاد الكتاب العرب عام 2004.

7- (إسكان العشائر في عهد الإمبراطوريَّة العثمانيَّة) للبروفسور الدكتور جنكيز أورهونلو. دار الطليعة الجديدة بدمشق عام 2005.

8ـ (الأعمال المسرحية الكاملة) المجلد الأول للكاتب التركي الساخر عزيز نسن. اتحاد الكتاب العرب عام 2007.

9ـ (غريب) رواية للكاتب التركي يعقوب قدري قره عثمان أوغلو. وزارة الثقافة بدمشق عام 2007

قيد الطبع:

1ـ (حبيبتي استانبول) مجموعة قصص قصيرة للكاتب التركي نديم غورسل.

2ـ (حكايات الجد قورقوت) حكايات من التراث التركماني. إعداد الكاتبة التركية مهريبان برين.

3ـ (الأعمال المسرحية الكاملة) المجلد الثاني للكاتب التركي الساخر عزيز نسن.

4ـ (سلطان الفيلة) رواية للكاتب التركي يشار كمال.

5ـ (رجل اليوم) مسرحة للكاتب التركي خلدون طانر.

قيد الإنجاز:

1ـ الأوغوز "التركمان" تاريخهم ـ تشكيلاتهم القبلية ـ ملاحمهم. للبروفسور الدكتور فاروق سومر

2ـ (الجسر) رواية للكاتبة التركية عائشة كولين.

المحتوى

عزيز نسن : الأعمال المسرحية الكاملة/ ترجمة فاروق مصطفى
دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٨ ـ مج٢ ـ ٧٢٤ ص؛ ٢٥ سم .
سلسلة الترجمة (٤)

١ ـ ٨٩٤,٣٥ ن ي س ع ٢ ـ العنوان
٣ ـ نيسين ٤ ـ مصطفى ٥ ـ السلسلة
ع - ٢٠٠٨/٩/١٩٥٣


دمشق

سالسي : تقابلنا اليوم هنا مع الوجه المؤلم للحقيقة . . .

برين : أجل ولكن أية حقيقة ؟

سالسي : الحقيقة واحدة .

برين نحن أيضاً لنا حقيقتنا ، أي حقيقة المجتمع ، حقيقة المنطقة كلها . . .

فقد أقتنعنا جميعاً ببطولة كارا ، والآن لا يحق لأحد أن يغير قناعاتنا هذه إلى عكسها ، حتى كارا نفسه . . .

لقد دخل التاريخ بطل اسمه كارا ، هذه هي الحقيقة التي يؤمن بها المجتمع .

سالسي : أجل ، لكن الحقيقة ليست كذلك . . . كارا الذي كان كان هنا يجسد الحقيقة بعينها .

برين : وهنا يكمن التناقض المخيف ، فالحقيقة الواقعة لا تتطابق دائماً مع حقيقة ما يؤمن به المجتمع ،

لا يمكننا أن نقول أن كارا الذي نؤمن جميعاً ببطولته هو هذا السافل ، وما أهمية الحقيقة الواقعة ،

نحن كنا بحاجة إلى بطل ، ولقد عثرنا عليه . كارا الحقيقي ليس كارانا . .

كارانا نحن بطل أما ذاك فكارا آخر صعلوك ، خائن . . .

سالسي : شيء محير . . مع أنه لا يمكنني أعطيك الحق ، أجد نفسي مضطر

هل كان علينا أن نهدم النصب ، أو أن نغلق المتحف لأن الحقيقة الواقعة لا تط

الحقيقة التي يعتقدها المجتمع ؟

لا أعرف ، ما هو الصواب ، هل في أن يعتقد المجتمع بأن الخطأ هو الحقيقة هو

أم في أن يعرف الحقيقة الواقعة كما هي ؟



ثمن النسخة
540 ل.س داخل القطر
700 ل.س خارج القطر

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق